تغريبتـــان
جزائريــة وإسبانيــة(*)

دكتور/ السيد ماضي العسيلي

اسم الكتاب: تغريبتان
اسم الكاتب: د/ السيد ماضي العسيلي
تصميم الغلاف: عبد الله عباس
رقم الإيداع: 2024-3267
الترقيم الدولي: 978-977-87127-5-9

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف
لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

إلى روح أبي وروح أمِّي..

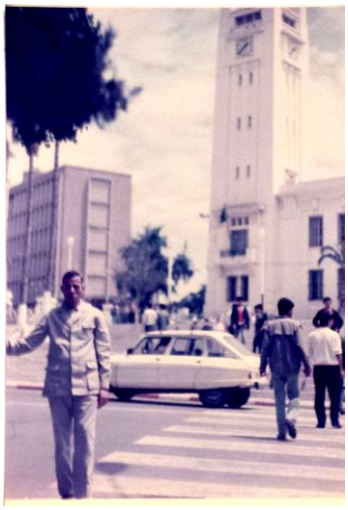

التغريبـــة الجزائريـــة

(1)

كان يتصفّح جريدة الأهرام – ذات يوم– فرأى في إحدى الصفحات الداخلية إعلانًا من "السفارة الجزائرية" عن طلب "وزارة التعليم العالي الجزائرية" لأعضاء هيئات تدريس، للتدريس في "الجامعات الجزائرية".. ولمّا عاد إلى البيت، قال لزوجته:

ـ (فيه إِعلان عن طلب دكاترة للتَّدريس في الجزاير إيه رأيِك؟.. نِقدّم فِيه؟).

ـ (قدّم، يمكن يكون لك نصيب).

ـ (مَاعْتقِدْشي، أصل في الحالات الّلي زيّ دِي بيْكُون رَاكِزْ لها الألاف).

ـ (اعْمل الّلي علِيك وسيب الباقي على الله).. ولأنه لم يأخذ الأمر على محمل الجَد، فقد كتب خطاب عادي – وليس مُسجَّلا وبعلم الوصول– وكتب على "المظروف" عنوان السفارة الجزائرية – المكتوب في الإعلان– وأعْطاه لأخيه كي يضعه في أحد صناديق البريد بالقاهرة عند ذهابه إلى "الصَّاغَة" لشراء "المشغولات الذهبية" ل"مَحَلّه". وفي ذلك الوقت وُلِد ابنه "محمود"...

(*) أسماء رؤساء وزملاء العمل الواردة في التغريبتان غير حقيقية.

قسم رعاية المصالح الجزائرية بالقاهرة

يعلن عن حاجة وزارة التعليم العالي لشغل وظائف تدريسية في التخصصات التالية للسنة الجامعية ٨٥/١٩٨٦ .

أولاً : جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة :

١- علوم القرآن .
٢- علوم الحديث .
٣- العقيدة الإسلامية .
٤- أصول الفقه .
٥- الفقه (مالكي - مقارن)
٦- القراءات .
٧- اللغة العربية وآدابها .
٨- التاريخ الإسلامي .

ثانياً : الجامعات والمعاهد الوطنية المنتشرة عبر التراب الوطني :

١- العلوم الحيوية .
٢- الرياضيات .
٣- المحاسبة بجميع أنواعها .
٤- الإعلام الآلي .

ويشترط في المتقدم أن يكون حاصلاً على شهادة وكفاءة الدولة في مجال تخصصه . وأن يفضل من سبق له خبرة في مجال التدريس الجامعي ، ويتم التعيين طبقاً للسلك والخبرة في إحدى الرتب التالية :-

• مدرس • أستاذ مساعد • أستاذ

ترسل نسخ غير قابلة للاسترداد من الشهادات العامة وشهادات الخبرة إلى مقر قسم رعاية المصالح الجزائرية - ١٤ شارع البرازيل الزمالك .

نهلة عن يساره والأم تحمل محمود؛ وهالة عن يمينها؛ وأحمد ومحمد في الخلف

نهلة وهالة؛ ومحمد يحمل محمود؛ وبجواره أحمد

محمود

(2)

أَخْبَر "إسماعيل" – المساعد الفَنِّي ب"القسم"– "العبد لله" بعَوْدَة الدكتور "علاء الزَّاوِي" من "الإعارة"، فكان رَدّه:

ـ (الدُّكْتُور عَلاَء خَلَّص الإِعَارَة؟، الحمْدِ الله على سَلاَمْتُه).

ـ (الله يِسَلِّمَك.. يَعْنِي.. هُوَّا قال لِي أَبَلَّغَك).

ـ (تِبَلَّغْنِي!.. يَعْنِي قصْدَك واللَّبِيبُ بِالإِشَارَةِ يَفْهَمُ؟.. طَيِّب يا سِيدِي عُلِم).. ولكن – "العبد لله"– ظَلَ يمارس عمله كرئيسا ل"القسم" – عادي– وكأن شيء لم يتغير.. وبعد عدة أيَّام، قال له "إسماعيل":

ـ (الدُّكْتُور عَلاَء بِيْقولَّك إنْتَ مَارَدِّيتْشِي عليه).

ـ (مَارَدِّيتْشِي عليه في إِيه؟، آآآآه.. دِلْوقتي أنا فهِمْت.. طَيِّب.. قوول لُه هُوَّا جَايِ القِسْم بِقَرَار من رَئِيس الهيئة؛ ومِشْ حَايِمْشِي إِلاَّ بقَرَار من رئيس الهيئة).. وبعد يومين أبْلَغه "إسماعيل" بأن الدكتور "علاء" ينتظره في "المكتبة"...

(3)

ولمَّا ذهب إلى الدكتور "علاء" – في "المكتبة"– بادره ب"الدُّخُول في الموضوع" مباشرةً قائلًا:

ـ (يَا دُكْتُور سيِّد.. هَلْبَتّ مَانْت عارف إن القِسْم دَه أنا وِالدُّكْتُور سَامي المَنْزَلاَوِي مْأَسِّسِينُه عَلَى اكْتَافْنَا مِن أَصْغَر مُسْمَار لِأَكْبَر جِهَاز).

ـ (عَارِف.. بَسِّي انْتَ سِيبْتُه وسَافِرْت، والدُّكْتُور سَامي سَاب الهيئة نَهَائِي.. ورَئِيس الهيئة جَابْنِي هِنَا بقَرَار عَشَان مِش مُمْكِن يِفْضَل القِسْم مِن غَير رَئِيس).

ـ (طَيِّب وآدِي رَئِيسُه أَهُو رِجِع يا سِيدِي، مِش المَفْرُوض نِرْجَع لِمَواقِعْنَا وِيَا دَار مَا دَخَلِك شَرّ؟).

ـ (انْتَ كِدَا بِتْحِلّ مُشْكِلْتَك وِمَابَصِّيتْشِي لِيَّا الّلي لَمَّا اسِيب القِسْم حَاقعُد فِي الشَّارِع؛ وانت عَارِف كِدَا كْوَيِّس).

ـ (يَا دُكْتُور سَيِّد مَايْصَحِّش الِّلي بْتِعْملُه معَايَا دَه افْتِكِر وقْفِتِي مْعَاك فِي مِحْنِتَك مَعَ نادية).

ـ (يَا دُكْتُور عَلاَء أَنَا مِشْ نَاسِي جِمِيلَك، وَلاَ يُمْكِن انْسَاه.. وَأَظُنّ انَّك أَكْبَر مِن إنَّك تُحُطِّ رقبتِي تَحْت سِيف الحياء).

ـ (إِحْنَا كِدَا بِنْلِفّ وِنْدُور بِدُون نَتِيجَة.. إِيه آخِر ماعَنْدَك هَات من الآخِر).

ـ (مـن الآخِـر.. زَيِّ الِّلـي قولْتُـه لِإِسْـمَاعِين وِوَصَّـلْهُولَك.. أَنَـا جِيـتِ القِسْـم دَه بِقَـرَار وِمِش حَامْشِي إِلاَّ بقَرَار).

ـ (يا ابْن وَالْدِي.. مَابَلاَش حِكَايِة القَرَارَات دِي مَانْخَلِّيهَا وِدِّي أَحْسَن).. تكلم الدكتور "عـلاء" عـن الحـل الـوِدِّي لعلمـه أن الـدكتور "أبـو الحسـن عبـد المعطـي" – رئـيس الهيئة– لن يوافق على إِصْدَار أيّ قرار بهذا الشَّأْن، ولذا فقد قال "العبد لله":

ـ (قَرَارَات أَحْسَن عَشَان تِبْقى رَسْمِي وِيْكُون مَعَانَا وَرَق.. حَدّ عَارِف إِيه حَايِحْصَل بُكْرَه؟)...

(4)

كـان يعتقد أن موضوع الدكتور "عـلاء الـرَّاوي" قد انْتَهى بانْتِهَاء النِّقَاش – الحامي– الذي دار بينهما في "المكتبة" منذ بضعة أيام؛ فقد تَبَيَّن أنـه كـان "لاَبِدًا لـه فـي الـذُّرَة".. كانـت المفاجئـة – الصَّـادِمَة– عنـدما عَلِـم بصـدور "القـرار" الـذي كـان مُصَمِّمًا على صدوره – كشرط تَعْجِيزِي– لتَرْك القسم.. كان "القرار" صادِرًا عن الدكتور "أحمد عبدالعليم" – الذي عاد من الإعارة فـي "السعودية"– كرئيس "قطاع البحوث"، ومُعْتَمَدًا من الدكتور "كرم عبدالفتاح" – نائب رئيس الهيئة عن رئيس الهيئة الموجود خارج البلاد– وكان مَضْمُونه:

ـ (... يكلَّف الدكتور علاء الرَّاوِي بالقيام بأعمال رئيس القسم ويعود الدكتور السيد ماضي إلى القسم الذي نُقِل منه بقطاع الإنتاج..). أُسْقِط فـي يد "العبد لله"، بعد أن

وجَد نفسه أمام الأمر الواقع.. كانت الظروف مُواتية بالنسبة للدكتور "علاء الرَّاوِي"، من حيث وجود صديقه الدكتور "أحمد عبدالعليم" رئيس قطاع البحوث، والدكتور "كرم عبدالفتاح" – نائب رئيس الهيئة وأستاذه القديم – والذي بينه وبين "العبد لله" ما صنع الحَدَّاد، فقد انْتَهَزَ فرصة وجود رئيس الهيئة – الدكتور "أبو الحسن عبدالمعطي"– بالخارج ليخدم تلميذه ويُصَفِّي مع "العبد لله" حسابات قديمة.. وبالعكس فقد كانت الظروف بالنسبة ل"العبد لله" في منتهى السُّوء؛ فقد كان وحيدًا بينهم – زيادَةً على "شَمَاتَة الشَّامِتِين"– مع وجود الدكتور "نادر" والدكتور "حمدي حماد" بالخارج.. كانت مِحْنَة لم يتَعَرَّض لمثلها من قبل؛ فلا الدكتور "علاء الحلو" سَيُرَحِّب به في "قسمه"، فقد انْتَهَزَها فُرْصَة – هو الآخر– واتكأ على أن "القرار" ينُصّ على "... عَوْدَتُه إلى قطاع الإنتاج".. ولا الدكتورة "نادية جورج" تريد عَوْدَته إلى "قسمها" بعد أن تَخَلَّصَتْ منه ب"قرار" نَقْله على يد الدكتور "حمدي حمَّاد"...

(5)

لم يجد مَلْجَئًا يلْجَأ إليه إلاَّ "المكتبة"، يشغل نفسه بالإطلاع أو بتَصْوِير بعض البحوث على "آلة التَّصْوير".. ولَمَّا رآه الدكتور "بلال محمد بلال" – في "المكتبة"– قال له بعدما تَحَدَّثا في مِحْنَتِه:

ـ (وَرِّينِي القَرَارْ كِدَه).. أخْرَجه من حقيبته – التي في الأمانات– فقال بعد قراءته:

ـ (القَرَار دِه مِش مَظْبُوط إِدَارِيًا).

ـ (إزَّايْ!).

ـ (ازَّاي يِقول يَعُود إلى القِسْم الذي كان به بقطاع الإنتاج وِانْتَ مَنْقول من قِسْم فِي قِطَاع البُحُوث نَفْسُه

ـ (امَّالِ الصَّحّ مفروض يكون إيه؟).

ـ (كَان المَفْرُوض يِطْلَع قَرَار رَئِيس قِطَاع بِعَوْدِتَك للقسم الِّلي كُنْت فيه في قطاع البُحُوث، وبَعْد كِدَا يِطْلَع قَرَار رَئِيس هيئة تَاني بِنَقْلَك مِن قِطَاع البُحُوث لِقِطَاع الإنتاج).

ـ (يا سيدي.. أنا مَاعَنْدِيش غير حسبيَ الله ونعمَ الوَكِيل فيهُم كُلُّهم)...

(6)

كان يعْلَم – يَقِينًا– أن الله سبحانه وتعالى لم يَبْتَلِيه ليُعَذِّبَه؛ بل ليَرْحَمَه، فكان – دائِمًا– ما يحُثّ نفسه على الصَّبْر والوثوق في رحمة الله، وأن الإنسان المؤمن مهما تكاثرت عليه الشدائد والمِحَن فهو واثق برحمة ربّه عَزَّ وجَلّ مُتَوَكِّلٌ عليه، مُتَيَقِّنٌ من انْفِرَاج الشِّدَّة وزوالها حتى في أصعب الظروف...

(7)

بينما كان جالِسًا في "المكتبة" – في يوم من أيَّام مِحْنَته– جاءوه ب"خطاب مُسَجَّل"، مُرْسَلاً إليه من "قسم رعاية المصالح الجزائرية" – في "السفارة الهندية"– وكان مَضْمونه:

ـ (... تم ترشيحكم للتدريس في إحدى الجامعات المنتشرة على التراب الوطني الجزائري).. بِمُجَرَّد قراءته للخطاب، داهَمَه "ذُهُول" كاد يُفْقِدُه السَّيْطَرَة على "حَوَاسّه".. ولَمَّا عاد إليه "وعْيه" – بعد لحظات– سَيْطَرَت عليه رَغْبَة مُلِحَّة في أن يسْجُد لله شكرًا، لَوْلاَ وجود "مُرْتَادِي المكتبة" المحيطين به فَراح يرَدِّدُ – "في نفسه"– مَقُولَة "الإمام الشَّافِعِي" رضي الله عنه:

ـ (ضاقت فلمَّا اسْتَحْكَمَتْ حلقاتها * فُرِجَتْ وكنت أظُنُّهَا لا تُفْرَجِ)...

(8)

عندما جاء الدكتور "نادر" إلى الهيئة – بعد عودته من الإعارة في "الإمارات"– ذهَب "العبد لله" ليسَلِّم عليه.. وبعد السلام والأخْذ ب"الأحضان"، دار بينهما الحوار التالي:

ـ (بَعْد مَا حَضْرِتَك سَافِرْت على طُوول حَصَلِت لِيَّا أحْدَاث يَشِيبُ مِنْ هَوْلِهَا الوِلْدَان).

ـ (يَاااااه.. احْكِيلِي احْكِي).. وبعدما سَرَد على مسامع الدكتور "نادر" كل الأحداث – المؤلمة– التي مَرَّت به بَدْءًا من مُنَاكَفَات الدكتور "رفاعي" حتى صدور "القرار التَّآمُرِي" الثلاثي "إيَّاه"، قال بتَأَثُّر:

ـ (يَاااااه.. كُلّ دَه حَصَل لَك؟).

ـ (لكن رَبّنَا أنْقَذْنِي).

ـ (ازَّايْ؟).

ـ (كان فِيه إعْلاَن في الأَهْرَام من السَّفَارَة الجَزَائِرِيَّة عن طَلَبْهُم لأَعْضَاء هَيْئَات تَدْرِيس، وكُنْت قدّمْت فِيه بَعْد تَرَدُّد، ولَكِنِّي فُوجِئْت بِأَنُّهُم بَعَتُولِي اسْتِدْعَاء يَعْنِي قُبُولِي للتَّرْشِيح للسَّفَر.. ودَه كَان مِن رَحْمة رَبّنَا إنُّه أنْقَذْنِي من الوَضْع الّلي لاَ أُحْسَد عَلِيه).

ـ (طَيِّب، يَارِيت تُقعُد مع الدُّكْتُور كَرَم عَشَان يِدّيك شوَيّة نَصَايِح من وَاقع خِبْرِتُه أصْلُه رَاح دَرَّس فِيهَا في السَّبْعِينَات).

ـ (حَضْرِتَك بِتْقول أَرُوح للدُّكْتُور كَرَم؟، بَعْد الّلي حَصَل بِينَّا هُوَّا عَاوِز يِشُوف وِشّي؟).

ـ (مَاتَخُدْشِي الأُمُور بِالشَّكْل دَه.. الدُّكْتُور كَرَم رَاجِل فِيير، رُوحْلُه بَسّي، عن ضَمَانْتِي)... ولَمَّا ذَهَب "العبد لله" إلى الدكتور "كرم" – حسب نصيحة الدكتور "نادر"– قابله ببرود شديد.. وبعدما كَلَّمه في "الموضوع"، أجابه ببضع كلمات "لا تُسْمِن ولا تُغْنِي من جوع"...

(9)

في مجال الاستعدادات للسَّفَر وعندما كان يسْتَخْرِج "التَّأْشِيرَة" من "قسم رعاية المصالح الجزائرية" في "سفارة الهند" – بعدما اعتمدوا أمضاء "عمر بن عَبُّو" مدير الموظفين والمفوّض من "وزير التعليم العالي"– تَقَابَل مع زميل من "الكلية" من بلدة "القَلَج" يسمَّى "أحمد بَعْرَة"، والذي قال له:

ـ (أَنَا قعَدْت فِي الجَزَايِر تَلاَت سِنِين كُنْت بَادَرّس كِمْيَا لْثَانَوِي).

ـ (كُنْت في أَيّ مَدِينَة؟).

ـ (في سِيدِي بِلْعَبَّاس.. وعلى فِكْرَة فِيه وَاحِد من بَلَدْنا عَنْدُكُوا في الهيئة اسْمُه هَادِي، قعَد سَنَتِين في الجَزَايِر).

ـ (أَعْرَفُه.. لِسَّا جَاي الهيئة السَّنَادِي، وهُوَّا عندي في القسم).

ـ (مَاهُو لَمَّا اتْعَيَّن في الهيئة خَدْ أجَازَة بِدُون مُرَتَّب ورَاح قضَّى السَّنَتِين دُوول.. بَسّي نَصِيحَة مِنِّي قبْل مَانْسَى، خُد مَعَاك فُلُوس جَزَائِرِيَّة تِصْرِف مِنْهَا تَوّ ما تِوْصَل لِأَنّ الفُلُوس المَصْرِيَّة مِش مَاشْيَة هْنَاك، مَعَ شْوَيّة دُولاَرَات طَبَعًا).

ـ (واتْوَصّي أخُوك بِإِيه كَمَان؟).

ـ (خُد مَعَاك صُوَر شَخْصِيَّة كِتِير، عَشَان الأَوْرَاق الّلِي مَالْهَاش عَدَد الّلِي حَايِطْلُبُوهَا مِنَّك أصْل التَّصْوِير غَالِي عَنْدُهُم)...

(10)

عندما سأل الدكتور "عبدالحميد مَهَنَّا"؛ الذي كان قد دَرَّس في "جامعة الجزائر" – في أواخر السبعينيات– عن أي "عُمْلَة جزائرية" قد تكون في حوزته، قال له:

ـ (انْتَ ابْن حَلاَل.. مَعَايَا أَلْف وخُمْسُمِيت دِينَار).

ـ (طَيِّب عَاوِزْهُم بَسّي بسُرْعَة الله يْخَلّيك عَشَان مَعَاد السَّفَر قرَّب).

ـ (مَاشِي.. انْتَ جَايْ بُكْرَة؟).

ـ (ان شَاء الله).

ـ (حَايْكُونُوا مْعَاك بُكْرَة، بَسِّي هَات مَعَاك مِيَّة وخَمْسِين جِنِيه)...

(11)

تقابل أخوه مع "مدرس ثانوي" – صديق لهما– كان عائِدًا لِتَوّه من "الجزائر" بعد انتهاء فترة "إعارته"، ولَمَّا سأله عن "العبد لله"، قال له:

ـ (الدُّكْتُور سيّد أخُويَا حَايْرُوح الجَزَايِر حَايْدَرَّس في الجامعة هنَاك).

ـ (خَلِّيه يَاخُد مَعَاه فلُوس جزائِرِيَّة).

ـ (خَدْ من واحِد زمِيلُه أَلْف وخُمْسُمِيت دِينَار).

ـ (خَدْهُم ازَّاي يَعْنِي، وَرَق مِيَّات وَلاَّ خُمْسُمِيَّات؟).

ـ (تَلاَت وَرَقات من أُمّ خُمْسُمِيَّة).

ـ (خَلِّيه يِرَجَّعْهُم لَيْضِيعُوا عليه؛ الوَرَق الكِبِير دِه لَغُوه وأكْبَر وَرَقة عَنْدُهُم المِيت دِينَارْ.. زمِيلُه دِه غَشُّه)...

(12)

حَمَد الله على مجيء الدكتور "عبد الحميد مَهَنَّا" إلى "الهيئة" ليعيد إليه نقوده "الجزائرية" المُلْغَاة. وبمُجَرَّد دخوله "مَعْمَلُه"، قال له:

ـ (يَعْنِي لُولاَ رَبِّنَا وَقَّفْلِي ابْن الحَلاَل الِّلي نَصَحْنِي كُنْت رُحْت فَابُو نِكْلَة).

ـ (إيه فِيه إيه، كَفَا الله الشَّر؟).

ـ (وَاحِد لِسَّا جَاي من الجَزَايِر قال لِي الوَرَقة أُمّ خُمْسُمِيت دِينَار اتْلَغَت).

ـ (يَاااااه، أَنا مَاكُنْتِش اعْرَف)...

(13)

ذهَب إلى مكتب رعاية المصالح الجزائرية ب"سفارة الهند" لتغيير مبلغ ال"مئة وخمسون جنيها" ب"نقود جزائرية" – من الناس المتواجدين هناك– ولكنه لم يوَفَّق.. وبعد ذلك ذهَب إلى مكتب "شركة الخطوط الجوية الجزائرية" لحجز "تذكرة" الذَّهَاب إلى

"الجزائر".. وهناك وجَد رجلاً كان يُتَمِّم إجراءات الحَجْز مع "الموظفة".. وبعد مغادرته "الشباك"، أقبل على "العبد لله" وقال:

ـ (انْتَ مِتْأَخَّر زَيّي؟).

ـ (هُوَّا حَضْرِتَك رَايِح الجَزَايِر تَبَع الإِعْلاَن إِيَّاه؟).

ـ (أَيْ نَعَم.. وانْت رَايِح تِدَرِّس إِيه؟).

ـ (كِمْيَا.. كِمْيَا غِيرْ عُضْوِيَّة ان شاء الله).

ـ (بَصْرَة.. واخُوك كِمْيَا غِير عُضْوِيَّة، مَاتْشَرَّفْنَاش بِالاسْم).

ـ (السيد ماضِي العسيلي، من هيئة ال..). وقبل أن يكمل قال الدكتور:

ـ (واخُوك محمد مُخْتار القرش، من كلية علوم طنطا).

ـ (تَشَرَّفْنا.. هِيَّا عيلة القرش الِّلي عندنا في القليوبية تبقى تبعكم؟).

ـ (أي نعم، وعلى فكرة عائلة العسيلي موجودة عندنا في طنطا).

ـ (عائلة العسيلي موجودة في مصر من اسكندرية لمَّا لأسوان، وفي البلاد العربية كلها تقريبًا).

ـ (ماشاء الله!.. طيب، نِتْقابِل في المطار ان شاء الله.. السلام عليكم).

ـ (ان شاء الله.. وعليكم السلام ورحمة الله)...

(14)

عندما أخْبَر أخوه بفشله في تغيير ال"مئة وخمسون جنيها" بنقود "جزائرية"، قال له:

ـ (يَادِي الحَظ، وأنا لَمَّا سَأَلْت مدرس الثانوي صاحبنا قال لِي يَارِيت وانا حَاجِيب معايا فلُوس جزائري أعْمل بِيهَا إِيه).

ـ (وإِيه الحَل؟).

ـ (خُدْهُم مَعَاك مَصْري، وخد بزيادة.. وانْتَ وحَظَّك).

ـ (وإِيه أَخْبَار الدُّولارات؟).

ـ (مِش لاَقِي؛ لَفّيت على الّلى أعْرَفُهُم من تُجَّار العُمْلَة على قِلّت فَايْدَة.. مْشَدَّدِين عَلِيهُم اليُومِين دُوول).

ـ (طَيب وإيه الحَل؟، هِيَّا مْغَفْلَقة لِيه كِدَا.. اسْتُر يَارَب).

ـ (مَاتِقلَقْشِي، بِيْغَيَّرُوا لِلْمِسَافْرِين زَيَّك كِدَا في المَطَار رَسْمِي)...

(15)

عندما كان يُوَثِّق "شهادة الخبرة" في "مكتب جوازات المطار" – قبل السَّفَر بيوم– قال له "موظف الشباك":

ـ (الإِمْضَا الّلِي على الشَّهَادَة مِش مُطَابْقَة لنمُوذَج إمْضِة الدكتور أبُو الحَسَن الّلِي على الكمبيوتر). وأدار "شاشة الكمبيوتر" تِجَاهه ليُرِيَه "نموذج" توقيع الدكتور "أبو الحسن".. وأعاد له "الشهادة" فأخَذها، وأخْلَى "مكانه" للذي بعده.. وعاد "أدْرَاجه" إلى مقر "الهيئة"، وكان يقول في "نفسه":

ـ (لِيه بِيعْمل معايا كِدَا.. يَارِيت تكُون مش مقصُودَة.. يارَب الاَقيه مَوْجُود، الحمد لله انّنا في أوّل النّهار).. كان الدكتور "أبو الحسن" – لحُسْن حَظّه– متواجدًا في "مكتبه".. وقبل أن يقول ما عِنْده، قال هو:

ـ (ازَّيَّك يا سَيد.. أُقعُد، بَاين عَلِيك مُجْهَد إيه فِيه حَاجَة؟).

ـ (لا يا افَندم، شُكْرًا بَسّي أنَا كُنْت بَاوَثَّق شهادة الخبرة في مكتب جوازات المطار وقالُولِي إمضة حضرتك مش زَيّ النُّمُوذَج الّلِي عَنْدُهُم.. الحَمد لله إنّي لَقيت حضرتك أصلي مسافِر بُكْرَة والشَّهَادَة دِي هِيَّا الّلِي فَاضْلَة من غير تَوْثِيق).

ـ (يَاااه، حَاتْسَافِر بُكْرَة؟).. وبدون أن يُعَلِّق، وضع الدكتور "أبو الحسن" التَوْقِيع المُعْتَمَد على "الشهادة".. وعندما كان – "العبد لله"– يتَأَهَّب لمغادرة "المكتب"، قال الدكتور "أبو الحسن":

ـ (انْتَ نَاسِي الكَارْت الأصْفَر؟.. رُوح لبْتُوع الإيفَاد خَلّيهُم يِجَهّزُوهُولَك علشَان أمْضِيه)...

(16)

حزم أمتعته وذهب إلى "المطار" في موعد "الرحلة" المحدد في تذكرة "شركة الطيران الجزائرية".. وكان الذّهاب إلى "المطار" في سيارة أجرة ماركة "بيجو" سبعة راكب؛ كي تستوعب الزوجة والأولاد، وأخوه وزوجته وأولاده.. ولَمَّا كان عليه – فور وصولهم إلى "المطار"– الذهاب إلى "شباك" أحد "البنوك" ليغَيّر "الجنيهات" إلى "دولارات"، فقد قال لأخيه:

ـ (أشْتِرِي كَامْ دُولاَر؟).

ـ (بِيتْهَيَّأْلِي خُمْسُمِيت دُولاَر مَبْلَغ كُوَيِّس يِعَيَّشَك مِرْتَاح على مَايِصْرِفُولَك المُرَتَّب).

ـ (هُوَّا الدُّولاَر بِكَام مَصْرِي؟).

ـ (الدُّولاَر بِمِيَّة وْسَبْعِين قِرْش، وفِي السُّوق السُّودَة بْمِيَّة خَمْسَة وْسَبْعِين).

ـ (وِاحْنَا مَالْنَا وْمَال السُّوق السُّودَا دِلْوَقتِي، المُهِم بِالسِّعْر الرَّسْمِي مَطْلُوب تُمْنُمِيَّة وخَمْسِين جِنِيه، الحمد لله مَعانا بوَسَع الأَلْف جنيه حَايْفِيض مِنْهُم).. وأمام "الشباك"، قال ل"الموظف":

ـ (لَوْ سَمَحْت عَاوِز اشْتِرِي خُمْسُمِيت دُولاَر). كان رد "الموظف" صادِمًا، لم يكن يتوقعه أبدًا، فقد قال:

ـ (انْتَ مسَافِر في مُهِمَّة رَسْمِيَّة؟).

ـ (أنا مسَافِر أدَرّس في جامعات الجزائِر).

ـ (يَعْنِي أجَازَة بِدُون مُرَتَّب؟).

ـ (أيْوَا).

ـ (سُورِي.. مَابْنِصْرِفْشِي إلاَّ للمسَافر في مهمَّة رَسميّة؛ وحَتَّى المَبْلَغ المَسْمُوح بِيه أَقلّ من كِدَه بِكْتِيييير).. وبمجرَّد استيعابه للصدمة – التي "لا كانت على البال ولا على الخاطر"– قرر أن يعود أدْرَاجه "ليُدَبّر حاله" ومن ثَمّ يسافر على رحلة أخرى.. وبينما كان يتكلم – مُتَجَهِّمًا– مع أخيه في "الورطة"، ويلومه لأنه جعل له "البحر طحينة"؛ لمح الدكتور "محمد القرش" فذهب إليه وسَلَّم عليه وأخبره بما جرى، فقال:

ـ (تِرْجَـع ازَّاي يـا دكتـور، انْـتَ مـش عـارف انِّنَـا مِتْـأَخَّرِين؟، دَا الدِّرَاسَـة بَـدَأَت مـن أُسْبُوعِين).

ـ (أَسَافِر ازَّاي يا دكتور وانَا مَامْعَايِيش دولارات ولا فلُوس جزائريَّة؟).

ـ (تَعَالَى تَعَالَى.. وَانَا وانت على الله، حَانِنْزِل عَنْد دكتور زميلِي فـي جامعة الجزاير العاصمة، وسَاكِن في حَيّ الحَرَّاش)...

(17)

ولَمَّا ودَّعهم – بعد انتهاء الإجراءات– بكى ابنه الصغير "محمود" بشدة حتى أن صراخه قد أوْقف الصَّالَة "على رِجْل".. وكادت النساء المتواجدات يبكين من التَّأَثُّر. أمّا "محمد" و"أحمد" فكانا يلَوِّحَان بوجوم بينما كانت دموع "هالة" و"نهلة" تنهال في صمت، وأمّا أمُّهُم فكان يعلم ما يدور في عقلها وهي تفكر في المسؤولية التي ألقيت على عاتقها.. كان كُلَّمَا يمشي عدة خطوات، يقف ويلتفت مُلَوِّحًا وقد اغرورقت عَيْناه وانخلع قلبه لبكاء "محمود".. وظلّ هكذا حتى دخل "صالة الانتظار"، وهناك قال الدكتور "محمد القرش":

ـ (ابْنَك دِه بَاين عَلِيه مِتْعَلَّق بِيك قوِي).

ـ (دَايْمًا آخِرِ العَنْقود بِيِبْقَى كِدَه)...

(18)

صَعَد إلى "الطائرة" – مع الصاعدين– ومازال صراخ "محمود" يُدَوِّي في أذنه.. وعندما بدأت "الطائرة" – التي ركبها لأوّل مرة – في الارتفاع، أحسّ بأن "طبلة" أذنه ستنفجر. ومع ازدياد ارتفاعها ازدادت صعوبة تنفسه.. ولَمَّا قال للدكتور "محمد القرش":

ـ (انْتَ حَاسِس اِنّ طَبْلة وِدَانَك حَاتِنْفِجِر زَيِّي؟.. وكَمَان الوَاحِد مِش قادِر يَاخُد نَفَسُه).

ـ (مَاتِقلَقشِي حَايْوَزَّعُوا لِبَان أَوْ طُوفِّي لَمَّا نِمْضُغُه حَايْرُوح الإِحْسَاس دِه.. وِبَعْدِين صُعُوبة التَّنَفُّس حَاتْرُوح بِالتَّدْرِيج وِالّلِي سَبَبْهَا انْخِفَاض الضَّغْط الجَوّي مع ارْتِفَاع الطَّيَّارَة إِلَى طَبَقَات الجَوّ العُلْيَا، زَيّ مَانْتَ عَارِف).

ـ (ودَا اتْحَقَّق فِي المُعْجِزَة الإِلَهِيَّة في الآيَة القُرْآنِيَّة الّلِي بِتْقول: "فَمَن يُرِدِ الله أن يَهْدِيَهُ يشْرَحْ صَدْرَه للإسلام ومَن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقًا حَرَجًا كأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء"، الّلِي أَنْزَلها الله سُبْحانه وتعالى على سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم من أَلْف ورُبْعُمِيت سنة)...

(19)

كان وقت هبوط "الطائرة" – في مطار "هَوَّارِي بُو مَدْيَن"– بين المغرب والعشاء.. وكان خروجهما من "المطار" بعد حوالي ساعتين حتى انتهيا من الإجراءات المعتادة كانتظار "الحقائب" والمرور على "الجوازات"، وأخيرا المرور على "الجمارك".. وبمجرد رؤية "العبد لله" للشارع؛ لفت انتباهه صف سيارات الأجرة "التاكسي" – الصفراء – الطويل الذي يبدأ من أمام "مدخل المطار". وقبل أن يستوعب ما رأى، قال الدكتور "محمد القرش":

ـ (يَلاَّ نَاخُد التَّاكْسِي الأَوَّلاَنِي الّلِي عَلِيه الدُّور).

ـ (يَلاَّ.. شُوف كَاتْبِين على البِتَاعَة الّلِي على ضَهْر العربيَّة طَاكْسِي بِالطَّه بَدَل تَاكْسِي بِالتِّه زَيّنَا).

ـ (هُوَّا دَا سِلْوُهُم بَقى).. وقبل أن يبدأ "السائق" بإدارة مُحَرِّك السيارة؛ قال للدكتور "محمد" الذي جلس بجواره:

ـ (وِيرَّايْحِين؟). رَدَّ عليه الدكتور "محمد" بسرعة:

ـ (حَيّ الحَرَّاشْ لَوْ سَمَحْت).. ولمَّا سمع – "العبد لله"– كلمة "الحَرَّاشْ"، تصَوَّر أن هذا الحي يوجد في منطقة صحراوية مليئة بالأحراش...

(20)

عندما أنْزَلَهما سائق "التاكسي" في "حيّ الحَرَّاش"؛ لم يلاحظ أيّ آثار للأحراش – كما تصَوَّر– بل وجَده حيًا شعبيًا عاديًا تَغْلُب عليه المباني النَّمَطِيَّة "الحكومية".. كان يشعر وهو يمشي مع الدكتور "محمد" في طريقهما إلى سكَن زميله – في "علوم طَنْطَا"– أنه ذاهب إلى المجهول، كما أشعره السكون الذي يَلُفّ المكان – ما عدا أصوات "الحشرات الليلية" والظلام الذي لم تقْوَ أعمدة الإنارة المتناثرة على تبديده بالانقباض.. وباغته الهاجِس التالي:

ـ (هَلْ مُمْكِن يِكُون الدكتور محمد بِيْفَكَّر يِخْلَع مِنِّي؟.. وهَلْ مُمْكِن يِقول لي شُوف لَك سِكَّة اعْذُرْنِي أنَا أَصْلِي مَقولْتِش لِزْمِيلِي حَاجِيب حَدّ مْعَايَا؟). وقال في "نفسه" وقد أصابه "الهَلَع":

ـ (يَارَبّ اسْتُر، دَا هُوَّا الحَبْل السُّرِّي بِالنِّسْبَالِي الّلي لُولاه مَاعْرَفْشِي إِيه الّلي حَايِجْرَالِي، يَارَبّ اسْتُر)..

أنقذه الدكتور "محمد" من الهواجس التي كادت تفقده صوابه عندما قال:

ـ (مُعْظَم أَسَاتْذِة الجامعة بِيْسْكُنُوا في الحَيّ دَه وبالأخَص المُعَارِين. أَبْصَر حَايْشَغَّلُونا هِنَا وَلاَّ في وِلاَيَة تَانْيَة).

ـ (يَارِيت يِكُون هنَا بَدَلِ الشَّعْطَطَة.. هِيَّا العِمَارَة الّلي سَاكِنْ فِيهَا الدُّكْتُور لِسَّا بْعِيد؟).

ـ (خَلاَص خَطْوِتِين.. هِيَّا لَوْ كَانَت بِعِيدَة كُنْت خَلّيت التَّاكْسِي نَزّلْنَا عَلَى الشَّارِع العُمُومِي؟).

ـ (طَبْ لِيه مَاخَلّيتُوش وَصَّلْنَا لْغَايِة العِمَارَة؟).

ـ (يَا دُكْتُووور خَلّيك نَاصِح.. لَوْ خَلّيتُه يِدْخُل بِينَا فِي الشَّوَارِع الجَّانِبِيَّة حَايِطْمَع وِيطْلُب أَكْتَر)...

(21)

قابَلهما "الدكتور" زميل الدكتور "محمد القرش" بالتِّرْحَاب.. وبعدما أجْلَسَهُما – في "غرفة الجلوس"–

عَرَّفَهُ ب"العبد لله" قائِلاً:

ـ (الـدُّكْتُور سَـيّد مـن هيئـة المـواد النوويـة، جَـايْ بِـدَرّس كِمْيَـا زَيّ حَـالاَتِي). قـال "الدكتور" زميله:

ـ (يَا أَهْلاً وَسَهْلاً، الحمد لله على السّلامة). وقال الدكتور "محمد":

ـ (الدكتور كمال جُوهَرْ، أَخُويَا وحَبِيبِي وزِمِيلِي فِي عُلُوم طَنْطَا). قال "العبد لله":

ـ (تَشَرَّفْنَا). قال الدكتور "كمال":

ـ (عَنْ إِذْنُكُوا ثَوَانِي).. وعاد – بعد قليل– وبيديه "صينية" عليها ثلاثة أكواب مَلْئَى بمشروب "الكوكاكولا". وبعدما وضعها على "طاولة" صغيرة تتوسط الحجرة، ناول "العبد لله" واحدة، ثم ناول الدكتور "محمد" الثانية قائلًا:

ـ (اتْفَضَّلُوا على مَايْجَهِّزُولْكُوا لُقمَة عَلَى مَا قُسُوم.. زَمَانْكُوا مَيِّتِين من الجُوع). فقالا في "نَفَس واحد":

ـ (أَلْف شُكْر وَاكْلِين في الطَّيَّارَة). قال الدكتور "كمال":

ـ (يَا دكاترة.. دَا أَكْل الطَّيَّارَة لاَ يُسْمِن ولاَ يُغْنِي من جُوع، دِي عَيِّنَات زَيّ مَابِتْقولُوا عَنْدُكُوا فِي الكِمْيَا). قال الدكتور "محمد":

ـ (هِيَّا الكُوكَاكُولا مَوْجُودَة هِنَا؟). قال الدكتور "كمال":

ـ (فِيه عَنْدُهُمْ أَصْنَافْ مَحَلِّيَّة كْتِيرْ زَيّ حَاجَة اسْمِهَا سَعِيدَة مَثَلاً؛ بَسّي الكُوكَاكُولا والبِيبْسِى مَوْجُودِين).. وعندما دخل طفلاه الصغيران – لا يتعَدَّى كبيرهما الخامسة من العمر– قال الدكتور "كمال":

ـ (وِلاَدِي محمد ومصطفي). قال "العبد لله":

ـ (رَبِّنَا يْخَلِّي). وقال الدكتور "محمد":

ـ (يِتْرَبُّوا في عِزَّك". قال الدكتور "كمال" لولديه:

ـ (يَلَّا سَلِّمُوا على عَمُّو سَيّد وعَمُّو محمد).. وخرج الدكتور "كمال" من الحجرة تاركًا ولداه لِيُسَلِّمَا عليهما.. وعاد بعد قليل ب"صينية" الطعام، فقال الدكتور "محمد":

ـ (انْتَ مُصِرّ بَرْضُه يَا ابُو محمد؟). قال الدكتور "كمال":

ـ (يَا بِيه اتْفَضَّلُوا دَابِيتْكُوا ومَطْرَحْكُوا؛ حَاجَة كِدَه عَلَى مَا قُسُوم).

ـ (رَبِّنَا يِجْعَلُه عَامِر)...

(22)

بعد انتهائهما من تناول الطعام، أخرج الدكتور "كمال" "الصينية".. وعاد وجلس معهما.. وبعد قليل جاءت زوجته تحمل "صينية" صغيرة عليها ثلاثة أكواب من "الشاي". أَلْقَتْ عليهما السلام ثم أعطت "الصينية" لزوجها الذي قال بعدما وضع "الصينية" على "الطاولة":

ـ (أُمّ محمد). وقالت الزوجة موجهة كلامها لِكِلَيْهما:

ـ (ان كَان مَعَاكُوا حَاجَة.. أَكْل يَعْنِي مُمْكِن تِجِيبُوهَا عَشَان احُطَّهَا في التَّلّاجة عَشَان مَاتْبُوظْشِي). قال الدكتور "محمد":

ـ (مَافِيش مَعَايا حَاجَة تْبُوظ الّلِي مَعَايَا كُلُّه نَوَاشِف). أمَّا "العبد لله" فقال:

ـ (فِيه مَعَايَا فَرْخَة مَحْشِيَّة أُمّ محمد حَطَّتْهَالِي بِالعَافْيَة، أَنَا كُنْت نِسِيتْهَا لُولاَ حَضْرِتِك فَكَّرْتِينِي أَلْف شُكْر). قالت "أم محمد":

ـ (طَيِّب هَاتْهَا أَحْسَن المَحْشِيَّة بَرَّا التَّلَّاجَة بْتِضْرَب أَوَام).. وبعد خروج "زوجة" الدكتور "كمال"، قال الدكتور "محمد":

ـ (يَاتَرَى حَايِعْمِلُوا إِيه مَعَانَا وِاحْنَا مِتْأَخَّرِين كِدَا). قال الدكتور "كمال":

ـ (دُول حَتَّى رَجَّعُوا نَاس عَنْدِنَا في قِسْم الفِزْيَا، قال إيه مَافِيش لُهُم مَكَان). كاد – "العبد لله"– أن ينْهَار بعد سماعه هذا الكلام؛ فلا يهمه الرجوع رغم أن السفر كان الفرج الذي هيأه الله له بعدما "ضاقت حلقاتها – عَليه– واستحكمت" ولكن من أين له بالنقود لشراء "تذكرة" العودة.. وانتبه على صوت الدكتور "محمد":

ـ (هُوَّا لِعْب عْيَال؟ يِجِيبُونَا مِن بِلاَدْنَا على مَلَى وِشّنَا، وِبَعْدِين بِبِسَاطَة كِدَا يقولُولْنَا عُودُوا مِن حَيْثُ جِئْتُم.. ومَاتِعْرَفْشِي رَجَّعُوا حَدّ مِن بِتُوع الكِمْيَا وَلاَّ لَأْ؟". قال الدكتور "كمال":

ـ (والله أَنَا بَاتْكَلَّم عَلَى بْتُوع الفِزْيَا، وعلى العُمُوم هُمَّا هِنَا بِيْحِبُّوا الهَدَايَا، لَوْ مَعَاه الهِدِيَّة المُعْتَبَرَة ويَاسَلاَم لَوْ كَانَت سِلْسِلْة دَهَب تِقيلَة حَيْقعَّدُوه وِيِضْرَبُولُوا تَعْظِيم سَلاَم). فقال الدكتور "محمد":

ـ (دَا احْنَا طِلِعْنَا طَيِّبِين قوِي يَا دُكْتُور سيّد).. انْتَاب "العبد لله" شعورًا مُبَاغِتًا بالضَّيَاع؛ ولكي يبدو مُتَّزِنًا فقد قال:

ـ (والله يَا دُكْتُور محمد كُلّ شِيء نَصِيب). فقال الدكتور "كمال":

ـ (كُلّ شِيء نَصِيب عَلَى رَأْي الدُّكْتُور سيّد.. الصُّبْح ان شاء الله أَوَدِّيكُوا الوزارة بعَرَبِيِّتِي قبْل مَارُوح الجامعة بَسِّي مَاتِنْسُوش جَوَاب الاسْتِدْعَا بتَاعْهُم الّلِي انْتُوا جَايِّيِّن على أَسَاسُه". قال الدكتور "محمد":

ـ (أَلْف شُكْر يَا دُكْتُور حَانِتْعِبَك مَعَانَا). رد الدكتور "كمال":

ـ (على إِيه يَا دُكْتُور دا وَاجِب عَلِينَا مَفْرُوض تِنَامُوا انْتُوا دِلْوَقْتِي مُرْهَقِين مِن السَّفَر). قال الدكتور "محمد":

ـ (ومِن سِمْعَك). قال الدكتور "كمال":

ـ (وخَاصَّةً إنّ السَّفر بِالطَّيّارة بِيْلَخْبَط السَّاعَة البَيُولُوجِيَّة بْتَاعِت الواحد)...

(23)

لم يغمض له جفن – تقريبًا– لعدة أسباب، أهمّها سُعَال الدكتور "محمد" المتكرر.. وعندما طَرَقَ الدكتور "كمال جوهر" باب "الحجرة" لإيقاظهما – استعدادًا للذهاب إلى مقر "وزارة التعليم العالي"– انتبه فورًا.. وكان خروجهم من "شقته" في حوالي الساعة التاسعة ومن ثم اصطحبهما بسيارته "الرّينُو" الصغيرة إلى هناك.. وعندما وصَلوا إلى مقر "الوزارة"، قال الدكتور "كمال":

ـ (آدِي الوزارة.. تِسْأَلُوا على الأستاذ حَسَّانِي بُو زْيَان مَسْئُول المُتَعَاوْنِين الّلِي هُوَّا احْنَا يَعْنِي.. بِالتَّوْفِيق إن شَاء الله). قال "العبد لله" :

ـ (أَلْف شُكْر يا دُكْتُور). قال الدكتور "كمال":

ـ (لاَ شُكْر على وَاجِب.. لَمَّا تْخَلَّصُوا رَوَّحُوا على البِيت؛ أُمّ محمد زَيّ أُخْتُكُوا). قال الدكتور "محمد":

ـ (طَبَعًا.. رَبِّنَا يِكْرِمَك يَا دُكْتُور كَمَال)...

(24)

في طريقهما إلى مكتب الأستاذ "حَسَّانِي"، رأيا شخصًا – بدا من ملامحه أنه "مصريًا"– جالسًا في "صالة الانتظار". ولَمَّا ألْقَيا عليه "السلام" ابتسم وانفرجت أساريره. وقال بعد رَدّه "السلام":

ـ (أَنَا لِسَّا خَارِج مِن عَنْدُه.. اتْفَضَّلُوا مَاعَنْدُوش حَد أَنَا حَاسْتَنَّاكُوا).. ولَمَّا دخَلا مكتب الأستاذ "حَسَّانِي" فوجئا بصغر "سِنِّه" – بالنسبة لهما– ونحوله الشديد. وبعدما ألْقيا عليه "السلام"، قال:

ـ (اتْفَضَّلُوا، اجْلِسُوا).. وبعدما جلسا، بدأ بالتحدث مع الدكتور "محمد". أما "العبد لله" فراح يفكر ويضرب "أسْداسًا في أخْمَاس" في قراره بالنسبة له.. وانتبه على قوله:

ـ (يَا شِيخ مُحَمَّد.. رَاك اتْعَيَّنْت في أُمّ البُواقِي، رَاهَا بَرْدِ شْوِيَّة لَكِين مَعَلِيش رَاك جَدْهَا وجْدُود). وتَوَجَّه إلى "العبد لله" بالكلام قائلًا:

ـ (وانْتَ يَا شِيخ.. يَا شِيخ، جُلْتِلِي شِي يْسَمُّوكْ؟).

ـ (الدكتور السيد ماضِي حسين).

ـ (طَيِّب يَا دُكْتُور ماضِي، فَرِّجْنِي على الاسْتِدْعَاء من فَضْلك). قال "العبد لله" وهو يعطيه "الاستدعاء":

ـ (حَضْرِتَك اسْمِي الأَوَّل السيد).

ـ (أَنَا خَمَّنْتَك تُجْصُد مِسْيو بالفِرَنْسِيَّة). قال "العبد لله":

ـ (كَلاَمَك صَحّ؛ اسْمِي مَكْتُوب ماضِي حسين فِي تَأْشِيرِتْكُم على البَاسْبُور). وعندما أطال الأستاذ "حَسَّانِي" النظر في "الاستدعاء"؛ انقبض قلب "العبد لله" بشدة.. وبعد قليل رفع الأستاذ "حَسَّانِي" رأسه ونظر إلى "العبد لله" قائلاً:

ـ (رَاك اتْعَيَّنْت في مُسْتْغَانِم يا شِيخ.. نَاس مُسْتْغَانِم طْيَاب بالزَّاف، الشِّيخ الّلي كَان هْنَايَا رَايِح وِيَّاك).. شكر – "العبد لله"– الأستاذ "حساني" بعدما سمع كلماته التي نزلت بردًا وسلامًا على قلبه، وقال "في نفسه":

ـ (أَحْمِدَك يَارَب وأَشْكُر فَضْلَك؛ الدُّكْتُور محمد حَبْلِي السُّرّي لَمَّا رَاح أُمّ البَوَاقِي عَوَّضْتِنِي بِحَبْل سُرّي من بَعْدُه وهُوَّا الدُّكْتُور المَصْرِي، يَارَبّ يْكُون عَنْد حُسْن ظَنِّي).. وبعد خروجهما من عند الأستاذ "حَسَّانِي"؛ قال "الدكتور المصري" الذي كان في انتظارهما:

ـ (وَدَّاكُوا فِين؟). قال "العبد لله" وهم في سبيلهم إلى الخروج من "الوزارة":

ـ (الدُّكْتُور محمد رَاح جامعة أُمّ البَوَاقِي).

ـ (وِلاَيَةْ أُمّ البَوَاقِي دِي فِي الشَرْق وعَشَان على جْبَال مُرْتَفِعَة التَّلْج بِيْغَطِّيهَا في مُعْظَم أيَّام الشِّتَا.. رَبِّنَا يْعِينَك عَلِيهَا يا دُكْتُور). قال الدكتور "محمد":

ـ (الله يِخْرِب بيُوتْهُم دانَا تَعْبَان أنا عَنْدِي رَبْو مُزْمِن.. يَلاَّ كُلّ شِيء نَصِيب). غَيَّرَ "الدكتور المصري" دَفَّة الحديث وقال ل"العبد لله":

ـ (وِانْتَ رُحْت فِين يَا دُكْتُور؟).

ـ (أَنَا رُحْت مُسْتِغَانِم مَعَاك.. مَاتْشَرَّفْنَاش بِالاسْم).

ـ (أَخُوكُم عبدالرحمن الغُنِيمِي مِن كلية الزراعة جامعة الزَّقازِيق).

ـ (تَشَرَّفْنَا).. وقال الدكتور "محمد القرش" للدكتور "عبد الرحمن الغنيمي":

ـ (أَخُوك محمد القِرْش من كلية العلوم جامعة طنطا، والدكتور سيد من..). وقبل أن يُكْمِل قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (أَهْلاً وَسَهْلاً). فقال الدكتور "محمد":

ـ (الدكتور سيد قابْلِتُه ظُرُوف صَعْبَة مُفَاجْئَة؛ مَامْعَاهُوش دُولاَرَات وَلاَ فْلُوس جَزَائِرِيَّة كَان بِيحْسِب انُّه حَايْغَيَّر في المَطَار.. ولَمَّا كَان عَايِز يِرْجَع أَنَا الّلِي مَارِضِيتْشِي؛ أصْلُه ابْن حَلاَل لَمَّا اتْفَرَّقْنَا عن بَعْض رَبِّنَا عَوَّضُه بِيك عَنِّي). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (وَلاَ يْهْمَّك.. انْتُوا نَازْلِين في أَنْهُ فُنْدُق؟). قال الدكتور "محمد":

ـ (احْنَا نَازْلِين عَنْد دكتور زِمِيلِي بِيْدَرِّس في جامعة الجَزَايِر العاصمة سَاكِن في حَيّ الحَرَّاش). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (أَنَا نَازِل في فُنْدُق السَّفِير، ودِي تَانِي لِيلَة). قال الدكتور "محمد":

ـ (وِدَا فُنْدُق حَرَّاق خَمَس نُجُوم وَلاَّ بِمْكِن سَبْعَة حَتَّى؛ الله يِكُون في عُونَك). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (خُد يا دكتور سيد الخَمْسَة وعِشْرِين دِينَار دُول خَلِّيهُم في جِيبَك). قال الدكتور "محمد":

ـ (خُدْهُم مِن أخُوك). فقال "العبد لله":

ـ (مَاشِي يَا دُكْتُور، شُكْرًا).. وأخذ منه الورقة ذات "الخمسة وعشرين دينارًا". وكانت ورقة زرقاء صغيرة في حجم الورقة ذات "الخمسة قروش المصرية".. وتابع الدكتور "عبدالرحمن" قائِلاً:

ـ (تَعَالُوا أمَّا نْرُوح نِحْجِز التَّذَاكِر الّلِي بِيْقولُوا عَلِيهَا التِّكِتْ.. مَحَطِّة الحَافِلاَت الرَّئِيسِيَّة قُرَيِّبَة من هِنَا).. وحجز الدكتور "عبدالرحمن" – لهما– "تذكرتين" إلى "مستغانم" على "الحافلة" التي ستتحرك من "المحطة" في تمام الساعة "التاسعة مساءً".. وحجز الدكتور "محمد" – لنفسه– "تذكرة" إلى "أُمّ البواقي" على "الحافلة" التي ستتحرك في تمام الساعة "الثامنة إلاَّ رُبْعًا".. وبعد الانتهاء من حجز "التذاكر"، قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (تَاخُد تَذْكَرْتَك مَعَاك؟). فقال "العبد لله":

ـ (لاَ خَلّيهَا مْعَاك أَحْسَن مَانِعْرَفْشِي نِتْقابِل لا قَدَّرَ الله أَبْقَى ارْجَع عَلَى الدُّكْتُور كَمَال بِالخَمْسَة وعِشْرِين قرْش الّلِي مْعَايَا، قصْدِي الخَمْسَة وعِشْرِين دِينَار). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (طَيِّب نِتْقابِل في المَحَطَّة، بَسّي تَعَالى بَدْرِي أَصْل الأُتُوبِيس الّلِي حَنَاخْدُه بتَاع وَهْرَان آخِر مَعَاد).

ـ (ان شَاء الله).. وبعدما تَرَكَا الدكتور "عبدالرحمن"، قال الدكتور "محمد":

ـ (مَاتِيجِي نَاخُدْهَا مَشْي الحَرَّاش مِش بِعِيد آهُو نِتْفَرَّج على الأمَاكِن دِي الّلِي بِنْشُوفْهَا لأَوّل مَرَّة وِيمْكِن مِش حَانْشُوفْهَا تَانِي).

ـ (مَاشِي وكَمَان نِضَيَّع في الوَقت على مَايِيجِي الدكتور كمال)...

(25)

كانت الساعة قد جاوزت "السابعة مساءً" – ب"دقائق"– عندما خرجا من بيت الدكتور "كمال" بعدما صَلَّيا المغرب والعشاء "جمعًا وقصرًا".. وأعطت زوجته "الكريمة" كلاً منهما "سندوتشين"؛ وأيضًا لم تنسَ إعطائه "دجاجته المَحْشُوَّة" التي كانت تحفظها له في "ثلّاجتها".. وضع "الدجاجة" مع "السندوتشين" – بعد شكر السيدة "الكريمة"– في الحقيبة "السمسونايت".. وركبا سيارة الدكتور "كمال" – "الرِّينُو"– الصغيرة التي كانت واقفة أسفل "العمارة" ومعهم طفلاه اللذان كانا قد تَعَلَّقَا بهما بشدة وخاصة ب"العبد لله"...

(26)

بمجرد وصولهم إلى "محطة الحافلات"، بدأ الدكتور "محمد القرش" في إجراءات "الوداع" على عجل،

فقال "العبد لله":

ـ (مِش لِسَّا بَدْرِي يا دكتور؟). وقال الدكتور "كمال":

ـ (فَاضِل على مَعَاد التَّحَرُّك أَقلّ من نُصّ سَاعَة، يَارَبّ يا دكتور محمد تِلْحَق تلاَقيلَك مَكَان وَلَوِنّ رَقَم الكُرْسِي مَكْتُوب على التِّكِت بَسِّي في الزَّحْمَة مَاتِضْمَنْشِي).. عندئذ ودَّع الدكتور "محمد" صديقه – وزميله– الدكتور "كمال" بالأحضان، وكان يقول:

ـ (نشُوف وِشَّك على خِير يا كُمُل وأَلْف شُكْر على الاسْتِضَافَة). فقال الدكتور "كمال":

ـ (لا شُكْر على وَاجِب وبِالتَّوْفِيق ان شاء الله وتِوْصَل بِأَلْف سَلاَمَة).. وكان الدكتور "محمد" مشغولاً "بتقبيل" الطفلين، وبعد ذلك أقبل على "العبد لله" وأخذه ب"الحُضْن" وهو يقول:

ـ (السَّلاَم عَلَيْكُم يا دكتور سيّد، مَعْرِفْتَك كَانَت مَعْرِفَة خِير وَنِعْمِين.. نشُوف وِشَّك على خِير ورَبّنا يوَفَّقك).

ـ (الله يِحْفَظَك.. مع أَلْف سلامة). وأخذ الدكتور "كمال" و"العبد لله" يلَوِّحان له بينما كان يسرع الخُطَى نحو موقف "الحافلات".. وبعدما توارى الدكتور "محمد" عن الأنظار، قال الدكتور "كمال":

ـ (يِلْزَم أيّ خِدْمَة يا دكتور سيّد؟.. الحَافِلَة بتَاعِت وَهْرَان الّلي حَاتِرْكُبُوهَا زَمَانْهَا قرَّبت تِوْصَل.. حَاتْرُوح تُقعُد في صَالة الانْتِظَار على مَايِيجي الدكتور عبدالرحمن وِيمْكِن تِلاَقِيه مِسْتَنِّيك عَشَان تِرْكُبُوا برَاحِتْكُوا). فوجئ "العبد لله" بما قاله الدكتور "كمال"، فقال في "نفسه":

ـ (هُوَّا حَايِمْشِي والدكتور محمد مِشي وأَبْصَر الدكتور عبدالرحمن جه ولَّا مَجَاش).. وبدا أن الدكتور "كمال" لاحظ – على "قَسَمَات وجه "العبد لله"– انعكاس ما جال ب"خاطره"، فقد قال له:

ـ (لَوْ حَصَل أَيّ حَاجَة يَعْنِي لَوْ لا قَدَّرَ الله مَاعِرِفْتِش تِتْقابِل مع الدكتور عبدالرحمن، انْتَ عَارِف البِيت تَعَال علي طُول).

ـ (حَايِيجِي ان شاء الله وأَلْف شُكْر على الاسْتِضَافَة.. اتْفَضَّل حَضْرِتَك عَشَان الأوْلاَد). وأقبل عليه ليعانقه مُودِّعًا وهو يقول:

ـ (السَّلاَم عَلَيْكُم نِشُوف وِشّ حَضْرِتَك على خِير ويَارَبّ يدِيم المعروف). واحتضن الطفلين وقَبَّلَهُمَا بتَأَثُّر. ولَمَّا هَمّ بتركهم؛ بكى الطفلين بشدة.. وبينما استمر "مصطفى" في البكاء قال "محمد" من خلال بكائه:

ـ (مَاتِمْشِيش يَاعَمُّو سيد).. كادت الدموع "تَفِرّ" من عينيه تأثرًا لبكاء الطفلين.. وأنقذ أبوهما الموقف قائلاً:

ـ (عَمُّو سيّد رَايِح شُغْلُه وحَيِبْقى يِيجِي يزُورْنَا.. يَلاَّ قولُوا مَعَ السَّلاَمَة يَا عَمُّو سيّد)...

(27)

رغم قِصَر المسافة التي مَشَاها من "رَحْبَة المحطة" الخارجية – حيث كانت تقف سيارة الدكتور "كمال"– إلاَّ أنه وصَل "يلْهَث" وذلك بسبب ثِقَل "الحقيبة" الكبيرة التي كان يحملها في يد والحقيبة "السمسونايت" التي كان يحملها في اليد الأخرى.. ولما وصل، "ارْتَمَى" على "مقعدا" – وجده خالٍ– كان يلي "البوابة الرئيسية" مباشرة غير مُهْتَمًا بالأعداد الغفيرة من "المسافرين".. وبعدما مَرَّ من الوقت مايقرب من ال"نصف ساعة"، قال في "نفسه":

ـ (الدكتور عبدالرحمن لِسَّا مَاجَاش، يارَبّ اسْتُر.. أمَّا اطَلَّع السَّنْدَوِتْشَات عَشَان مِش حَمْلك آكُلْهُم في الأُتُوبِيس، وآهُو أنْشِغِل عن التَّفْكِير في تَأْخِيرُه).. وبعدما أكل "السندوتشين"، نظر في ساعته فوجد عقاربها تشير إلى حوالي "الثامنة والرّبع"..

وداهمته "انْقِبَاضَة" مُفاجئة عندما رأى "المسافرون" – الذين كانوا ك"خلية النحل"– قد صاروا متناثرين "فُرَادَى وجماعات" بشكل ملحوظ؛ فراح يتَرَقَّب – ب"لَهْفَة"– وصول الدكتور "عبدالرحمن".. وبعد دقائق رأى "شُرْطِيًا" يمُرّ بين الناس – "القليلون"– وهو يقول:

ـ (جَـعِّ النَّاس يُخُرْجُوا حَانْسَكِّر). فهِم – ب"الفراسة"– أنه يقصد خروج الناس من "المحطة" لأنهم سيغلقونها.. تَجَاهَل أوامر "الشرطي" وظلّ متشبثا بالكرسي رغم انقباض قلبه عدة مرات.. وفي الساعة "الثامنة والنصف" بالضبط، فوجئ بطرد "الشرطي" لِمَا تَبَقَّى من الناس إلى خارج "المحطة" ب"فظاظة".. امتثل للأوامر وحمل "حقيبتيه" وخرج وهو يقول في "نفسه":

ـ (مُرْغَمٌ أَخَاكَ لاَ بَطَل، أَخْرُج واسْأَل على رصيف حَافِلَة وَهْرَان، وهنَاك أَنْتِظِر الدكتور عبدالرحمن)...

(28)

كان موقف "حافلات وهران" شبه مُظلم.. بالكاد تَبَيَّن رؤوس الناس على "بصيص" الضوء الآتي من "المصابيح" البعيدة، ورغم ذلك راح يتَجَوَّل – بنظراته– بين "المسافرين" الذين ينتظرون "الحافلة" بحثًا عن الدكتور "عبدالرحمن" حتى تأكّد من عدم وصوله.. أحس بالانقباض، وداهمته "الهواجس" المُفْزِعة عَمَّا سيحدث له في حالة عدم حضور الدكتور "عبدالرحمن".. وأخذ عقله "يوَدِّي ويجيب"، وقال في "نفسه":

ـ (يَارَبِّ اسْتُر.. على العُمُوم فِيه أَمَل الأتُوبِيس لِسَّا مَاوْصِلْشِي).. وسمع – على غير توَقُّع– أصوات متداخلة ب"اللهجة المصرية"، فقال في "نفسه":

ـ (أَحْمِدَك يَارَبّ أَنَا حَاسِس إنّ المَصْرِيِّين دُول نَجْدَة من السَّمَا). ولَمَّا ذَهَب إليهم وجَدهم مجموعة من "الشباب" كانوا يجلسون على "حقائبهم" وقد عَلَت وتيرة "تَهْرِيجُهُم".. وبعدما ألقى عليهم السلام، قال لهم:

ـ (هِيَّا الحَافِلَة اتْأَخَّرَت لِيه؟).. قام الذي كان جالسًا بجواره وقال بعد أن رَدَّ السلام:

ـ (زَمَانْهَا جَيَّة).

ـ (حَضْرِتَك مِنِين فِي مَصْر؟).

ـ (من المنصورة، أنا وزَمَايْلِي دُوول مُدَرِّسِين ثَانَوِي).

ـ (نَازْلِين فِين ان شاء الله).

ـ (في سيدي بِلْعَبَّاس، وحَضْرِتَك؟).

ـ (أنَا رَايِح مُسْتِغَانِم).

ـ (دكتور جامعي، صَح؟).

ـ (ان شاء الله).

ـ (بِالسَّلاَمَة).. وعاد إلى الجلوس – فوق "حقيبته"– وواصل "التهريج" مع أقرانه بينما راح هو يراَقب مجيء الدكتور "عبدالرحمن" بلهفة.. ولما جاءت "الحافلة"؛ هَبَّ "المدرس" واقفًا ثم قال له:

ـ (يَلاَّ اتْفَضَّل عَرَبِيّة وَهْرَان).

ـ (مَاشِي شُكْرًا أصْلِي مُنْتَظِر وَاحِدْ زِمِيلِي).

ـ (طَيِّب ومَالُه انْتِظْرُه في العَرَبِيَّة).

ـ (مَايِنْفَعْشِي لاَزِم اسْتَنَّاه على الأرْض).. عندئذ تركه وانضم لأقرانه في سباق وضع الحقائب في "بطن الحافلة".. ولَمَّا كان على وشك أن "يفقد الأمل" في مجيئ الدكتور "عبدالرحمن"؛ رآه – فجأة– مُقْبِلاً يحمل على كتفه "حقيبة" كبيرة منتفخة – بشكل لافِت– ويتَعَثَّر في مشيه، فقال له:

ـ (إيهِ الّلي أَخَّرَك يا دكتور وَغْوَشْتِنِي عَلِيك؛ دَا العَرَبِيَّة قرَّبَت تقوم). قال بلهجة فيها بعض الحزم:

ـ (يَلاَّ بْسُرْعَة افْتَح الغَطَا دِه خَلّينَا نِحْدِف الشُّنَط، حَاقولَّك بَعْدِين)...

(29)

وجد مكانًا خاليًا – في جانب "السيارة" الأيمن– بجوار شخصًا كان يشغل "المقعد" الذي بجانب "النافذة". وجلس الدكتور "عبدالرحمن" – في جانب "السيارة" الأيسر– في "المقعد" الموازي ل"المقعد" الذي جلس عليه – تفصلهما "الطُّرْقَة"– بجوار شخص آخر يحتل "المقعد" المجاور ل"النافذة".. تحركت "السَّيَّارَة" مخترقة "الشوارع" في طريقها إلى "الطريق السريع".. كان يجد مُتعة في النَّظَر إلى "لافتات الدَّكَاكِين" التي كانت تختلف عن "اللآفتات" في مصر فمثلاً كان مكتوبًا على "لافتة" دكان "البَقَّال":

ـ (مَوَاد غِذَائِيَّة عَامَّة)!. وعلي "لافِتَة" دكان تنظيف الملابس ب"البخار":

ـ (التَّنْظِيف الوَهْمِي السَّرِيع)!.. ولمَّا أراد كسر "حاجز الصمت" بينه وبين "الرَّاكِب" الذي بجواره، قال له:

ـ (حَضْرِتَك من مَصْر؟).

ـ (أَنَا عِرَاقِي).

ـ (وإيهِ المِهْنَة؟).

ـ (مُدَرِّس ثَانَوِي).

ـ (في أيّ ولاية).

ـ (في وهران).. وبعدما "انْدَمَجا" في الحديث، قال له:

ـ (وجَايْ لِيه الجَزَايِر إذَا كَان النَّاس بِيْرُوحوا عَنْدُكُم؟).

ـ (أَنَا هَرْبَان من البَطْش والظُّلُم). لم يعَقِّب – "العبد لله"– على ما قاله "العراقي" وتشاغل عنه بالنظر عَبْر "النافذة"...

(30)

عندما تذَكَّر "الدجاجة المَحْشُوَّة" قرر أن يتَخَلَّص منها قبل أن "يِجْرَى لها حاجة"، فقام وأنزل الحقيبة – "السمسونايت"– من على "الرَّف" وأخرج "الدجاجة" وقَسَّمَها على أربعة.. أعطى "رُبْعًا" لجاره "العراقي"، و"رُبْعًا" للدكتور "عبدالرحمن"، و"رُبْعًا" لجاره في "المقعد"، وأبْقَى "الرُّبْع" الأخير له...

(31)

كانت مدينة "البُلَيْدَة" – التي بدت ك"مدينة أشباح"– هي أوَّل مدينةَ يمُرّون عليها بعد مدينة "الجزائر العاصمة".. وبعدما تركوا "البُلَيْدَة" غلبه "النُّعاس".. وانْتَبَه – من غفْوته– على توَقُّف "الحافلة" في مدينة "سِيدِي بِالْعَبَّاس" – "والناس نيام"– لينزل النازلون ومنهم مدرسي الثانوي وليأخذ "السائق" و"الكمساري" و"الرُّكَّاب" قِسْطًا من الرَّاحَة...

(32)

تحركت "الحافلة" تاركة مدينة "سِيدِي بِالْعَبَّاس".. وبعدما قطعت مسافة "معتبرة"، قال الجار "العراقي":

ـ (شُوفْ اليَافْطَة الّلي بْتِعْتِرض الطّرِيق مُرَجّبَة بَالزَّائِرِين؟، يَعْنِي دَخَلْنَا فِي نِطَاق مُسْتْغَانِم، مَفْرُوض تِسْتَعِدّ).. وبعد قليل، سمع – "العبد لله"– صياح "الكمساري":

ـ (الّلِي بِبْغِي يِنْزِل مُسْتَغَانِم). هَبَّ الدكتور "عبدالرحمن" واقفًا وقال:

ـ (يَلاَّ يا دكتور). وكان "العبد لله" قد وقف – بعد سماعه صوت "الكمساري"– وسحب حقيبته "السمسونايت" من فوق "الرَّف"، وودَّعَ جاره "العراقي". وسار خلف الدكتور "عبدالرحمن" الذي سبقه إلى باب "الحافلة" الأمامي.. وبمجرد توَقُّف "الحافلة"، سبقهما "الكمساري" بالنزول وأخرج من "جيبه" مفتاحًا فتح به باب "التجويف" الذي في "بطنها" ثم قال لهما:

ـ (يَلاَّ خَرْجُوا البَاجَاج انْتَاعْكُوا).. سحب كلاً منهما "حقيبته". وبسرعة البرق سَكَّر "الكمساري" باب "التجويف وصعد إلى "حافلته" التي كانت قد تحرّكت بالفعل...

(33)

أشعره الصمت التام بأنهم مازالوا في "الهزيع" الأخير من الليل، فقال للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (إيه دِه دَا مَافِيش سَرّيخ ابْن يُومِين!). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (امَّال إيه، الفَجْر لِسَّا يَادُوب مْأَذِّن.. تَعَالَى نُقعُد على الدِّكَّة دِي على مَاتُفْرَج).. وبعد ثوان – من جلوسهما على "الأريكة"– اجتاحت جسد "العبد لله" "رِعْدَة البرد". ولَمَّا عَقَد "ذراعيه" على "صدره" – كرد فعل عفوي– قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (حَدّ يِيجِي بلاَدِ البَرْد دِي بِبَدْلَة بنُصّ كُم!).

ـ (أنَا قولْت احْنَا لِسَّا في الصّيف، الوَاحِد يِفْتِح الشَّنْطَة وِيْطَلّع جاكِتَّة؟).

ـ (انْتَ بْتِتْكَلَّم جَد؟؛ إوْعَى أحْسَن مَاتِعْرَفْشِي تلِمّهَا تَانِي وِهِيَّا مَحْشِيَّة كِدَا وعَامْلَة زَيّ الكُرْمْبَة.. اصْبُر زَمَان صَاحِب الكُشْك دِه يِيجِي ونُدْخُل نِدَّارَى فِيه ونِشْرَب حَاجَة تْدَفِّي قلْبِنا على مَالنَّاس تِتْحَرَّك ونَاخُد تَاكْسِي يْوَدِّينَا لِأَقرَب فُنْدُق).. وبعد حوالي نصف ساعة من جلوسهما على "الأريكة" – في "الطَّلّ"– جاء صاحب "الكشك" الذي حيّاهُما قائلاً:

ـ "صْبَاحِ الخِير". وبمجرد فتحه باب "كشكه" دخلا خلفه، وقال له الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (عَاوْزِين لَوْ سَمَحْت اتْنِين قهْوَة بِالَّلبَن واتْنِين كُرْوَاسُون). قال الرجل:

ـ (رَاكُوا مَصْرِيّين؟, تِبْغُوا زُوج كَافِيه أُولِيه؛ نُجْصُد قَهْوَة بِالحِلِيب وْزُوج كُرْوَاسُو؟). قال الدكتور "عبدالحمن":

ـ (صَحْ). قال الرجل:

ـ (دْجَايِجَ اسَوّي القَهْوَة).. كانت "الشمس" قد أشرقت – بنور ربها– ودَبَّت الحركة في المكان بعد أن شربا "القهوة بالحليب" وأكلا "الكرواسون".. وبعدما أعطى الدكتور "عبدالرحمن" للرجل ثمن "القهوة بالحليب" و"الكرواسون"، قال له:

ـ (مَاتِعْرَفْشِي فُنْدُق فِي المَنْطِقَة؟). قال الرجل:

ـ (أوَجِّف إلْكُوا طَاكْسِي يْوَصِّلْكُوا).. حملا حقائبهما وخرجا خلف صاحب "الكشك" الذي تطَوَّع – مشكورًا– ليوقف لهما "سيارة أجرة".. أشار صاحب "الكشك" لأوّل "سيارة أجرة" وصلت إلى المكان.. وبعدما توقَّف "السائق"، قال له الدكتور "عبدالرحمن" ب"الفصحى":

ـ (أقْرَب فُنْدُق لَوْ سَمَحْت). قال "السائق":

ـ (اتْفَضَّلُوا).. شَكَرا صاحب "الكشك" قبل أن يركبا "التاكسي" الذي انطلق بهما إلى "الفندق".. وبعدما سار "سائق التاكسي" عدة ثوان في "الشارع الرئيسي"، انحرف إلى العديد من "الشوارع الجانبية".. وكان كلما يخرج من شارع، يعود إليه وكأنه يدور في "حلقة مُفْرَغة".. وبعدما دَوَّخَهُما "السَّبَع دُوخَات"، وقف أمام "حارة سَدّ" وأشار إلى "مبنى" في نهايتها قائلاً:

ـ (هَاكَ الفُنْدُق).. وبعدما أعطى الدكتور "عبدالرحمن" لسائق "التاكسي" أُجْرَته، قال بعد انصرافه:

ـ (هُمَّا كِدَا مَارْكِةِ البَنْزِين فِي أيّ بَلَد؛ شُوف فضل يِلِفّ بِينَا، وِهِيَّا يَادُوب فَرْكِتْ كَعْب).

ـ (وِدِه عَشَان يِزَوَّدِ الأُجْرَة، امَّال إيه مَاحْنَا لُقطَة).

ـ (يَا عَمّ السَّيِّد مِشْ قالُوا فِي المَثَل، الغَرِيب أعْمَى وَلَوْ كَان بَصِير.. شِيل شُنَطَك وِيَلاَّ عَلَى الفُنْدُق)...

(34)

كان "الفندق" عبارة عن "بناية" متواضعة يشبه "لوكاندات" شارع "كلوت بك" في "القاهرة". ولمَّا دخلاه، بدا أنه خاليًا من النزلاء.. وبدون مقدمات قال الدكتور "عبدالرحمن" ل"موظف الاستقبال":

ـ (إحْنَا أسَاتْذَه فِي الجَامْعَة، نُرِيد حُجْرَة بِسرِير نرَيَّح فِيهَا شْوَيَّة قَبْل الذَّهَاب إلَى الجامعة).

ـ (عَلَاش بْتِتْكَلَّم بِالعَرْبِيَّة يَا شِيخ رَانَا بْنِفْهَم اللَّهْجَة المصرية؛ أَوِي أَوِي). قال "العبد لله":

ـ (من الأفلام ومن مسلسلات التلفزيون؟). رد "الموظف":

ـ (صَح يا شيخ). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (طَيِّب مَقولْتِلِيش هَل طَلَبْنَا عَنْدَك؟).

ـ (مَاعَنْدِيش إلاَّ حُجْرَة بْزُوجْ سَرَايِر).

ـ (مُوَافِق).. أخذ "الموظف" مِنهما "جوازي السفر"، وانتزع "مفتاحًا" من "لوحة المفاتيح" المعلقة على "الحائط" واصْطَحَبَهما – عبر "صالة الاستقبال"– إلى ممر مُظْلِم.. وتوقف عند أوّل حجرة وفتح بابها وقال وهو يناول الدكتور "عبدالرحمن" "المفتاح":

ـ (اتْفَضَّلُوا الحُجْرَة).. أغلق "العبد لله" الباب – بعدما خرج "الموظف"– ثم قال:

ـ (أظُنّ نمَدَّد خَمْسَة نِشِمّ نَفَسْنا وبَعْدِين نرُوح الجامعة عشان نِثْبِت نَفْسِنا).

ـ (عَلَى رَأْيَك، احْنَا في الهَوَا وكَمَان جَايِّين مِتْأَخَّرِين رَبّنَا يُسْتُر.. أنَا بَاسْتَغْرَب ازَّايْ حَسَّانِي مَاحَكّش مَعَاكوا؟؛ دَانَا أبْل مَاتْكَلَّم مَعَاه كُنْت حَاطِط في إيدُه السِّلْسِلَة الدَّهَب المُعْتَبَرَة). سَكَت "العبد لله" قليلاً ثم قال وهو يضْغَط على "الحروف":

ـ (يَا دُكْتُور أنَا من الأوّل خَالِص من سَاعِة بَعَتَانِي الجَوَاب بَعْد مَاشُفْت الإعْلاَن في الأَهْرَام؛ مَاكَانْشي عَنْدِي أمَل وَاحِد في المِيَّة إنُّهُم حَيْرُدُّوا عَلَيَّا.. وبَعْدِين لَمَّا حَصَلَت مَعَايَا اللَّعْبَكَة الّلي حَكِيتْهَالَك. ولَمَّا رَبّنَا وَقَّفْلِي الدُّكْتُور محمد وانْت من بَعْدُه؛ تَأَكَّدْت إنَّهَا إرَادِة رَبّنَا).. وبعدما استراحا من عناء السفر؛ توجّهَا إلى "الجامعة" بعد أن دَلَّهما "موظف استقبال الفندق" على مكانها...

(35)

عندما وصلا إلى "الجامعة" كان أوَّل ما وقع نظر "العبد لله" عليه "اليافطة" الكبيرة المثبتة أعلى "البوَّابة" الضخمة والمكتوب عليها:

ـ (المَدْرَسَة العُلْيَا للأسَاتِذة). وبعد مرورهما من "البوابة" قال للدكتور "عبد الرحمن":

ـ (هِيَّا جَامْعَة وَلاَّ مَدْرَسَة؟).

ـ (بِيتْهَيَّأْلِي إنَّهَا وَلاَ جَامْعَة وَلاَ مَدْرَسَة؛ أنَا فِهِمْت من اليَافْطَة إنَّهَا حَاجَة كِدَا زَيّ مَعْهَد عَالِي أَوْ كُلّيّة مُعَلّمِين لِتَخْرِيج مُدَرّسِينِ الثَّانَوِي)...

(36)

اتّجَهَا إلى "مبنى الإدارة" الذي يلي "البوَّابة" مباشرة؛ وهناك سَجَّلُوا "العبد لله" في قسم "العلوم الدقيقة" الذي يشمل علوم "الكيمياء" و"الفيزياء" و"الرياضة".. وسَجَّلُوا الدكتور "عبدالرحمن" في قسم "العلوم البيولوجية" الذي يشمل علوم "الجيولوجيا" و"الحيوان" و"الحشرات" و"النبات".. وبعد انتهائهما من "إجراءات

التسجيل"، قالوا لهما أن "الحفلة" المُقامة – في "قاعة الإطلاع" ب"المكتبة"– بمناسبة بدء "العام الدراسي" قد بدأت منذ أكثر من ساعة، فتوَجَّها إلى هناك...

(37)

لم يسألا عن مكان "الحفلة" فقد اهتديا إليها بعد سماعهما ل"الجلبة" الصادرة عن جموع المحتفلين.. كانت "القاعة" على هيئة "مستطيل" كبير جدًا وقد رُصَّت "الطاولات" في "أضلاعه" الأربعة.. وكان يشغل "طاولات" الضلع القصير – البعيد عن "الباب"– عدد من "المسئولين الكبار" تتوسطهم "سيدة"، كانت تخطب في "الحفل" ب"لغة عربية" ركيكة و"بِلَكْنَة فرنسية".. جلسا في مكانين قريبًا من "الباب".. وبعد لحظات، همس الدكتور "عبدالرحمن" في أذن "العبد لله":

ـ (بَاين عَلِيهَا رَئِيسِةِ المَدْرَسَة العُلْيَا لِلأَسَاتْذَة). وفعلاً فقد تأكّد من أنها "الرئيسة" عندما أنْهَت "خطبتها" بالتَّمَنِّيَات بالتوفيق ل"أبنائها الطلبة" في عامهم "الدراسي الجديد".. ونحّت "سماعة الميكروفون" جانبًا ثم قامت إيذانًا بالانصراف، وتبعها "المسئولون الكبار".. ودار "الفَرَّاشُون" على المحتفلين يوزعون عليهم "المشروبات الغازية".. وبمجرد خروج "رئيسة المدرسة العليا للأساتذة" – مع "مرؤسيها"– قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (يَلاَّ نِمْشِي عَشَان نشُوف حَانِعْمل إِيه بَعْد كِدَا).. كانا قد مشيا عدة خطوات – بعد خروجهما من "قاعة الاحتفال"– وإذا ب"أستاذ" – بدا من "سَمْتِه" أنه "مصريًا"– يضرب على كتف الدكتور "عبدالرحمن" بخِفَّة.. ولَمَّا التفت إليه، صاح قائلاً:

ـ (أهْلاااان.. ازَّيَّك يَا دُكْتُور نَبَوِي.. يَا مَحَاسِن الصُّدَف). ثم أخذه بالحضن، وتابع قائلاً:

ـ (أوِّل سَنَة زَيِّنَا؟). قال الدكتور "نبوي":

ـ (لا بقالِي سَنَتِين). التفت الدكتور "عبدالرحمن" إلى "العبد لله" قائلًا:

ـ (الدكتور نَبَوِي كَان زِمِيلِي في بِعْثِة الدُّكْتُورَاه فِي رُومَانْيَا، وحَالِيًّا أسْتَاذ في جَامعة طَنْطَا). فمدّ "العبد لله" يده إليه مُسَلِّمًا وقال:

ـ (تَشَرَّفْنَا). وقال الدكتور "عبدالرحمن" للدكتور "نبوي":

ـ (الدكتور سَيّد مِنْ هَيْئِة المواد النووية). قال الدكتور "نبوي":

ـ (عَلَي فِين العَزْم؟). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (احْنَا نَازْلِين في فُنْدُق قُرَيّب من هِنَا). قال الدكتور "نبوي":

ـ (انْتُوا مَاتِعْرَفُوش إِنُّهُم حَاجْزِين للدَّكَاتْرَة الجُدَاد في فُنْدُق قُرَيّب من البَحْر اسْمُه نُزُل السَّاحِل؟.. كَان مَفْرُوض جِيتُوا عَلَى هِنَا بْشُنَطْكُوا عَلَى طُوول بَدَل الحَجْز في الفُنْدُق الّلِي حَجَزْتُوا فِيه دِه). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (وِاحْنَا كُنَّا حَانِعْرَف مِنِين). قال الدكتور "نبوي":

ـ (يَلاَّ حَصَل خِير.. حَاتِيجُوا مْعَايَا أورِّيكُوا شَقِّتِي وتْرَيَّحُوا شْوَيَّة، وبَعْدِين تِرْجَعُوا على الفُنْدُق تِحَاسْبُوا وتْرُوحُوا عَلَى نُزُلِ السَّاحِل). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (يَا دُكْتُور نَبَوِي، هُوَّا احْنَا فِينَا حِيل لِلْمَشْي دِه؟). قال الدكتور "نبوي":

ـ (مَشْي إِيه يَا رَاجِل، انْتُوا حَاتِيجُوا مْعَايَا في عَرَبِيتِي). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (مَاشِي يَا سِيدِي شُكْرًا، هِيَّا فِيينِ العَرَبِيَّة). قال الدكتور "نبوي":

ـ (فِي البَارْكِنْج الّلِي قُدَّامِ الجَامْعَة قصْدِي المَدْرَسَة العُلْيَا).. وعندما وصلوا إلى "موقف السيارات"، اتجه الدكتور "نبوي" إلى سيارته وبدأ في إدخال "المفتاح" في "قفل الباب"، عندئذ قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (مَبْرُوكَة الأَوْدِي، الأَلْمَانِي لاَ يُعْلَى عَلِيه). قال الدكتور "نبوي":

ـ (الله يِبَارِك فِيك.. اتْفَضَّل).. وهُم في طريقهم إلى سكن الدكتور "نبوي"؛ قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (دَا عَشَان جَايِّين مِتْأَخَّرِين بَقِينَا حَاطِّين إِيدِينَا على قلْبِنَا أَحْسَن يِرَجَّعُونَا من الوِزَارَة). قال الدكتور "نبوي":

ـ (لاَ مِش أَوِي كِدَه، آدِي انْتُوا شُفْتُوا أهُوه لِسَّا عَامْلِين النَّهَارْدَة حَفْلِة بِدَايِةِ العَام الدِّرَاسِي؛ دَانْتُوا مِجِيّكُوا الوَخْرِي رَيَّحْكُوا مِنْ دَوْشِة امْتِحَان الرَّاتْرَابَاج الّلِي هُوَّا زَيّ المُلْحَق عَنْدِنَا). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (مَاحَدّش عَارِف الخِير فِين).. وأراد "العبد لله" أن يساهِم في الحديث، فقال للدكتور "نبوي":

ـ (هِيَّا اسْمِهَا إيه الحِتَّة الّلِي انْت سَاكِن فِيهَا يا دكتور؟).

ـ (أنَا سَاكِن في حَيّ اسْمُه لَلاَّ فَاطِيمَة)...

(38)

رَكَنَ الدكتور "نبوي" سيارته أمام "العمارة" التي يسكن فيها.. وصعد بهما إلى "شقته" التي كانت في "الدور الثاني".. وبعدما دخلوا "الشقة"، ذهب بهما إلى "حجرة الجلوس"، ثم قال:

ـ (عَن إذْنُكُوا خَمْسَة.. خُدُوا رَاحِتْكُوا أنَا لْوَحْدِي في الشَّقَّة أصْلِي سَايِب العِيَال فِي مَصْر). قال "العبد لله" للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (هُوَّا مُمْكِن الوَاحِد يِجِيب الأوْلاَد؟). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (مُمْكِن لَوْ كَانُوا صْغَيَّرِين في الابْتِدَائِي مَثَلاً، لَكِن أكْبَر من كِدَا صَعْب عَشَان اخْتِلاَف المَنَاهِج).. وجاء الدكتور "نبوي" حاملًا "صينية بلاستيكية" كبيرة فوقها "صينية ألمنيوم" يتصاعد البخار من "اللحم" ب"الصَّلْصَة" الذي يشغل نصفها. وكان بجانب "صينية اللحم بالفرن" ثلاثة "أرغفة" من "الخبز الجزائري" الطويل – الذي يشبه "الخبز الفرنسي"– وثلاثة "قرون" ضخمة من "فلفل البيوت المحمية".. قال الدكتور "نبوي" بعدما وضع "الصينية" على "الطاولة":

ـ (اتْفَضَّلُوا على مَا قُسُوم). فقال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (دَا كُلُّه على مَا قُسُوم؟؛ مَاهُو المِنْيَاوِيَّة أهْل الكَرَم). والتفت إلى "العبد لله" قائلاً:

ـ (الدُّكْتُور نَبَوِي من المِنْيا).

ـ (مَعْلُوم.. الصَّعَايْدَة أبُو الكَرَم).. وهم يشربون "الشاي"؛ فوجئ "العبد لله" بالدكتور "عبدالرحمن" يقول للدكتور "نبوي":

ـ (مَاتِعْرَفْشِي حَدّ يَاخُد فُلُوس مَصْرِيَّة؟). قال الدكتور "نبوي":

ـ (مِشْ فَاهِم.. إيه المَوْضُوع بِالظَّبْط؟). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (الدّكتور سيّد مَعَاه أَلْف جنيه). قال الدكتور "نبوي":

ـ (حَظَّك حِلْوْ يا دكتور، فِيه وَاحِد صَاحْبِي بِيْصَلَّح رَادْيُوهَات اسمُه طَارِق، أبُوه جَزَائِرِي وامُّه مَصْرِيَّة بِيْلِمّ الفُلُوس المَصْرِيَّة من الّلِي زَيّ حَالَاتْنَا عَشَان يِجِيب بِيهَا بضَاعَة لَمَّا بْيِنْزِل مَصْر).. أخرج "العبد لله" "النقود" من جيبه وأعطاها للدكتور "نبوي" قائلًا:

ـ (أنَا عَاجِز عَن الشُّكْر يا دكتور). قال الدكتور "نبوي" بعدما أخذ "المبلغ":

ـ (علي إييه يا رَاااجِل، مَابِيْبْقاش فِينَا خِير إن مَاكُنَّاش نِسَاعِد بَعْض في الغُرْبَة.. إن شاء الله حَاغَيَّرْهُم مِن طَارِق وَافُوت عَلِيكُوا بُكْرَة فِي الفُنْدُق).. قال الدكتور "عبدالرحمن" بعد فترة من الصمت:

ـ (سُفْرَة دَايْمَة يا دكتور، عَن إذْنَك يَادُوب نِلْحَق نرُوح الفُنْدُق نَاخُد حَاجِتْنَا ونْرُوح على الفُنْدُق التَّانِي).

ـ (مَاشِي.. حَاوَصَّلْكُوا لِلْفُنْدُق الّلِي فِيه شُنَطْكُوا في سِكّتِي عَشَان عَنْدِي مُحَاضْرَة السَّاعَة اتْنِين؛ أصْل نِظَامِ العَمَل عَنْدُهُم عَلَى فَتْرِتِين؛ من تَمَانْيَة لِاتْنَاشَر، ومن اتْنَاشَر لِاتْنِين سَاعْتِين غَدَا.. ومن اتْنِين لِخَمْسَة شُغْل).. وبعدما نزلا من السيارة، وصف الدكتور "نبوي" لهما مكان فندق "نُزُل السَّاحِل" ثم تابع قائلًا:

ـ (هُوَّا مِش بِعِيد، مُمْكِن تَاخْدُوهَا مَشْي بَسّي خُدُوا بَالْكُوا الفُنْدُق دِه تَلَات نُجُوم يَعْنِي بِيْقدِّم وَجْبِة الفِطَار بَسْ)...

(39)

دفع الدكتور "عبد الرحمن" أُجْرَة "الحجرة" ل"الموظف" وأخذا "جوازَيْ سفرهما".. وذهبا إلى فندق "نُزُل السَّاحِل" سيرًا على الأقدام.. كان كُلاً مِنهما يتعثر في "حمله الثقيل"؛ فكان الدكتور"عبدالرحمن" يبدّل "حقيبته الكبيرة" المنتفخة بين يديه باستمرار، وكان "العبد لله" – هو الآخر– يبدل حقيبته "السمسونايت" وحقيبته الكبيرة بين يَديْه على فترات متقاربة.. وفجأة، حمل الدكتور "عبدالرحمن" حقيبته على كتفه قائلًا:

ـ (مَابِدَّهَاش.. البَلَد الِّلي مَاحَدِّش بِعْرَفَك فِيهَا مش عارف إيييه.. وِاجْرِي فِيها). فقال "العبد لله":

ـ (الدّكتور نَبَوِي قال مُمْكِن تَاخْدُوهَا مَشْي مَاخَدْشِي بَالُه من القُتَلَا دِي). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (بِيِتْهَيَّـأْلِي حَسَب وَصْف الدكتور نَبَوِي إِنِّنَا قرَّبْنَا).. وبعد قليل أنزل الدكتور "عبدالرحمن" حقيبته من على كتفه، ثم قال:

ـ (الفُنْدُق هنَاكَ آهُه)...

(40)

عندما وقع نظر "العبد لله" على واجهة فندق "نُزُل السَّاحِل"؛ بَدَا الفرق بينه وبين الفندق الذي جاءا منه جَلِيًا.. أمْلَى الدكتور "عبدالرحمن" اسمه ل"موظف الاستقبال"، الذي بحث في "كشف" أسماء "الأساتذة المستجدين" ثم قال:

ـ (صَح). وعَلَّمَ على اسمه – في "الكشف"– ثم قال ل"العبد لله":

ـ (وانْتَ وِيش يْسَمُّوك يا شِيخ؟). وبعدما أمْلَى عليه اسمه، بحث في "كشفه" ثم قال:

ـ (وانْتَ كِيف كِيف، صَح). وقال بعد أن عَلَّمَ على الإسم:

ـ (جَوَازَات السَّفَر بَعْد إِذِنكُوا).. وبعدما أعطياه "جوازي السفر"، أشار إلى أحد "العمَّال" وأعطاه "مفتاحًا" نزعه من "لوحة المفاتيح" المعلقة على "الحائط" وأمره بحمل "حقيبتيهما"، ثم قال:

ـ (اتْفَضْلُوا وِيَّاه عَالغُرْفَة).. كانت "الغرفة" – ذات ال"سريرين"– عبارة عن "جناح" مستقل...

(41)

بمجرد انصراف "عامل الفندق"؛ ارْتَمَيا – من شدة التعب– على حافة "السرير" الذي يلي "الباب".. وبعد قليل، قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (تِخْتَار السّرِير دِه ولاَّ الّلي جَمْب الشّبَّاك؟).

ـ (أَيّ سِرِير.. مَاشِي طَيِّب خَلّينِي في الّلي احْنَا قاعْدِين عَلِيه).

ـ (أظُنّ وجَبَت.. بَعْد البَهْدَلَة الّلي شُفْنَاهَا نَاخُد دُوشّ ونْصَلّي العَصْر وبَعْدِين نِرَيَّح لنَا أدّ سَاعْتِين).

ـ (عِين العَقل).. صحا من النوم قبل الدكتور "عبد الرحمن".. ولمَّا نظر في "ساعته" ووجد أنه لم يتَبَقَّى على موعد "أذان العشاء" إلَّا حوالي نصف ساعة، أيقظه قائلاً:

ـ (اصْحَي يَا دكتور فَاضِل على العِشَا أقلّ من نُصّ سَاعَة.. يَادُوب نِلْحَق المَغْرِب).. وتركه – يصحو "على مَهْلِه"– وذهب ليتوَضَّأ.. ودخل في "صلاة المغرب". وبعدما صَلَّيا "المغرب"، قال للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (يَلاَّ نْطَلَّع المَصَاحِف ونِقرَا فِيهَا لغَايِة مَالعِشَا تِدَّن).

ـ (الله يِنَوَّر عَلِيك).. سمعا – فجأة– صوت "المؤذن" وهو يرفع "أذان العشاء" من "مسجد" في "الشارع" الذي يلي "الفندق" من ناحية "البحر".. وبعدما صَلَّيا "العشاء"، قال "العبد لله":

ـ (يَلّا نِنْزِل نُقعُد في الرّسِبْشَن شِوَيَّة). رَدَّ عَلَيه بسرعة:

ـ (بَلاَش النَّهَارْدَة.. بُكْرَة ان شَاء الله بَعْد مَانِيجِي من الكُلّيَّة، انْت مِش حَاسِس بِالتَّعَب الّلي هَادِد حِيلْنَا، يَلّا يا شِيخ نِمَدِّد أحْسَن حَاجَة).. ولمَّا فوجئ – "العبد لله"– بكلامه؛ قال في "نفسه":

ـ (هُوَّا مِش حَاسِس بالجُوع زَيّي وَلّا إِيه.. بَسّي مِش حَاقدَر اتْكَلَّم طَبَعًا؛ رَحِم الله امْرِئ عَرف قَدْر نَفْسه).. وبعد دقائق فوجئ بقيام الدكتور "عبدالرحمن" من "سريره"

وانحنائه على "حقيبته" التي بجوار "السرير" وإخراج "كيس بلاستيكي" كبير أخرج منه ثلاثة "قُرَص" أعطاها ل"العبد لله" قائلاً:

ـ (خُد اتْسَلّا، الجَمَاعَة حَطُّولِي شْوَيّةِ القُرَص دُول واللي كُنْت نَاسِيهُم؟).. أخذ "القُرَص" من الدكتور "عبدالرحمن" وكأنه قد ظفر ب"راس كُلَيْب".. أكلهم وشرب عليهم "الماء" وحَمَد الله.. ونام...

(42)

استيقظا من "النوم" على صوت "المؤذن" وهو يدعو الناس إلى "صلاة الفجر" تمهيدًا لموعد "أذان الفجر" الفعلي.. وبعدما "توضَّئا"، انتظرا "الأذان".. ولَمَّا أذَّن "المؤذن" صَلَّيا "ركعتي سُنّة الفجر", ثم أمَّه الدكتور "عبدالرحمن" في "صلاة الصبح".. قال الدكتور "عبدالرحمن" بعدما "خَتَما الصلاة":

ـ (مَافِيش نُوم يلَّا نِلْبس ونِسْتَعِدّ عَشَان نِطْلَع نِفْطَر، وبَعْدِين نِمْشِي على الكُلِّيّة).

ـ (أيْوَا صَح عَشَان لِسَّا حَانِسْتَنَّا الأتُوبِيس عَشَان يِكُون مَعَانَا وَقت)...

(43)

عندما وصلا إلى "الجامعة"، ذهب كُلاً مِنهما إلى "قسمه".. ولَمَّا دخل – "العبد لله"– "مكتب" رئيس قسم "العلوم الدقيقة"، فوجئ بصغر سنه – قدّر أنه في "الثلاثينيات"– وكان يظن أنه في "الخمسينيات"على الأقل.. وتَبَيَّن أن "الرَّجل" الواقف أمام "رئيس القسم" أستاذًا جديدًا مثل "العبد لله"؛ عندما سمعه يقول له:

ـ (تَخَصُّصَك يَا شِيخ).

ـ (كِيمْيِاء عُضْوِيَّة). ثم وجه ل"العبد لله" نفس السؤال:

ـ (وِانْتَ يَا شِيخ).

ـ (كِيمْيَاء غِير عُضْوِيَّة). وبعد ذلك نظر إليهما وقال ب"الفصحى":

ـ (مَن يَرْغَب مِنْكُمَا فِي تَدْرِيس مُقَرَّر الكِيمْيَاء الفِيزْيَائِيَّة للسَّنَة الثَّالِثَة). ولَمَّا فوجئا بعرضه؛ نظر كل منهما إلى صاحبه باستغراب.. وكان جوابهما "الصمت المُطْبَق".. قال "رئيس القسم" بعدما طال صمتهما:

ـ (طَيِّب.. حَاتْدَرْسُوا فِي السَّنَة لُّولَى مُقَرَّر الكِيمْيَاء العَامَّة أو الشِّيمِي جِينِيرَال كِيمَا انْجُولُو).. وبعدما خرجا من عند "رئيس القسم"، قال لزميله:

ـ (مَانْتَاش شَايِف انُّه صَغِيْر على مَنْصِب رَئِيس القِسْم؟، دَاحْنَا عَنْدِنَا زَيِّ مَاحَضْرِتَك عَارِف لاَزِم رَئِيس القِسْم يِكُون أُسْتَاذ).

ـ (هَادَا نِظَامْهُم؛ بْيِبْعَتُوهُم فرَنْسَا يِقْعُدُوا تَلاَت سَنَوَات ويَاخْدُوا شَهَادَة بِيْقُولُوا عَلِيهَا دُكْتُورَاه الدَّوْلَة وهِي تُعَادِل المَاجِسْتِير عِنَّا).

ـ (مِن أيّ البِلاَد العَرَبِيَّة حَضْرِتَك؟).

ـ (أنَا فِلِسْطِينِي ومُقِيم في سُورِيَّا وأُدَرِّس في كُلّيّة العلوم بجامعَة دِمَشِق).

ـ (مَاتْشَرَّفْنَاش بِالاسْم؟).

ـ (عَدْنَان شْحَادَة).

ـ (أهْلاً وسَهْلاً وأخُوك سيّد ماضِي, من مَصْر وأعْمَل فِي هَيْئَة المواد النووية).

ـ (تَشَرَّفْنَا، وَاضِح مِنِ اللَّهْجَة).

ـ (أنَا كُنْت بَرَاسِل صَدِيق فِلِسْطِينِي مِن جِيش التَّحْرِير الِّلي كَان في مَصْر وانَا كَان عَنْدِي خَمَسْتَاشَر سَنَة).

ـ (ما شاء الله عَنْدَك الحِسّ العُرُوبِي مُنذ الصِّغَر.. يَلاَّ مِش رَايِح على الفُنْدُق؟).

ـ (ان شاء الله، بَسِّي حَانْتَظِر زَمِيلِي في قِسم العُلُومِ البَيُولُوجِيَّة).

ـ (خَلاص نِنْتَظِرُه سَوَا)...

(44)

عندما نزلوا من "الأتوبيس" استأذَنَا من الدكتور "عَدْنَان" وذهبا إلى "مطعم" متخصص في "الدجاج المشوي" واشتريا "دجاجة"، ثم اشتريا "رغيفان" من "الخبز" من "مَخْبَزَة" مجاورة.. ولمّا كانا على مَقربة من "الفندق"؛ قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (تَعَال امَّا نِشْتِرِي نُصّ كِيلُو فِلْفِل من المِجَنْزَر ده على رأي الدُّكْتُور نَبَوِي)...

(45)

نزلا من "غرفتهما" – بعد "العصر"– إلى "صالة الاستقبال" لينتظرا "الدكتور نبوي".. وجاء جلوسهما بجوار سيدة "مُحَجَّبَة" معها "طفلة" صغيرة عمرها في حدود "السّتة سنوات".. وكانت "السيدة" تتحدث مع "رجل" بدا من لهجته أنه "مصري".. ولَمَّا وقعت "كرة الطفلة" – التي كانت تلعب بها– بينه وبين الدكتور "عبدالرحمن"؛ ارْتَمَت عليهما لتأخذها – وهي تضحك– فقالت أمّها:

ـ (يا عِيب الشُّوم يا دِيمَا، مَا حَدَا يِلْعَب بِالكُورَة هُون). وتوجهت إليهما قائلة:

ـ (أنَا آسِفَة). قال "العبد لله":

ـ (خَلّيهَا عَلَى رَاحِتْهَا دِي زَيّ أوْلاَدْنَا).

ـ (حَضَرَاتْكُوا أسَاتِذَة في الجَامِعَة؟). قال هو والدكتور "عبدالرحمن" في "نَفَسْ واحِد":

ـ (أيْوَه).

ـ (وأنَا زُوجِي الدُّكْتُور عَدْنَان قَشْلاَن أسْتَاذ النَّبَات في جَامِعَة دِمَشِق، وْنِحْنَا أصْلاً من مَدِينِة حَلَب).. وعندما ذكرت اسم زوجها؛ تذَكَّر الأسطى "إبراهيم القشلان" صاحب "صالون الحلاقة" عندهم في "أنشاص".. وتدخّل "الرجل" الذي كان يتحدث مع "السيدة" قائلًا:

ـ (واخُوكُوا محمد علي البُرُلُّسِي.. أستاذ البَيُولُوجِي في زراعة عِين شمس.. مَاتْعَرَّفْنَاش بحَضَرَاتْكُوا). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (عبدالرحمن الغُنِيمِي أستاذ علم الحشرات المساعد في زراعة الزَّقازيق). وقال "العبد لله":

ـ (سَيِّدْ ماضي من هيئة المواد النووية، وخِرِّيج علوم عين شمس).. ولم تمُرّ إلَّا "دقائق" معدودة حتى كان الدكتور "نبوي" معهم في "صالة الاستقبال". وبعدما سَلَّم عليهم؛ "أوْمَأَ" إلي "السيدة السورية" بالتحية، ثم جلس بين "العبد لله" وبين الدكتور "عبدالرحمن"، الذي قال له:

ـ (أعَرَّفَك بالدُّكْتُور محمد البُرُلُّسِي أستاذ البَيُولُوجِي من زراعة عين شمس). قال الدكتور "نبوي":

ـ (أهْلًا وسَهْلًا). ثم أشار الدكتور "عبدالرحمن" إلى "السيدة السورية" قائلًا:

ـ "المَدَام حَرَم الدُّكْتُور عَدْنَان قَشْلَاَن أُسْتَاذ النَّبَات في جَامْعِة دِمَشْق). قال الدكتور "نبوي":

ـ (تَشَرَّفْنَا). ثم تابع ضاحكًا:

ـ (دَاحْنَا بئينا أغْلَبِيَّة عَلِيك يَا دُكْتُور سيّد، هَا، هَا، هَا). قال "العبد لله" بكل هدوء:

ـ (كِيمْيَا وَلَّا بَيُولُوجِي وَلاَّ فَيزْيَا وَلاَّ رِيَاضَة، مَافِيش حَدّ فَاصِل بِين العُلُوم وبَعْضها يا دُكْتُور وبَعْدِين أنا مِش بِعِيد عن البَيُولُوجِي لأَنِّي قضّيت سَنَتِين في شُعْبة البَيُولُوجِي في أوَّل سَنَة يِعْمَلُوهَا في عُلُوم عِين شَمْس في مُنْتَصَف السِّتِّينَات).. وبعد فترة وجيزة، "غَمَزَ" الدكتور "نبوي" "العبد لله" في "ركبته"؛ ثم قال:

ـ (تِسْمَح يَا دُكْتُور سَيِّد.. أسْتَأْذَن يا جماعة، السَّلام عَلَيْكُم).. قام "العبد لله" معه، وعندما اقتربا من مدخل "الفندق" توقف، ثم قال:

ـ (اتْفَضَّل الأمَانَة، عَشَرْتَلَاف دِينَار.. عِدُّهُم، مِيت وَرَقه من أُمّ مِيت دِينَار). قال "العبد لله" وقد غمرته فرحة شديدة:

ـ (أَلْف شُكْر يَا دُكْتُور.. أَلْف شُكْر مِن غِير عَدّ دَا انْتَ تِتْآمِن على الدَّهَب). قال مُنْفَعِلًا:

ـ (عِدّ الله يِرْضَى عَلِيك.. الْفُلوْس مَدْعِي عَلِيهَا بالعَدّ).. استجاب لإصراره، وأخذ في عدّ النقود.. وعندما وصل إلى الرقم "عشرة آلاف"، قال له:

ـ (تَمَام.. أَلْف أَلْف شُكْر يَا دُكْتُور). قال الدكتور "نبوي":

ـ (إيه يَابُو السَّيد.. هُوَّا احْنَا عَمَلْنَا إيه يَا رَاجِل).. ولَمَّا عاد – بعدما وَدَّع الدكتور "نبوي"– كان الدكتور "محمد البُرُلُّسِي" يقول للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (مِرَاتِي مِتْخَرَّجة من كُلِّيّة زِرَاعِة الزَّازِيئ).. ولَمَّا ذكر اسمها والسنة التي تخرجت فيها، قال الدكتور"عبدالرحمن":

ـ (افْتَكَرْتها، دِي كَانِت تِلْمِيذْتِي). وصمت "هُنَيْهَة"، ثم قال:

ـ (وتِعْرَف كَمَان إن دَلاَل عبدالعزيز مِرَات سَمِير غَانِم كَانِت تِلْمِيذْتِي بَرْضُه، وهِيَّا من دُفْعِة زُوجْتَك تَقرِيبًا)...

(46)

بمجرد صعودهما إلى "غرفتهما"، قال "العبد لله":

ـ (أَشْهَدُ ألاَّ إله إلاَّ الله، فُرِجَت أَلْفِ شُكْر يَا دُكْتُور عبدالرحمن.. أنَا مِش حَانْسَالَك الجِّمِيل الّلي عَمَلْتُه مَعَايَا طُول حَيَاتِي).

ـ (وإيه سَبَبِ القصِيدَة العَصْمَاءْ دِي؟).

ـ (أَلْف أَلْف شُكْر.. حِسَابَك كَام؟؛ من أوّل الرُّبْع جْنِيه أَقصُد الخَمْسَة وعِشْرِين دِينَار الّلي ادِّتْهُمْلِي واحْنَا خَارْجِين من الوِزَارَة وتَذْكَرِة الحَافِلَة؛ لِغَايِةِ الغَدَا الّلي جِبْنَاه واحْنَا جَايِيّن من الكُلِّيَّة).

ـ (انْتَ بِتْقولْ إيه يَا سَيَّدِي.. لاَ مِش وَاخِد حَاجَة).

ـ (يَا عَمّ أَلْف شُكْر، دَا احْنَا فْغُرْبَة.. أَلْف شُكْر كَتَّر خِيرَك.. دَا انَا بَئِيت أمْتَلِك عَشَرْتَلاَاااااف دِينَار).

"العبد لله" والدكتور "عبدالرحمن" (سلفي)؛ أمام الحديقة والبرج الأثري بمدينة مستغانم

السنة الأولى في التغريبة الجزائرية

(1)

بعد نزولهما من "حافلة النقل الداخلي" – "المؤسسة العمومية للنقل الحضري مستغانم"– قال للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (التَّذْكَرَة تَمَنْهَا دِينَار ونُص يَعْنِي مَايُسَاوِي خَمَسْتَاشَر قرْش، مِش تِبْقى زَيِّ عَنْدنَا تَقرِيبًا؟). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (انْسَى مَصْر مَاتْقَارِنْشِي أحْسَن حَاتِتْعَب.. رَكِّز على إنّ وِحْدِة التَّعَامُل هنَا هِيَّا الدِّينَار وِبَس).

ـ (أَمْرُهُم غَرِيب يَا أَخِي، التَّذْكَرْة مَكْتُوب فِيهَا إِيَّاب حَاتِفْرِق إيه ذَّهَاب وَلاَّ إِيَّاب؟!، لاَ وإيه كَاتْبِينْهَا بِالفَرَنْسَاوِي كَمَان!).

ـ (يَابُو السِّيد قلْتِلَك مَاتْدُقِّش)...

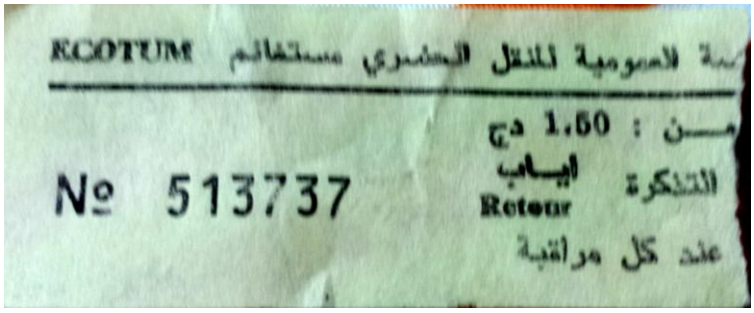

(2)

وهُمَا في طريقهما إلى "المدرسة العليا للأساتذة" – يسمونها "المركز الجامعي"– رأَيَا "مُلْصَق" دعائي ل"ألبوم" المطرب "محمد فؤاد" – المُسَمَّى "في السكة"– على واجهة "دكان" لبيع "أشرطة الكاسيت" ما أثار شجونه.. وفاجأه الدكتور "عبدالرحمن" عندما قال:

ـ (إيه انْتَ اتْشَحْتِفْت لَمَّا شُفْت البُوسْتَر بِتَاع محمد فؤاد وَلَّا إيه؟).

ـ (الوَاحِد مَاكَانْشِي يِتْوَقَّع محمد فؤاد يِوْصَل هِنَا؟، دَا لِسَّا مُطْرِب جِدِيد).

ـ (انْتَ مِش عَارِف إنّ مَصْر هِيَّا أمّ الدُّنْيَا وَلاَّ إيه؟).

ـ (قصْدَك أُمّ العَرَب)...

(3)

عنـدما رأى مسـاكن "الطلبـة" تلاصـق مسـاكن "الطالبـات" – بعـد اجتيازهمـا "البوابة الخلفية" ل"المركز الجامعي"– قال للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (هُمَّا لِيه كِدَا بِيْحُطُّوا الزّيت جَمْب النَّار؟).

ـ (هُوَّا دِه النِّظَام الفَرَنْسِي يَا وَلَدِي).. ولمَّا مرّا بجوار أوّل "بُلُك" من "بُلُوكَّات" مساكن "الطلبـة"؛ سَمِعا صوت "المطربـة" – "المغربيـة"– "سميرة سـعيد" الصَّـادِر مـن "جهـاز تسـجيل" وهـي تشـدو ب"أغنيـة" البدايـة والنهايـة فـي "مسلسـل ألـف ليلـة وليلـة التليفزيوني" المُذاع في شهر "رمضان" الذي جاء في "سنة 1984".. وعند مرورهما بجـوار مسـاكن "الطالبـات"؛ سـمعا صـوت "سـميرة سـعيد" – أيضًـا– ينطلـق "مُلَعْلِعًـا" بأغنيتها التي تقول فيها:

ـ (مِش حَاتْنَازِل أَبَدًا عَنَّك)...

(4)

كانـت "المحاضـرة" الأولـى – بالنسـبة لـه"– امتحانًـا صـعبًا فقد "ارْتَـجَّ عَلَيـه" عنـدما رأى أنظـار "الطلبـة" مصـوبة نحـوه بشراسـة.. حـاول مقاومـة ذلـك "الارتجـاج" بوضع أوراقه فوق "المكتب" – بكل هدوء– ثم ألقى عليهم "السلام". وبعدما عَرَّفَهُم "بنفسه"، دخل في "المحاضرة" فورًا، ولكن بعد "أول جملة" شعر أن "قلبه" قد سقط من مكانه. وسمع "طنينًا" شديدًا كاد أن يشلّ قدرته عن التفكير؛ فقال في "نفسه":

ـ (ده عَشَـان مَاعَنْـدِيش خِبْـرَة فـي التَّـدْرِيس.. يَـارِيتْنِي كُنْـت عَضِّـيت علـى عَـرْض الدكتور سعد السيد بالانتداب للتَّدْرِيس فـي جامعـة قَنَـاة السّـوِيس بالنَّوَاجِـذ).. وبعد لحظات، اسْتَعَاد توازنه بعدما أخَذ "نفسًا عميقًا" وواصل "المحاضرة" وهو يركِّز النظر فوق رؤوس "الطلبة" ليتحاشى نظراتهم.. وعَدَّت "المحاضرة" بسلام...

(5)

أبلغتهم "إدارة المدرسة العليا للأساتذة" ب"الأوراق" و"الشهادات" المطلوبة فيما يعرف ب"الملف الإداري"، والذي كان عبارة عن "ورقة" مكتوب في أعلاها على اليمين: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- مديرية الإدارة العامة- نيابة مديرية الموظفين. وعلي اليسار: الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية!. ولا يوجد ذكر ل"المدرسة العليا للأساتذة"!. وكان "الملف الإداري" يتطلب استيفاء الآتي:

1- موجز مفصل عن الحياة الشخصية والعلمية.

2- صور من الشهادات مُصَدَّق عليها.

3- شهادة ميلاد.

4- شهادة الحالة العائلية "للمتزوج".

5- صورتان شمسيتان.

6- شهادة الجنسية.

7- شهادة السوابق العدلية.

8 - شهادتان طبيتان "طب عام"...

(6)

أبلغوهم بضرورة الذهاب إلى "الإدارة الطبية" لإجراء "الكشف الطبي" لعدم اعترافهم ب"الشهادات الطبية للمتعاونين".. وكانت المسئولة - عَنهم- تسمَّى "مَلِيكَة". وقد اتَّفَقَ الزملاء على أن يجمعوا من بعضهم ثمن "قاروصتن" من سجائر "المارلبورو" كي يقدموها لها ك"كادو" متواضعة...

(7)

وصل "العَقْد" – المؤرخ في "7 أكتوبر"– من "الوزارة" إلى "المدرسة العليا للأساتذة" في 18 أكتوبر.. وبعد وصول "العقد" صدر "قرار التعيين".. وبعد صدور "قرار التعيين"، صدر "محضر التنصيب"!.. وبعد صدور "محضر التنصيب" صدرت "شهادة الوظيفة"!!...

(8)

عندما كان مع الدكتور "عبد الرحمن" والدكتور "البُرُلُّسِي" والدكتور "عدنان شْحَادَة" والدكتور "عدنان قشلان" – الذي كان يصطحب ابنته الصغيرة "دِيمَا"– واقفون في "الصباح الباكر" أمام "مبنى الإدارة" في انتظار "الموظفين" – لاستلام "شهادة الوظيفة"– جاء الأستاذ "محمود بو شامة" مدير "المدرسة العليا للأساتذة"، الذي خَلَفَ "المديرة" السابقة التي كانت تترأس حفل "العام الدراسي" الجديد.. وعندما أقبل عليهم في طريقه إلى "مكتبه" وضع يده على رأس "دِيمَا" ثم قال مبتسمًا:

ـ (صْبَاحِ الخِيرْ.. شْوِيَّة بَرْدْ؟). وواصل السير إلى "مكتبه" قبل سماع تعليقاتهم.. عندئذ تَدَاعَت إلى ذاكرة "العبد لله" المَقُولَة المشابهة للمرحوم الدكتور "فارس" عميد الكلية وأستاذ "الجيولوجيا" عندما كان – "العبد لله"– واقفًا مع بعض الزملاء أمام "مدخل الكلية" في صباح أحد أيام الشتاء "القارصة" البرودة في انتظار الدكتور "مِنِيسِي" أستاذ "الجيولوجيا"؛ تَفَاجَأوا بالدكتور "فارِس" ينزل من "سيارته" ويقول لهم وهو في طريقه إلى "مكتبه":

ـ (بَرْدِ شْوَيَّة؟.. وَاقفِين ليه في البَرْد دَه.. مَاعَنْدُكُوش مُحَاضَرَات؟). قال أحدهم:

ـ (مُنْتَظْرِينِ الدُّكْتُور مِنِيسِي يَا دُكْتُر).

ـ (وِبْدَال مَانْتُوا وَاقفِين في البَرْد بِتَّكْتِكُوا كِدَا رُوحُوا ادَّارُوا في المُدَرَّج أحْسَن)...

(9)

أبلغوهم بضرورة الذهاب إلى مقرّ "الشرطة" لاستخراج "البطاقة الشخصية"، أو كما يسمونها "بطاقة المقيم الأجنبي". وهناك طلبوا مِنهم "أوراق" و"صور" و"بيانات" ما أنزل الله بها من سلطان. وبعد ذلك ملأوا "استمارة" تحتوي علي "البيانات" الخاصة بطالب "البطاقة" فتذكّر "مقولة" زميله "أحمد بَعْرَة"، وقال في "نفسه":

ـ (عَلَي كِدَا البِيرُوقْرَاطِيَّة الّلِي هِنَا مُمْكِن تِكُون أَشْرَس من الّلِي عَنْدِنَا بِمَرَاحِل!).. وما أثار حفيظته عبارة "غير متوفِّي" المقابلة ل"بياناته" حتى أنه قال – ساعتها– في "نفسه":

ـ (إيه دَه.. هُمَّا بِيْفَوَّلُوا عَلِينَا وَلاَّ إيه؟.. وبَعْدِين مُتَوَفِّي ازَّاي وَانَا الّلِي مَالِي البَيَانَات قدَّامْهُم بِشَحْمِي ولَحْمِي!)...

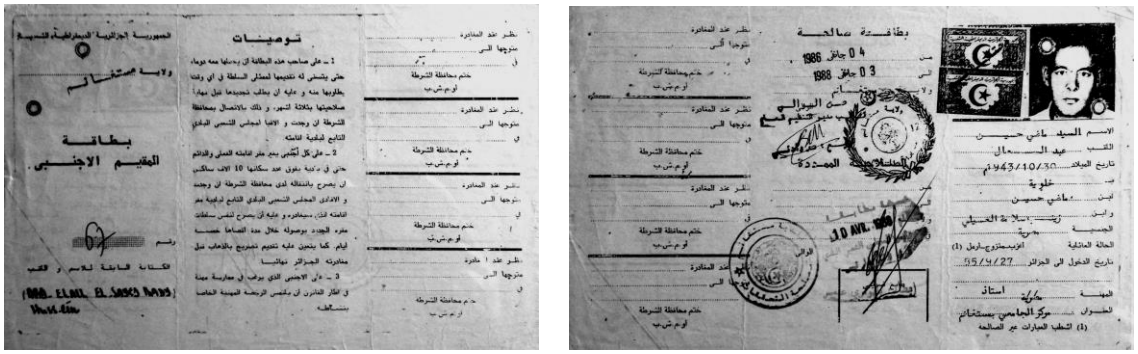

البطاقة الشخصية – "بطاقة المقيم الأجنبي"– وجه وظهر

(10)

كانت طريقة تعامل "إدارة الجامعة" – "المركز الجامعي"– مع "الأساتذة المعارين" – يسمونهم "المتعاونين"– و"الجزائريين" عن طريق تخصيص "فتحة" – يسمونها "بْوَاط"– لكل "أستاذ" في "دواليب" من "الصاج" مرصوصة في "بهو مبنى الإدارة". كانوا يضعون في هذه "البُوَاطَّات" كل ما يريدون إبلاغه ل"الأستاذ" – يسمونها "استدعاءات"– كما يضعون فيها "الخطابات البريدية" التي تصل إليه على عنوان "المدرسة العليا للأساتذة"...

(11)

بعد أقاَمتهم في فندق "نُزُل السَّاحِل" لأكثر من "شهر"؛ نقلوهم إلى "السكن المستديم" في "حيّ" يقع في جنوب "مستغانم" يسمَّى "سبعة جويلية".. ولَمَّا كانوا "سبعة أساتذة" – هو والدكتور "عبدالرحمن" والدكتور "محمد البُرُلُّسِي" والدكتور "عدنان شْحَادَة" والدكتور "عدنان قشلان" والدكتور "رياض قلادة" أستاذ "الرياضيات" ب"جامعة القاهرة" والدكتور "سامي خِلّة" مدرس "الرياضيات" ب"جامعة أسيوط"– يسكنون في "عمارة" واحدة؛ فقد استأجروا – باستثناء الدكتور "عدنان قشلان"– سيارة "بيجو رُبْع نَقْل" لتنقلهم بأمتعتهم.. وجعلوا الدكتور "رياض قلادة" يركب بجوار "السائق" – في "الكابينة"– احترامًا ل"كِبَر سنه".. ويتذكر أنها قد أمطرت فوق رؤوسهم بشدة من أول خروجهم من "الفندق" حتى "باب العمارة".. وكان منظر "الحيّ" – بمبانيه المُشَيَّدة على نَمَط معمار دول "أوروبا الشرقية"– مُقْبِضًا...

(12)

أسكنوه مع الدكتور "عبدالرحمن" في "شقة" – في "الدور الثاني"– تتكون من "غرفتين" و"صالة". وأسكنوا الدكتور "عدنان قشلان" – وأسرته– في "شقة" – في "الدور الثالث"– تتكون من "غرفتين" و"صالة" أيضًا. أما الدكتور "عدنان شْحَادَة" فقد أخذ "شقة" تتكون من "حجرتين" – بدون "صالة"– في نفس "الدور". وأسكنوا الدكتور "رياض قلادة" مع الدكتور "سامي خِلّة" في "شقة" – في "الدور الرابع"– تتكون من "غرفتين" و"صالة" مثلهما. وأسكنوا الدكتور "محمد البُرُلُّسِي" في "شقة" تتكون من "حجرتين" – بدون "صالة"– في نفس "الدور".. وكان يسكن في باقي "شُقَق العمارة" أُسَر "مجاهدي ثورة التحرير"...

(13)

عانى – في أوّل الأمر – في فَك "طلاسم اللهجة الجزائرية"، ولكنه تعرّف عليها بمرور الوقت، وقد اكتشف أن معظم مفرداتها ذات أصل "عربي" فصيح؛ فمثلاً عندما يقول أحدهم لصاحبه:

ـ (كِي رَاك؟). وأصلها "كيف أراك؟" وتقابلها في "اللهجة المصرية":

ـ (ازَّيَّك؟). وعندما يرد صاحبه يقول:

ـ (لاَ بَاس غَايَة). وأصلها "لا بأس غاية المراد من رب العباد" وتقابلها في "اللهجة المصرية":

ـ (الله يِسَلِّمَك).. وعندما يسأل صاحبه قائلاً:

ـ (وِيرَّايِح؟). وتعني "إلى أين تذهب؟" وتقابلها في "اللهجة المصرية":

ـ (على فِين؟). وعندما يرد صاحبه يقول:

ـ (صْوَالِح). وتعني "مصالح" وهي الكلمة التي تُقال في "اللهجة المصرية"...

(14)

اتَّفَقا على أن "يشيل" كل واحد مِنهما مصاريف الأكل "أسبوع".. وعندما كان "العبد لله" يتَسَوَّق – في أحد أيام "أسبوعه" – في "سوق وسط المدينة" – يسمونه "مَارْشِيه" – بمصاحبة الدكتور "سامي خِلّة"؛ ذُهِل من تواجد باعة لحم "الحصان" بشكل عادي إلى جوار باعة اللحوم "البقري" التي يسمونها "لحم العجل"، وباعة لحوم "الضأن" والتي يسمونها "لحم الخروف"، كما يقولون على "السمك" – بكافة أنواعه – "الحوت".. اشترى كل مِنهما "دجاجة". وبعدما اتجها إلى ناحية باعة "الخُضَر"؛ فوجئ بالدكتور "سامي" يعود – جريًا – إلى بائع "الدجاج"؛ فَعاد خلفه وهو يتعَجَّب لذلك.. ولَمَّا اقترب من "كشك" بائع "الدجاج" سمع الدكتور "سامي" يقول له بِجِدَّة:

ـ (فِينْ زُوز الرُّجُول بِتَاعِة دْجَاجْتِي). نظر البائع إليه "مَبْهُوتًا" قبل أن يردّ عليه, وبعد قليل قال وهو "يضرب كَفًّا بِكَف":

ـ (خُدْ يَا شِيخ الّلِي تِبْغِيه.. انْ شَاله تَاخُد الّلِي في القُفَّة جَعْ).. مَدَّ الدكتور "سامي" يده – اليمنى– إلى كومة "أرجل الدجاج" والْتَقَط ب"السبابة والإبهام" – بإباء وشمم– زوج من "الأرجل".. ولَمَّا ابتعدا عن بائع "الدجاج"، قال له "العبد لله" معاتبًا:

ـ (إيه الّلِي عَمَلْتُه دَا يَا دُكْتُور رُجُووول!.. يِقولُوا عَلِينَا إيه دِلْوَقتِي؟ الوَاحِد بَقى في رُبْع هْدُومُه).. قال الدكتور "سامي" بكل هدوء:

ـ (يِقولُوا الّلِي يْقولُوه.. إوْعَى تْفَكَّر لِلَحْظَة إنَّهَا طَفَاسَة.. شَايِف صَلْعِتِي دِي، أهْل الطِّبّ قالُوا الجِيلاَتِين الّلِي فِرْجُول الفِرَاخ بِيْسَاعِد علي إنْبَات الشَّعْر).

ـ (وإيه زُوز الرُّجُول دِي، تُؤْصُد زُوج الرُّجُول؟).

ـ (بِيْؤُلُوهَا كِدَا فَحَبّيت أتْوَاصِل مَعَاه بِلَهْجِتُه).

ـ (يَاسَلاَاااام، مِنَّك نَسْتَفِيد طَيِّب يَلاَّ نْمُرّ عَلَى بْتُوع الخُضَار قبْل ما السُّوق يِقفِل، ونِشْتِرِي شَنْطِتِين بَلاَسْتِك نِشِيل فِيهُم الحَاجَة من العِيَال الّلِي بِيْلِفُّوا بِيهُم في السُّوء).

ـ (مَاهُم حَوَالِينَا آهُمَّا خَاوْتِنَّا عَمَّالِين يُقلُوا شْكَارَة, شْكَارَة).

ـ (بِالذِّمَّة مِش كِلْمِة شِكَارَة بِتَاعِتْهُم أشيك من شَنْطَة بْلاَسْتِك بِتَاعِتْنَا؟).

ـ (لأ وِبِدِينَار الوَاحَدَة, غَالْيَة على صِنَاعِتْهَا السَّيِّئَة دِي.. الوَاحِد قبل مَا بْيِوَصْل الشَّقَّة بِتْكُون وِدَانْهَا اتْقَطَّعَت)...

(15)

كانت "اللافتات" الموضوعة على "الخضروات" المختلفة بأسمائها – حسب "لهجتهم"– مكتوب عليها "السُّومَة" – أي "الثمن" ب"اللهجة المصرية"– فمثلاً كان مكتوب على إحدى اللافتات "جِلْبَان" – أي "بِسِلَّة" ب"اللهجة المصرية"– وعلى أخرى "بطاطا" – أي "البطاطس" ب"اللهجة المصرية"– وعلى أخرى "بطاطا حْلُوَّة" – أي "البطاطا" ب"اللهجة المصرية"– وعلى أخرى "بْصَلْ" – أي "البصل" ب"اللهجة المصرية"– وعلى أخرى "بَصْلَة" – أي "البصل الأخضر" ب"اللهجة المصرية"– وهكذا.. أمَّا "الفاكهة" فأسماؤها متشابهة مع اللهجة المصرية تقريبًا ماعدا "البطيخ"

– على حد علمه– الذي يقولون عليه "دِلَّاعْ".. وبعد خروجهما من "السوق" رأى "الناس" يتزاحمون حول "شابين" يبيعان "البلح" فقال للدكتور "سامي":

ـ (البَلَح دَا شَكْلُه حِلْو ومُغْرِي، مَاتِيجِي نِشْتِرِي مِنُّه).

ـ (مَاشِي، بَلَح الجَنُوب مُمْتَاز بِشْبِه البَلَح السِّيوِي بْتَاعْنَا).

ـ (بيقولوا عليه تَمْر).. وعندما كانا يهِمّان بالانصراف بعد شراء كل مِنهما "كيلو" من "بلح الجنوب" الممتاز، توقفا عندما أثارت انتباههما "امرأة عجوز" كانت واقفة وراء "المتزاحمين" ترفع صوتها بصعوبة وتُلَوّح ب"يدها" إلى أعلى ممسكة بثمن "البلح" الذي تريد شراؤه دون أن يلتفت إليها أيًّا من "البائعان" فقالت – بعد أن "فاض بها الكَيْل"– بغضب شديد:

ـ (عَلاَش مْهَمِّلْنِي يَا وْلِيدِي؟؛ رَانِي دْرَاهْمِي حْدِيد وِلاَّ؟). فقال أحد "البائعَيْن" بتأَثُّر:

ـ (اسْمَحِيلِي يَالْحَاجَّة.. اتْفَضْلِي ايشْ تِبْغِي؟).. وبعدما تركا "بائعَيْ البلح"، قال للدكتور "سامي":

ـ (قبْل مَا نْرُوح مَوقف الحَافِلاَت تَعَالَى نْحَوّد على المَخْبَزَة دِي آخُد أرْبَع خُبْزَات.. مَانْتَش عَايِز؟).

ـ (مَخْبَزَة؟ وخُبْزَة؟ لِحِق لِسَانَكْ يِتْلِوِي؟؛ مَاتْقولِ الطَّبُونَة والرِّغِفَة.. عَايِز طَبَعًا أرْبَعَة لِيَّا ولِلدكتور رِيَاض زَيَّك انْتَ والدكتور عَبدالرحمن.. دَا عِيشْهُم بِتَّاكِل حَاف يَا جَدَع).

ـ (امَّاَاااال.. مَا هُو على النَّمَط الفَرَنْسِي يَا جَدَع).. ولَمَّا وصلا إلى "الموقف" – الذي كان قريبًا من "المَخْبَزَة"– وجدا عددًا قليلاً من "الزُّكَّاب" ينتظرون "الحافلة" القادمة. ولفت انتباه "العبد لله" صراخ "طفل" صغير كانت أمّه تحاول إسكاته بقولها:

ـ (اسْكُت وانَا اجِيبْلَك شِيكُولاَ)...

(16)

فكَّر في استدعاء "الأسرة" اقتداءً بالدكتور "عدنان قشلان" الذي اصطحب "أسرته" من البداية.. ولَمَّا سأل أحد الإخوة "المصريون" – يصطحب "أسرته"– عن المطلوب عمله قال له:

_ (هَاتْ شَهَادَة مُعْتَمَدَة مِنْ شُغْلَك بِأَسْمَاء الأَوْلاَد وتَوَارِيخ ومَحَل مِيلاَدْهُم).. أرسل ل"زوجته" خطابًا بالمطلوب على أن يقوم بتلك "الهمة" – مشكورا– الزميل العزيز الأستاذ "محمد الأنْوَر".. وبعد "أسبوعين" – تقريبًا– وصله رد "الخطاب" وبه "الشهادة" المطلوبة.. ولَمَّا ذهب إلى "قسم الشرطة" أعطوه "استمارة" قَيَّد فيها أسماء "الأولاد" وتواريخ ومحل ميلادهم كما في "الشهادة المصرية".. ولما ذهب لاستلام "الموافقة" على استدعاء "الأسرة"، قالوا له:

_ (مَطْلُوب شهادة من الشرطة).. أرسل إلى أخيه "عبدالعال" "خطابًا" يرجوه فيه موافاته بتلك "الشهادة" من "مركز شرطة شبين القناطر".. وصله "خطابًا" من "زوجته" كانت تبدي فيه رأيها بخصوص مجيئهم إلى "الجزائر" بقولها:

_ (احْنَا كِدَا مِش حَانكون عِبْء عَلِيك؟).. قال لها في رَدِّه:

_ (طَيِّب خَلاَص تِيجِي انْتِي والبَنَات ومحمود ونْسِيب محمد واحمد عند عَمُّهُم).. قالت في رَدَّها:

_ (أنِا شَايْفَة انّنَا لَوْ سِيبْنَا محمد واحمد عند عَمُّهُم حسَب رَأْيَك مش حَيِنْفَعُوا؛ عَشَان عَمُّهُم وخَالِتْهُم مِش زَيّ ابُوهُم وامُّهُم، لأَنُّهُم مِش حَايِقْدَرُوا يْشِدُّوا عَلِيهُم أحْسَن إيه؛ العِيَال يِقُولُوا مِدَّايْقِين مِنّنَا.. أنا بَقُول إِلْغِي الفِكْرَة ورَبّنَا يْعِينِّي عَلِيهُم).. وبعد عدة "أيَّام" وصله "خطاب" من أخيه وبه "شهادة مركز الشرطة" المطلوبة فقال في "نفسه":

_ (تُشْكَر يَا عَبْدُه.. لَغِينَا الفِكْرَة.. أما كُنْتَ حَاتْوَرَّط تَوْرِيطَة!)...

(17)

كانوا يصَلُّون "الجمعة" في "جامع عُقْبَة بن نافع" الذي يبعد عن "السكن" ب"خمسمائة متر" تقريبًا. وكان ب"المسجد" "شيخان" الأول "شاب" حديث السن – في بداية "الثلاثينات"– والثاني كبير السن واسمه "الشيخ قَدُّورَة" – رُبَّمَا كان قد تعَدَّى "السبعين"– الأول مُعَيَّن من "وزارة الشئون الدينية" والثاني يُلْقِي "دَرْسًا" قبل "خطبة" "الشيخ" المُعَيَّن.. وكان "النظام المُتَّبع" أن تُفْتَتَح شعائر "صلاة الجمعة" بفتح "الميكروفونات" على "القرآن الكريم" وخاصة تسجيلات "الشيخ عبدالباسط عبدالصمد"؛ الذي يحْظَى ب"شعبية" كبيرة.. وكان "الشيخ قَدُّورَة" يُلْقِي "دَرْسَه" – الذي لا يزيد عن "نصف ساعة"– بعد "الأذان الأوّل".. وبعد "الأذان الثاني" –"الشرعي"– يتسلَّم "الشيخ" المُعَيَّن" مهامه بإلقاء "خطبة" مكتوبة مُوَزَّعَة من "الوزارة". وكان هذا شيء غريب على "العبد لله" بحق إذ لا يوجد عندهم في "مصر" مثل ذلك.. وكانت مدة "الخطبة" لا تزيد عن "عشرة دقائق" – تقريبًا– ومحتواها "لا يُسمن ولا يُغني من جوع".. وبعد "إقامة الصلاة" كان "الشيخ" يقرأ في "الركعة الأولى" – بعد "الفاتحة"– سورة "الفلق" وفي "الركعة الثانية" سورة "الناس".. ولا يدري هل نظام إلقاء "الدَّرْس" قبل "الخطبة" الرسمية مُعَمَّمٌ في كل "المساجد" أم أنهم يسمحون – فقط– ل"الشيخ قَدُّورَة" لكونه من "مجاهدي ثورة التحرير".. وبالمناسبة فقد حكى "الشيخ قَدُّورَة" – في أحد "الدروس"– عن أيَّام "الجهاد" ضد المستعمر "الفرنسي" بقوله:

ـ (كَانِ الوَاحِد مِنَّا يْعِيش اليُوم كُلُّه على بَلُّوطَة وَاحْدَة)...

(18)

كانوا يصلُّون "الجمعة" – أحيانًا– في "مسجد البدر" ب"وسط المدينة".. وكان هذا "المسجد" في الأصل "كنيسة" – شَيَّدَهَا "الاستعمار الفرنسي" منذ بداية احتلاله ل"الجزائر"– حتى أن "العبد لله" كان يشعر بشيء من "الانقباض" عند دخوله.. ولم يزيد "الجزائريون" عندما حولوا "الكنيسة" إلى "مسجد البدر" إلَّا بناء "المئذنة" في

الخارج.. ولمَّا استقصى عن تاريخ هذه "الكنيسة" علم أنها كانت تسمى "كنيسة سان جان باتيست" وقد بُنِيَت في "سنة 1840" ودَشَّنَهَا "الملك لويس الثالث" في "سنة 1850" وحُوِّلَت إلى "مسجد البدر" في "سنة 1970".. كانوا ينتهزون فرصة صلاة "الجمعة" في هذا "المسجد" بالمرور على "البنك الوطني" – المتواجد في الجهة المقابلة– لمعرفة سعر صرف "الدولار" بالنسبة ل"الدينار الجزائري" من "سبورة" أمام "البنك" – المغلق– مكتوبًا عليها – ب"الطباشير"– أسعار "العملات الأجنبية" بالنسبة ل"الدينار".. وكان "الدولار الأمريكي" يساوي ثلاثة "دنانير جزائرية"...

مسجد البدر بمستغانم أو كنيسة سان جان باتست سابقًا

(19)

قرر أن يسجل "اختراعه" الثاني في "مكتب براءات الاختراع" في "إجازة نصف السنة" ولذا فقد عكف – جاهِدًا– على إنجاز "الوصف الكامل" ل"الاختراع" قبل "العُطْلَة".. وعندما كان الدكتور "البُرُلُّسِي" جالسًا بجواره وهو مُنْهَمِكٌ في الكتابة، قال له:

ـ (إيه اللّي بْتِكْتِبُه دَه؟).

ـ (اخْتِرَاع نَاوِي أسَجِّلُه فِي مَكْتَب بَراءَات الاخْتِرَاع في أجَازِة نُصّ السَّنَة انْ شَاءَ الله).

ـ (اخْتِرَاع؟!).

ـ (أَيْ نَعَم.. ولِيَّا اخْتِرَاع قبْله مِسَجِّلُه من سَنَتِين).

ـ (وَرِّينِي كِدَا).. ولَمَّا ناوَلَه "الورقة" التي تحتوي على ما كتب، مَرَّ عليها بنظراته لحظات ثم قال:

ـ (أَنَا شَايِف الكُحُول بِيِتْكرَّر كِتِيْر؛ إِيهِ المَوْضُوع؟).

ـ (لأَنُّه لُه دُور كِبِير في الاخْتِرَاع).

ـ (بَسِّي الكُحُول بِالوَاو، اللي انت كاتبها من غِير الوَاو؛ تِبْأَى الكُحْل بِتَاع السِّتَّات).

ـ (مَاشِي.. مِنَّك نَسْتَفِيد)...

(20)

اشتريا – هو والدكتور "عبدالرحمن"– "تليفزيونًا" من دكتور "سوداني" – زميل– اسمه "محمد الأمين" كان متزوجًا من "إنجليزية"؛ وقد علَّق الدكتور "عبدالرحمن" على ذلك بقوله:

ـ (شُوف يَا أَخِي التَّنَاقُض الفَظِيع.. الوِلِيَّة بِيضَا شَقّ الّلِفْتَة ورَغْم كِدَه مِتْجَوِّزَة أَخُونَا السُّودَانِي).

ـ (مِرَايِةِ الحُبّ عَمْيَة.. حَبّتُه لَمَّا كَان بِيِدْرِس فِي بَلَدْهَا).. وبينما كانا يرَكِّبان "هوائي التليفزيون" فوق "سطح العمارة"؛ كادت تُزِلّ قدم "العبد لله"؛ فقال للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (ده عِقَاب رَبّنَا على كَلاَمْنَا بِالسُّوء في حَق الرَّاجِل)...

بعد صلاة الجمعة؛ أمام العمارة؛ من اليسار الدكتور عدنان قشلان؛ ثم "العبد لله"؛ ثم مازن؛ ثم الدكتور عبدالرحمن؛ وديما أمامهم

من اليمين الدكتور محمد عمر أستاذ الكيمياء من جامعة الإسكندرية؛ ثم الدكتور عدنان شحادة؛ ثم "العبد لله"؛ في الشقة؛ بعد صلاة الجمعة

في الشقة؛ بعد صلاة الجمعة

مع الدكتور عبدالرحمن أمام التليفزيون

(21)

كانا يشاهدان "مباراة كرة قدم" في "التليفزيون" وكان "المُذِيع" يتحدث بصوت مرتفع وبحماسة شديدة في وصف "المباراة"؛ فقال للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (إيه حِكَايةِ الكُورَة عَنْدُهُم، في الرَّادْيُو ثْلاَقِيهَا، في التِّلِيفِزْيُون زَيّ مَانْتَ شَايِف.. والجَرَايِد تِلاَقِيهَا مَلْيَانَة بْأَخْبَارِ الكُورَة!).

ـ (امَّال إيه.. دِي أهَمّ وَسِيلَة لإِلْهَاء الشَّبَاب، الّلِي هُمَّا أغْلَب الشَّعْب عن التَّفْكِير في السِّيَاسَة).

ـ (قال يِقُولَّك إيه.. وِدَادِيّة مِش عَارِف إيه تُقَابِل تَرَجّي مِش عَارِف إيه على أرْض مَلْعَب مِش عَارِف إيه.. وفي إذَاعَات ومَحَطَّات تِلِيفِزْيُونِيَّة لِكُلّ الوِلاَيَات بِيْسَمُّوهَا الإِذَاعَات والتِّلِيفِزْيُونَات الجِهَوِيَّة!).

ـ (وَاخِد بَالَك من المُذِيعَة الكَرَوِيَّة الّلِي فِي الرَّادْيُو الّلِي صُوتْهَا أجَارَكَ الله زَيّ صُوت الحُمَار الّلِي بِيْنَهَّق وهِيَّا بْتِوْصِف في المُبَارَاة بِالحَمَاسَة الشّدِيدَة بْتَاعِتْهَا كَأَنَّهَا في مَعْرَكَة حَرْبِيَّة.. دَا صُوتْهَا يْخَلّلِي الّلِي بِسْمَعْهَا يِقفِل الرَّادْيُو.. أكِيد دِي وَاسْطِتْهَا كْبِيرَة).

ـ (دَا كْوَيّس الّلِي حَطّينْهَا في الرَّادْيُو.. امَّال لَوْ كَانَت في التِّلِيفِزْيُون؟!).

ـ (والّلِي بِيْزِيد صُوتْهَا بَشَاعَة إنُّه رِجَالي وكَمَان أَجَشّ وَلَا صُوت أجْدَع جَزَّار).. وفي الاستراحة – بين "الشوطين"– أُعْلِنَ عن إذاعة "سيمفونية شهرزاد" ل"رمسكي

كورساكوف" في ساعة متأخرة من "الليل"؛ فقرر "العبد لله" أن يشاهدها.. ولما اقْتَرَح على الدكتور "عبدالرحمن" السَّهَر ليراها معه أشَاح ب"وجهه" قائلًا:

ـ (اسْهَر انْت أنِي مَالِيش في الحَاجَات دي.. إيه يَاخُويَا الّلِي مْحَبَّبَك فِيهَا كِدَا؟).

ـ (الّلِي مْحَبَّبْنِي فِيهَا إنّ المُوسِيقَارِ الرُّوسِي ده اسْتَلْهَم المُوسِيقَى الشَّرْقِيَّة والمَقَامَات العَرَبِيَّة في تَأْلِيفْهَا.. وكَمَان عَاشَت في وِجْدَانِي لارْتِباطْهَا بِمُسَلْسَل ألْف لِيلَة الّلِي الوَاحِد كَان مَجْنُون بِيه).. ولَمَّا ابتدأ عرض "السيمفونية" – التي كانت من إنتاج "التليفزيون الفرنسي"– انتبه "وكُلُّه أذان صاغية" ليُشَنِّف "آذانه" بنغماتها الرائعة والتي زادها "المخرج الفرنسي" إبهارًا بجَعْلِه "راقصة باليه" ترقص على نغماتها – الرائعة– فزادت من روعتها...

(22)

صرفوا لهم ثمن "تذكرة" السَّفَر ب"الطائرة" إلى "الجزائر" كما صرفوا "مستحقاتهم" عن "الأيام" التي انتظموا فيها بعد بداية "الشهر" إلى أن يُحَوَّل "المرتب" من بداية "الشهر" الجديد إلى "البريد" حسب ما يُعْرَف ب"الصكوك البريدية".. وحسب نصوص "العقد" سيَصْرف – "العبد لله"– 40% من "المرتب" ب"الدينار الجزائري" ويحَوِّل – إلى "مصر"– 60% ب"الدولار" حيث أنه "متزوج" ولا يصطحب "الأسرة".. وسيكون "التحويل" بواسطة "الصكوك البريدية" عن طريق "البنك الوطني الجزائري" إلى "بنك مصر"...

(23)

عندما أذيع الدرس الديني للشيخ "محمد الغزالي" في "التلفزيون" – ذات ليلة– وكان الدكتور "عدنان شحادة" وأولاد الدكتور "عدنان قشلان" حاضرين.. شعر "العبد لله" ب"الفخر" وانتفخت "أوداجه" وقال مزهوًّا:

ـ (الشّيخ محمد الغَزَالِي جِه الجَزَايِر سَنَة أرْبَعَة وتَمَانِين بِدَعْوَة من الرَّئِيس الشَّاذْلِي بِنِ جْدِيد لِلإِشْرَاف عَلَى تَأْسِيس جَامِعَة الأَمِير عبد القادر لِلعُلُوم الإِسْلاَمِيَّة فِي قُسَنْطِينَة؛ عَشَان تِبْقى أَزْهَر شَمَال إِفْرِيقْيَا). فقال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (مُسَمَّى المَنْصِب الرَّسْمِي هُوَّا رَئِيس المَجْلِس العِلْمِي لِلجَامِعَة). قال "العبد الله" ردًا على معلومته:

ـ (مَاشِي.. مِنْكُم نَسْتَفِيد)...

(24)

صرف "الزملاء" رواتبهم – من "البريد"– أما هو؛ فلم يجد اسمه موجودًا على "الكمبيوتر" هناك.. ولَمَّا ذهب إلى الأستاذ "لَحْسَن" – مدير "الشئون المالية"– ليستفسر منه عن سبب تأخر "راتبه"، قال له:

ـ (حَدَث خَطَأ فِي اسْمَك يا شِيخ تَرَكُوا الاسْم لَوَّل كَانُوا يْظُنُّوه مِسْيِو.. مَعَلِيش حَنْصَلْحُو الخَطَأ مَاتَقَلَّقْش).

ـ (أنَا كُنْت مُتَوقِّع الّلِي حَصَل؛ لأَنُّهُم حَذَفُوه فِي تَأْشِيرِتْكُم عَلَى البَاسْبُور، ولَمَّا عَلَّق عَلِيه الأُسْتَاذ حَسَّانِي فِي الوزَارَة بَسِّي بِالرَّغْم من انُّكُوا مَاتِعْرَفُوش عن الاِسْم إلاَّ إِنُّه مِسْيُو فَقَط، لَكِنُّه شَائِع جِدًا فِي مَصْر).. لم يحاول أن يضغط على الأستاذ "لَحْسَن"؛ فهو عائدا – توًّا– من "أجازة" مرضية طويلة بعد تعَرَّضَه ل"حادثة سير" أثناء قيادته ل"سيارته"، حتى أنه يركن "العُكَّازْ" خلف "كرسيه"...

(25)

عندما ذهب الدكتور "عبدالرحمن" إلى "البريد" ليصرف "راتبه"، ذهب "العبد لله" معه ليسأل عن "راتبه" – هل نزل على "الكمبيوتر" أم لا– فوجد "الحال على ما هو عليه".. وبعد خروجهما من "مبنى البريد" قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (مَاتِقلَقشِي حَاتُفْرَجِ انْ شَاءَ الله.. يَلاَّ نْصَوَّرْ بَعْضِنَا قُدَّام البَرِيد عَشَان نِسَجِّل الحَدَث)...

أمام مبنى البريد؛ وتظهر صورة الرئيس الشاذلي بن جديد واضحة أعلاه

(26)

ولَمَّا ظلَّ "المُرَتَّب" بعيدًا عن متناول "يده"؛ وقع في "حَيْصَ بَيْصْ".. واضطرَّ إلى "السَّلَف" من الدكتور "عبدالرحمن".. وأمَّا "الأولاد" – الذي حكى لهم عن "المأساة" في "الخطابات"– فلهم الله ثم "الأهْل". وما زاد الأمر تعقيدًا عليهم؛ أن "مرتب" آخر شهر – قبل بدء قطع "المرتب"– قد تأخَّر بسبب اختلاس "الصراف" – ويُدْعى "مراد منقريوس"– ل"مرتبات الموظفين" بادِّعَاء خروج "اللصوص" عليه...

(27)

كان الأساتذة "المصريون" متواجدون في "المدرسة العليا للأساتذة" بأعداد كبيرة؛ فعلاوة على ما ذكرهم – وما لم يذكرهم– فقد تعرَّف على الدكتور "محمد عبدالكريم" – أستاذ "الكيمياء"– من "كلية العلوم جامعة الإسكندرية"، والدكتور "أحمد محمد علي" – مدرس "الرياضيات"– من "كلية العلوم جامعة المنصورة"، والدكتور "أحمد ربيع" – أستاذ "البيولوجي" المساعد– من "كلية العلوم جامعة أسيوط"، والدكتور "أحمد عبدالسلام" – مدرس "الفيزياء"– من "كلية العلوم جامعة قنا".. وكان "العبد لله" والدكتور "عبدالرحمن" يزوران الأساتذة المذكورين في محال سُكْنَاهُم في "مساكن الأساتذة" المجاورة ل"المدرسة العليا للأساتذة"، وفي حّي "سبعة جويلية", وفي الأحياء المجاورة...

(28)

عندما كان يشتري "بيضًا" من أحد دكاكين "البقالة" – "المواد الغذائية العامة"– تذكَّر ما حدث بعد خروجهم من "مسجد القرية" بعد صلاة "الجمعة" التي جاءت بعد إعلان استقلال "الجزائر"؛ عندما كانوا – أبوه وهو وأخوه– يتحدثون حتى تأتي أمّه لهم بطعام "الغداء"؛ غير مهتمين ب"الراديو" المفتوح على برنامج "على الناصية".. ولكنه انتبه عندما قالت "آمال فهمي":

ـ (لقد سجَّلْت هذه الحلقة في شوارع "الجزائر العاصمة" بمناسبة إعلان استقلال الجزائر الشقيقة)؛ فقال لأبيه وأخيه:

ـ (اسْمَعُوا الحَلَقة المُهِمَّة الّلِي مِنِ الجَزَايِر).. وكان السؤال التالي من ضمن أسئلة "آمال فهمي" لأوَّل المتحدثين:

ـ (هَل صَحِيح إنُّكُم بِتْؤُلُوا على البِيض ولْد دْجَاجْ؟). ولا يتذكر ماذا كان رد المتحدث.. ولَمَّا أعاد – "العبد لله"– سؤال "آمال فهمي" – الذي كان منذ "أربعة وعشرين عامًا"– على "البَقَّال"؛ قال له:

ـ (هَادَا كَان زَمَان؛ وكَان فِي مَنَاطِج مَحْدُودَة مِلّبْلاَدْ؛ البَيْض عنَّا كِيمَا تْجُولُوا عْلِيه بَيْض كِيف كِيف)...

(29)

عندما دخل لجنة الامتحان – التي كُلِّف بمراقبتها– وجد زميله في "المراقبة"– يستعدّ لتوزيع "كراسات الإجابة" على "الطلبة"؛ ولمَّا رآه قال له:

ـ (حَضِرْتَك مُرَاقِب مَعِي؟).

ـ (أَيْ نَعَم؛ يَبْدُو مِن كَلاَمَك إنَّك سُورِي). ابتسم ثم قال:

ـ (إِيوَا؛ وانْتَا مِن غِير كَلاَم وَاضِح انَّك مَصْرِي؛ شُو اسْم الكَرِيم؟).

ـ (سَيِّد ماضِي؛ نِحِبّ نِتْشَرَّف بِالاِسْم).

ـ (سَعْد جَبُّور؛ مُدَرِّس الحَاسِب الآلِي بِجَامِعَة دِمَشِق؛ وحَضِرْتَك؟).

ـ (أنَـا اعْمَـل فـي هَيْئَـة المَـوَاد النوويـة).. وقبـل بدايـة الوقـت المحـدد ل"الامتحـان" ب"خمسـة دقـائق"؛ بـدأ الـدكتور "سـعد" فـي توزيـع "كراسـات الإجابـة" علـى "الطلبـة" و"العبد لله" من وراءه يوزع عليهم "أوراق الأسئلة".. وبعدما انتهيا من توزيع "كراسات الإجابـة" و"أوراق الأسـئلة"؛ أخـذا يراقبـا سـير "الامتحـان" و"عيونهمـا فـي وسـط رأسـيهما".. وبعـدما انتهيـا مـن جمـع "أوراق الإجابـة" – فـي نهايـة الوقـت المحـدد ل"الامتحان"– قال الدكتور "سعد":

ـ (أنَا طَالِب مِنَّك خِدْمَة).

ـ (اطْلُب؛ لَوْ في إمْكَانِي مَاعَنْدِيش مَانِع).

ـ (لَمَّا تْرُوح عَ مَصِر في عُطْلَة مُنْتَصَف العَام؛ لَوْ سَمَحْت تْجِيب لِي مَعَك كَام زُجَاجَة مِن دَوَاء اسْمُو الخِلّين).

ـ (خِلّين؟!؛ اشْمِعْنَى).

ـ (فِيه وَاحِد أرِيبِي عِنْدُه بُهَاق وهَادَا الدَّوَا مُخَصَّص لِعْلاَجُو؛ وهُو مِن إنْتَاج شَرِكَة مِمْفِيس لِلأَدْوِيَة على فِكْرَة).

ـ (ازَّايْ؟).

ـ (هَادَا الدَّوَا المُسْتَخْرَج مِن بُذُور نَبَات الخِلَّة مِن اكْتِشَاف المَصْرِي الدُّكْتُور ابْرَاهِيم رَجَب في سِنْة الأَلْف وْتِسْعْمِيَّا وْتِسْعَا وْأَرْبَعِين".

ـ (مَاشِي انْ شَاءَ الله؛ بَسِّي دَا لِسَّا بَدْرِي علي الأجَازَة!).

ـ (مَعَلِيش؛ وَإِنْتَهَا أَأُولَّك تَانِي، هَا، هَا، هَا)...

(30)

عندما كانوا – هو والدكتور "عبدالرحمن" والدكتور "البُرُلُّسِي"– خارجين من "السوق" – "المارشيه"– استوقفهم "رجل".. وبدون مقدِّمات؛ دخل في الكلام مباشرة ب"لهجة مصرية":

ـ (حَضَرَاتْكُوا مَصْرِيِّين طَبَعًا). قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (طَبَعًا؛ امَّال عِرِفْتِنَا ازَّاي؛ دَا المَصْرِي لَوْ مَاشِي فِي وِسْط الآلاَف يِتْعِرِف مِن غِير مَا يِتْكَلِّم). قال "الرجل":

ـ (مَحْسُوبْكُم الدُّكْتُور عبدالباسط دِسُوقي من زراعة مُشْتُهُر؛ من بَلَد اسْمَهَا الصَّحَافَة شَرْقِيَّة). قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (ومَحْسُوبَك الدُّكْتُور محمد عَلِي البُرُلُّسِي؛ أُسْتَاذ المَيْكْرُوبَيُوُلوجِي بزراعة عِين شَمْس؛ والدُّكْتُور عبْدالرحمن الغُنِيمِي؛ أُسْتَاذْ عِلْمِ الحَشَرَاتْ بِزِرَاعِة الزَّقَازِيق؛ والدُّكْتُورْ سَيِّدْ ماضِي أُسْتَاذِ الكِيمْيَا بهيئة المواد النووية). عندئذ قال "العبد لله":

ـ (ولَا أُسْتَاذ وَلاَ حَاجَة؛ مُدَرِّس بَس؛ وأَفْتَخِر). قال الدكتور "عبدالباسط دسوقي":

ـ (حَضْرِتَك أخُو عبدالعال ماضي؟).

ـ (أَي نَعَم).

ـ (أَخُوك كَان زِمِيلِي في بِلبيس الثانوية).

ـ (يَا أَهْلًا وسَهْلًا؛ امَّال حضرتك جِيت مُسْتْغَانِم على قُوِّة إِيه؟).

ـ (مَا هِي دِي مُشْكِلْتِي). قال الثلاثة في "نَفَس واحد":

ـ (يَا سَاتِر يَا رَب). قال الدكتور "عبدالباسط" وقد "اغرورقت عيناه":

ـ (أَنَا جَاي هِنَا عَشَانَ ادَرَّس في المَعْهَد الفِلاَحِي). قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (طَب فِين المُشْكِلَة؛ مَكَان مُمْتَاز وفي صَمِيم تَخَصُّصَك). قال الدكتور "عبدالباسط":

ـ (المُشْكِلَة إِنُّهُم كَلِّفُونِي بِتَأْلِيف كِتَاب؛ ولَمَّا قلْتِلْهُم أَنَا جَاي ادَرِّس؛ قالُولِي انْتَ جِيت مِتْأَخَّر). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (ومَالُه أَلِّف لُهُم الكِتَاب الِّلي هُمَّا عَايْزِينُه؛ انْتَ قدَّهَا وِقدُود.. وآدِيك حَاتِسْتَرَيَّح من قرَف التَّدْرِيس). قال الدكتور "عبدالباسط":

ـ (يَارِيت على قدِّ كِدَا؛ دَا مَاصَرَفُوش لِيَّا أَيِّ فْلُوس.. والقرْشِينِ الِّلي مْعَايَا قرَّبُوا يِخْلَصُوا.. الوَاحِد بِايِنُّه حَايِشْحَت عَنْ قرِيب.. وحَتَّى لَوْ عَايِز ارْجَع مَصْر؛ أَجِيب تَمَن تَذْكَرِة الطُّيَّارَة مْنِين). قال "العبد لله":

ـ (إِيه؛ هُمَّا حَاجْزِين المُرَتَّب قصَاد الكِتَاب؟). قال الدكتور "عبدالباسط":

ـ (والله مَنَا عَارِف.. الوَاحِد فَاض بِيه). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (وَلاَ يْهِمَّـك.. حَاتِتْحَـلّ انْ شَـاء الله.. تَعَـال مْعَانَـا عَشَـان تِعْـرَف الحِتَّـة الّلِـي احْنَـا سَاكْنِين فِيهَا عَشَان تِيجِيلْنَا فـي أَيّ وَقت، يَـلاَّ نَاخُدْهَا مَشْـي المَسَافَة مِش بِعِيدَة).. غيَّر الدكتور "البُرُلُّسِي" مجال الحديث فجأة عندما قال:

ـ (أنَا بَقيت لِبْلِب فـي كَلاَمْهُم بَعْد مَا الوَاحِد كَان زَيّ لَطْرَش فـي الزَّفَّة). قال "العبد لله":

ـ (طَيِّبْ وَرِّينَا). قال بكل ثِقَة:

ـ (مَاشِـي يَـا عَرَب). ودخـل دكـان "أدوات منزليـة"، وقـال للبـائع وهـو يشـير إلـى أحـد "الأرفف":

ـ (اشْحَال الّلِي بِيْدُقّ؟). ابتسم البائع – ابتسامة خفيفة– ثم قال:

ـ (هَادَا مَاشِي هَوْن يَا شِيخ؛ هَادَا لِلْحَمَّام). قال الدكتور "البُرُلُّسِي" وهو يخرج من "الدكان":

ـ (آسِف يَـا حَـاجْ.. اسْمَحْلِي). ولمـا عاد إليهم – وكانـت "حَبَّات العَرَق" تلمـع فـوق "جبهته"– قال "العبد لله":

ـ (ازَّيَّك بَجَى). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (مَـافِيش شَـك.. بَقينَـا نِفْهَمْهُـم دِلْـوَقتِي؛ يَعْنِـي لَمَّـا طَالِـب يقـول سَـامِحْنِي يَـا شِـيخْ مَاعَنْدِيش طَبْلِيَّة، نِفْهَم علـى طُوول إنُّـه يُقصُـد مَاعَنْـدُوش بَـالْطُو أبْيَض). قال "العبد لله":

ـ (وكَمَـان مَـثَلًا لَـوْ سِمِعْنَا حَـدِّ بِيْقـول لِحَـدّ تَـانِي عَيِّطْلُـو؛ نِعْرَف إنُّـه يُقصُـد انْدَهْلُـه بِلَهْجِتْنَا). قال الدكتور"عبدالباسط دسوقي":

ـ (دَا زَيّ مَايْكُون بِيْقول عَيَّط عَلِيه). قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (وَلَّا رُوح وأَرْوَح؛ بَدَل رُوح وتَعَالَى بِتوعنا)...

(31)

كانت حالة الدكتور "عبدالباسط دسوقي" "تصعب على الكافر"؛ فعندما كان يأتي إليهما – في "الشقة"– و"الطعام" أمامهما؛ كان "يَتَمَنَّع" عندما "يعزما عليه" رغم علامات الجوع البادية على "وجهه" ورغم "بريق عينيه" لمرْأَى "الطعام".. ولَمَّا كانا يلِحَّان عليه للأكل معهما؛ كان يَمُدُّ "يده" إلى "الطعام" وهو في مُنْتَهى الخجل.. وعندما كانُوا – هو والدكتور "عبدالرحمن" و"الدكتور "البُرُلُّسِي"– في زيارة الدكتور "عبدالباسط" في "المجمع السكني" الذي يقيم فيه، قال لهم بمجرد دخولهم "شَقَّتُه":

ـ (شُوفُوا رِزْق رَبّنَا.. الحَمَامَة الّلِي رَاقدَة على فْرِيز الشّبَّاك؛ دَبَحْت جُوز من تَحْتِهَا والجُوز التَّانِي فَقس آهُوه حَتَّى شُوفُوا)...

(32)

رغم وجوده وسط العديد من زملائه الدكاترة "المصريين"، وسكنه – بالأخص– مع الأخ العزيز الدكتور "عبدالرحمن الغنيمي"، ورغم تبادل "الخطابات" مع الأسرة؛ إلَّا أن الغُرْبَة كانت صعبة جدًا.. كان ينتظر "بفارغ الصبر" تركيب "التليفون" – الذي كان قد قدَّم طلبًا لتوصيله قبل "السفر"– لأن سماع أصواتهم أبلغ من "الخطابات".. وللتغلُّب على ما كان يعانيه من الشوق إليهم؛ ابتكر ما أعانه على تناسي تباعد "الأيام" وذلك بأن رسَم على "ورقة" ما يشبه "النتيجة السنوية"، بدأها منذ وصوله إلى "الجزائر" حتى "عطلة نصف السنة". وكان يبدأ العد التنازلي – ل"الأيام" و"الشهور"– بِتَّسْوِيد "خانة اليوم" في كل "صباح".. وقد علّق الدكتور "عبدالرحمن" على ذلك قائلًا:

ـْ (إنْت عَامِل دِه عَشَان تِعِدّ الأَيَّام؟، هُوَّا انْت في سِجْن؟).

ـ (آهِي رَاحَة نَفْسِيَّة)...

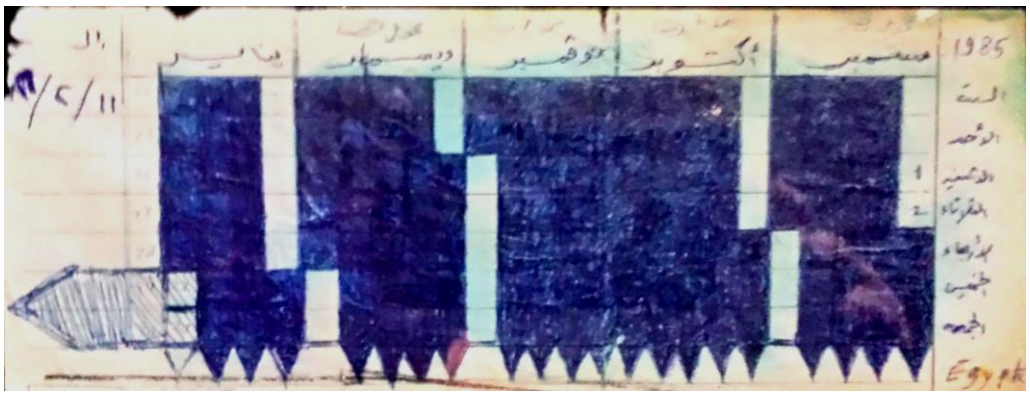

(33)

قرأ – مصادفة– خبرًا في جريدة "الشعب" – "الجزائرية"– مُفَادُه أن رجال "الشرطة" يطاردون الإرهابي "مصطفى بو يَعْلِي"؛ الذي حاول مهاجمة "كلية الشرطة" في مدينة "صومعة" بولاية "البليدة". وفي "المساء" كان هذا "الخبر" على رأس "نشرات الأخبار" في "الإذاعة" و"التليفزيون".. وفي اليوم التالي، قال لأستاذ "جزائري" صديق:

ـ (من هو أبو يَعْلِي هذا؟). باغَتَه السؤال – على ما يبدو– فأخذ "العبد لله" "على جنب"؛ وقال هَامِسًا:

ـ (كِيمَا بِتْجُولُوا فِي مِصِر؛ الحِيطَان لَهَا وْدَان.. الموضوع له علاقة بالصحوة الإسلامية التي بدأت في سنة اثنان وثمانون ويسمونها سنوات الغليان.. وفي هذه السنة فاز الإسلاميون فوزا ساحقا في انتخابات الطلبة بجامعة الجزائر، ولما حاول الطلبة الشيوعيون الاعتداء عليهم؛ قامت الشرطة باعتقال 400 طالب من الإسلاميين؛ فتجمّع نحو مئة ألف متظاهر بعد صلاة الجمعة للمطالبة بالإفراج عن المعتقلين.. ولجأ الطلبة للعنف الشديد).

ـ (وماذا بعد؟).

ـ (في تلك السنة بدأت تظهر بعض الأعمال الهجومية المسلحة التي قادها أحد الإسلاميين وهو مصطفى بو يعلي؛ الذي كان ضابطًا سابقًا في الجيش).

ـ (وتوالت الهجمات طبعًا).

ـ (إلى الآن.. وكان أخرها ما حدث بالأمس في كلية الشرطة)...

(34)

حُلَّتْ مشكلته بعد صرف "المرتب"، وكان ذلك قبيل "عطلة نصف السنة". أمَّا "التَّحْوِيل" إلى "مصر" فكان سيأخذ وقت؛ ولذلك فقد عَمِل "الإجراءات" على أمل وصول "الدولارات" – في أثناء "الإجازة"– إلى "بنك مصر" فرع "شبين القناطر"...

(35)

وبما أنه قد أصبح "مليونيرًا" بعدما صرفوا له كامل "مستحقاته" السابقة – زيادة على "مرتب الشهر"– فقد "حجز" تذكرة "الطائرة" – "ذهابًا وإيابًا"– واشترى الهدايا.. وعندما كانوا في "وسط المدينة" – "سَنْتغْ فِيّ" كما يكتبونها ب"الفرنسية" على "اللافتات"– يستكملون مشترياتهم من الهدايا، قال للدكتور "عبدالرحمن" والدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (تَعَالُوا نِتْفَرَّج على البَتْرِينَة بتَاعِت بُوتِيك المَلاَبِس الحَرِيمِي دَه يِمْكِن نِشْتِرِي مِنُّه)..

وعندما كانوا أمام "الفترينة"، سمعوا "هَمْهَمَة نسائية" من أعلى.. ولَمَّا أَلْقوا "رؤوسهم" إلى الخلف لتتبع مصدر "الهمهمة"؛ فوجئوا ب"ثلاث فتيات" يصحن "في نَفَس واحد":

ـ (حَتِسْلَك). وكانت هذه الكلمة "لازمة" مشهورة على لسان الممثل "نجاح الموجي" عندما كان يجسّد دور "السبَّاك" في "مسلسل تليفزيوني" مشهور في تلك الأيام..

وبعدما قُلْنَ كلمة "حَتِسْلَك"؛ أَخَذْنَ يضحكن لعدة ثوان ثم قالت إحداهن:

ـ (رَانَا بِنْحِبّ المَصْرِيِّين بِالزَّاف).. وفي أثناء انشغالهم ب"الفُرْجَة" على ما يعرضه "البائع"، طرق أسماعهم صوت "امرأة" عجوز آتيًا من "الشارع".. وعندما الْتَفَت خلفه رآها، كانت حَاسِرَة "الرأس" فبدا "شعرها" الأبيض القصير الخفيف المنكوش مُنَفِّرًا.. كانت مُنْحَنِيَة "الظَّهْر" ترتدي "لباسًا" خفيفًا قصيرًا ب"نصف كم".. وكانت "المرأة" قد تباطأت في "مشيها".. وعندما صارت في محاذاة "البوتيك"، لَوَّحَت ب"يدها" وقالت:

ـ (كِي رَاك دِحْمَان).

ـ (لاَ بَاس غَايَة امْ شَاؤُول).. وبعد انصراف "المرأة"، قال "البائع":

ـ (هَادِي يَهُودِيَّة). قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (مَاهُو بَايِنْ مِن شَكْلِهَا ومِن اسْم ابْنها شَاؤُول). قال "البائع":

ـ (لَمَّا خْرَج الفِرَنْسِيِّين خْرَج اليَهُود وِيَّاهُم ومَابْقَاش مِنْهُم إلاَّ قْلِيل من كِبَار السِّن، جَعَدُوا يحْرُسُوا المَعْبَد انْتَاعْهُم). قال "العبد لله":

ـ (وهَلْ كَان اليَهُود لَهُم وجُود قَدِيم عِنْدُكُم؟). قال "البائع":

ـ (رَانَا نِسْمَع مِن آبَائْنَا وأجْدَادْنَا يْجُولُوا المَعْبَد اليَهُودِي في مُسْتْغَانِم بَنَاه الفِرَنْسِيُّون في العَام أَلْف وتُمْنْمَايَة وسَبْعَة وخَمْسِين، يَعْنِي بَعْد احْتِلاَلْهُم لِبْلاَد بسَبْعَة وعِشْرِين عَام). قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (مَابِتْقولْشِي سمِعْنَا آبَائْنَا وأَجْدَادْنَا يِهِدْرُوا لِيه؟).

ـ (يْجُولُوا ولاَّ يُهْدْرُوا؛ الاثْنِين مَاشْيِين عِنَّا يَاشِيخ)...

(36)

وافَق على عرْض الدكتور "عبدالرحمن" بالذهاب معه ومع الدكتور "البُرُلُّسِي" ودكتور "عراقي" إلى "وَهْرَان"؛ بعد أن حُلَّتْ مشكلة "المُرَتَّب" وأصْبَح من ذوي آلاف "الدنانير".. ويتذكر – بعدما تركوا "مستغانم" بعدة "كيلومترات"– أن مجموعة من "الشباب" كانوا في مؤخرة "الحافلة" أخذوا يُرَدِّدُون ب"الصوت العالي" مع "التصفيق" كلامًا كثيرًا لم يفهم منه إلَّا عبارة:

ـ (رَانَا شْبَاب مُسْتْغَانْمِيَّة الوَاحِد مِنَّا يْسَاوِي مْيَا وَهْرَانِيَّة).. وسمع الدكتور "البُرُلُّسِي" – الذي كان يجلس بجواره– يقول وهو ينظر عبر "النافذة" إلى "يافطة":

ـ (فِيه بَلَد اسْمَهَا سِيفْ؟!). نظر "العبد لله" بسرعة إلى "اليافطة" فتأكد من حروفها الثلاثة التي كانت: "س ي ف" ولكن حرف "الفاء" كان فوقه ثلاث نقاط ولذلك فقد نطقه الدكتور "البُرُلُّسِي" كما يُنْطَق حرف "v" ب"الإنجليزية".. وعندما قرأ الدكتور "البُرُلُّسِي" اليافطة ب"سيف" – حسب ظنه– صَحَّحَهَا له رجل "جزائري" يجلس خلفه قائلًا:

ـ (إلَّا مَاشِي سِيفْ ولَكِينْ سِيجْ). ونطق "حرف الجيم" كما ينطقه أهل "القاهرة"...

(37)

بعدما تعبوا من "اللف والدوران" في العديد من شوارع "وهران"، قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (مِشْ كِفَايَة شُوبِنْج؟.. يَلاَّ نَاكُل، حَانْحَوِّد على أَوَّل مَطْعَم يِقابِلْنَا، رِجْلِينَا اتْكَسَّرِت).

قال الدكتور "العراقي":

ـ (فِيه مَطْعَم سَمَك آني بَاكُل فِيه كُلّ مَاجِي وَهْرَنْ). وحذف "الألف" من كلمة "وهران" ونطقها "وَهْرَنْ" كما ينطقها "المستغانمية"، وتابع قائلاً:

ـ (نَصِيحَة مَايْفُوتْكُوا تَاكْلُوا فِيه كُلّ مَاتْزُورُوا وَهْرَنْ؛ السَّمَكَة فِيه هَا الجَدْ). وأشار ب"يده اليسرى" على "يده اليمنى" دلالة على أن طول "السمكة" كالمسافة من "الكف" حتى "الكوع"...

(38)

كانت بداية الإجراءات – "الرسمية"– للقيام ب"عطلة نصف العام" هي صدور "تصريحَيْ العطلة"!.. وكان إصدارهم "تصريحَيْ عطلة" بدلاً من "تصريح" واحد أمرًا غريبًا؛ لم يفهم له سببًا.. كان "التصريح" الأوّل ب"يومين" فقط!، وكان الثاني ب"22 يوما"!...

تصريح عطلة بيومين!!

وتصريح عطلة ب 22 يوما!!

(39)

كانت فرحة "العبد لله" ب"أجازة نصف العام" لا توصف؛ فقد كان يشعر بأنه قد فارق "الأولاد" منذ سنين.. وازدادت لهفته واشتياقه إليهم باقتراب موعد "السفر".. ولمَّا جاء "اليوم الموعود" استأجروا "سيارة أجرة" – ماركة "بيجو– "سبعة راكب" لتحملهم – هو والدكتور "عبدالرحمن" والدكتور "البُرُلُّسِي" والدكتور "نبوي" والدكتور "رياض قلادة" والدكتور "سامي خلة"– إلى "مطار الجزائر العاصمة".. ولَمَّا وصلوا إلى "المطار"، وذهبوا ل"تأكيد الحجز" قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (رَبِّنَا يُسْتُر). فقال "العبد لله" بعد شعوره بانقباض شديد:

ـ (هُوَّا فِيه إِيه؛ مِش احْنَا مْأَكِّدِينِ الحَجْز في مُسْتَغَانِم؟).

ـ (البِلَد دِي مَاتِعْرَفْشِي فِيهَا لِك رَاس مِن رِجْلِين.. الوَاحِد مَايِطَّمْنْشِي إِلَّا لَمَّا يْحُطّ رِجْلِيه في الطَّيَّارَة)...

(40)

وهُم في "صالة الانتظار" فوجئ بوجود الدكتور "سيد عَفْصَة"، والدكتور "محمود الجحش" – زَمِيلَيْ "مصلحة الكيمياء" من قبل مجيئه إلى "الهيئة"– فأخذهما ب"الأحضان"؛ واستعاد معهما ذكريات أيام "المصلحة" الجميلة.. ولَمَّا سأل الدكتور "سيد عَفْصَة" عن "الولاية" التي يُدَرِّسُ في "جامعتها"، قال له:

ـ (أنَا في جَامِعَة قُسَنْطِينَة الّلِي في الشَّرْق زَيّ مَانْتَ عَارِف).

ـ (عَارِف ورَبِّنَا يْعِينَك على تَحَمَّل جَوّ التَّلْج بْتَاعْهَا).. ولمَّا سأل الدكتور "محمود الجحش" عن "الولاية" التي يُدَرِّس فيها، قال بأسلوبه المرح:

ـ (يَا عَمّ سيّد أخُوك المُلْحَق الثَّقَاااااافي.. دَعَوَاتَك).

ـ (رَبِّنَا يْوَفَّقَك.. انْتَ تِسْتَاهِل كُلّ خِير). ولما ذهب الدكتور "محمود الجحش" ليشتري سجائر، قال "العبد لله" للدكتور "سيّد عَفْصَة":

ـ (فِيه وَاحِد صَدِيقِي من جَامْعة طَنْطَا كُنَّا جَايِّين مَعَ بَعْض، لَكِن وَزَّعُونِي في الوِزَارَة على مُسْتَغَانِم وهُوَّا وَدُّوه أُمّ البَوَاقِي الّلِي هِيَّا بَرْد زَيّ قُسَنْطِينَة وِيمْكِن اكْتَر).

ـ (اسْمُه إيه الدُّكْتُور صَاحْبَك؟).

ـ (اسْمُه الدكتور محمد القِرْش).

ـ (تِعِيش انْت؛ ماسْتَحْمَلْشِي جَوّ البَلَد دِي وِتْوَفَّى من شَهْر). أصاب الخبر "العبد لله" بصدمة شديدة، ولكنه تمالك "نفسه" وقال:

ـ (إنَّا لله وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُون.. وِاحْنَا خَارْجِين من الوزَارَة قالِ لي وعِينِيه مِرَغْرَغَة بالدُّمُوع رَبِّنَا يُسْتُر، لأنُّه كَان عَنْدُه رَبْو مُزْمِن).. كان حزن "العبد لله" على الدكتور "محمد القرش" شديدًا؛ حتى أنه ظلّ في حالة من "التَّوَهَانْ" لا يدري بما حوله طوال "الرحلة"...

(41)

وَصَلَت "الطائرة" إلى "مطار القاهرة" بعد العشاء.. وبمجرد هبوط "الركّاب" إلى "أرض المطار"، جرى معظمهم نحو "الأتوبيس" الذي سيذهب بهم إلى "صالة الجوازات".. وكانت تفصل "العبد لله" عن الدكتور "عبدالرحمن" في "الطابور" المتحرك نحو "ضابط الجوازات" مسافة كبيرة.. وعندما انتهى "ضابط الجوازات" من ختم "جواز سفر" الدكتور "عبدالرحمن"، التفت إلى "العبد لله" قائلاً:

ـ (حَانْتِظْرَك عَنْد السِّير زَمَان الشُّنَط وِصْلِت).. وعندما أَوْصَل الطابور "العبد لله" عند "ضابط الجوازات" أعطاه "جواز السفر". ولَمَّا راح يُقَلِّب صفحاته بتباطؤ، قال في "نفسه":

ـ (اخْلَص بَقى ودُقّ الخِتْم خَلِّينَا نِلْحَق الدكتور عبدالرحمن).. وبعد تقليب "الضابط" ل"صفحات الجواز"، أعاد النظر في "الصورة" ثم رفع "رأسه" و"تَفَرَّسَ" في وجه "العبد لله"، وفاجأه بالقول:

ـ (لَوْ سَمَحْت يَا دكتور سيّد اتْفَضَّل خَمْسَة). وأشار إلى "ممر" خَلْفَه يشبه "السِّرْدَاب".. امتثل لأمر "الضابط" وهو في ذهول تام.. وانْتَهَى به "الممر" – الذي كان بطول "عشرون مترًا" تقريبًا– إلى "حجرة" يجلس "سبعة رجال" على "دِكَّة" موضوعة على بابها.. أُلْقى على "الرجال" – الذين كانت وجوههم مُكْفَهِرَّة– "السلام"

وجلس على طرف "الدِّكَّة".. وبعد فترة من الصَّمْت، قال الجالس بجواره وكان "شابًا" في "الثلاثينيات" من عمره تقريبًا:

ـ (بِالذِّمَّة دَكَاتْرَة زَيّ الوَرْد زَيّنَا يِكونوا وِشّ شُبْهَة؟).. قال "العبد لله" باستغراب:

ـ (هُوَّا فِيه إِيه؟). قال الجالس على الطَّرَف الثاني ل"الدِّكَّة":

ـ (حَجَزُوا بَاسْبُورَاتْنَا عَشَانْ اشْتَبَهُوا في أَسَامِينَا أَحْسَن تِكُون مِن ضِمْن المَطْلُوبِين).

ـ (وطَبَعًا حَايِتْأَكَّدُوا مِن كِدَا بَعْدِمَا يْرَاجْعُوا أَسْمَاءْنَا بِأُسْمَاء المَطْلُوبِين في الكُمْبِيُوتَر).. الْتَفَتَ "الدكتور" الذي يجلس بجواره إلى "باب الحجرة" – المُغْلَق– وقال بِعُلُوّ "صوته":

ـ (خَلَّصُونَا لَوْ سَمَحْتُوا.. أنا هنا من سَاعْتِين زَمَان أَهْلِي توغوشوا عَلَيَّا).. وبعد دقائق فوجئوا ب"جنديًا" يفتح "الباب" ويصيح فيهم قائلًا:

ـ (الدكتور سَعْد الله الشَّرْنُوبِي).. انْتَفَض "الدكتور" الجالس بجوار "العبد لله" وقال وقد "تَهَلَّلَ وجهه":

ـ (أَيْيْيْيْيْيْيْوَه).. قال "الجندي" وهو يعطيه "جواز سفره":

ـ (اتْفَضَّل، مَعَ السَّلاَمَة).. وجاء "الجندي" مرة ثانية – بعد "ربع ساعة"– ومعه "أربعة جوازات" سَلَّمَهُم لأصحابهم بعد أن نادى عليهم بالاسم، فأخذوها وانصرفوا.. ولَمَّا لَمْ يتبقَّى على "الدِّكَّة" إلّا "اثنان" – و"العبد لله" "ثالثهم"– بدأ يشعر بالخوف.. وبعد طول غياب، جاء "الجندي" وبيده "جوازي سفر" سَلَّمَهُمَا ل"صَاحِبَيْ الدِّكَّة" وانصرف مسرعًا.. عندئذ كاد أن يُغْشَى عَلَى "العبد لله".. وقال له أحد "صاحبي "الدِّكَّة" في أثناء مغادرتهما "السِّرْدَابْ":

ـ (هَاتُفْرَج انْ شَاء الله)؛ فقال وهو يحاول السيطرة على "مشاعره" المضطربة:

ـ (بِسْمَع مِنَّك رَبِّنَا).. وذهب زملاء "الدِّكَّة" وتركوه وحيدًا "ينْعِي مَابِه"؛ يضرب "أخماسًا في أسداس" ويقول في "نفسه":

ـ (يِمْكِن الإِسْم عَامِل لُهُم مُشْكِلَة؟.. طَيِّب دَا أَنَا تَحْت عِينِيهُم مِن يُوم مَاجِيت المَكَان دِه وِيِمْكِن من أَبْل كِدَا كَمَان!).. وأخيرًا – بعدما كان قد أَشْرَف على فُقْدان الأمل في

نجاته من هذا المكان– جاء "الجندي" وبيده "جواز السفر"، فسيطر عَلَى "العبد لله" شعور جارف بأن يخطفه من يده ويغادر هذا المكان جَرْيًا، ولكن "الجندي" قال متثاقلاً:

ـ (اتْفَضَّل يَاعَمّ الدُّكْتُر سيّد.. مَعَ السَّلاَمَة)...

(42)

عندما وصل إلى "صالة" استلام "الحقائب" – من على "السّير المتحرك"– وجدها "قاعًا صفصفًا".. كان "السّير المتحرك" يدور ولا يوجد فوقه إلَّا "حَقِيبَتَيه".. أخَذ "حَقِيبَتَيه" ووضعهما مع "حقيبة اليد" – "الهاندباج"– في إحدى "عربات حمل الحقائب"، ودفعها أمامه – وكان وحيدًا تقريبًا– إلى خارج "مبنى الوصول".. وعندما وقَف في "ساحة انتظار السيارات" – يفكر في الخطوة التالية– فوجئ باثنين من سائقي "سيارات الأجرة" يهجمان على "عربة حقائبه" ويتجاذبانها بعنف فتذكَّر "مدرس التاريخ" و"مدرس الرسم" وهما يتجاذبانه – مع اختلاف الوضع– في "الفسحة الكبيرة" أيام "مدرسة المحمدية الإعدادية".. "خَلَع" من سائِقَيْ التاكسي ب"صنعة لَطَافَة" خوفًا من "الغدر" – كان غدر السائقين بالزبائن منتشرًا في تلك الأيام– وقال في "نفسه":

ـ (مِش لَوْ كَانُوا جُم يِقابْلُونِي مِش كَان أَضْمَن؟.. بَسِّي هُمِّا مَعْذُورِين مَعَاد إِقْلاَع الطَّيَّارَة الِّلي غَيَّرُوه كَذَا مَرَّة كَان هُوَّا السَّبَب).. وبعدما تَرَك سَائِقَيّ "التاكسي"، اقترب مِنه "رجلًا" – يبدو أنه كان يراقب الموقف– وقال له:

ـ (خُد عَرَبِيَّة لِيمُوزِين أضْمَن.. بِيَاخْدُوا أُجْرَة مُحَدَّدَة حَسَب المَسَافَة ويِدِّيك وَصْل، وبَعْدِين الِّلي تِدِّيه لُه بَعْدِمَا يْوَصَّلَك إِنْتَ وْشَطَارْتَك).. ازداد شعوره بالاطمئنان مع سائق السيارة "الليموزين" عندما أخذ "رجل الشرطة" في "الكشك" الذي يتحكّم في بوابة الخروج من مبنى المطار بياناته وبيانات "العبد لله" وأثبت في "دَفْتَره" وقت "المغادرة"...

(43)

وصل "شبين القناطر" في ساعة متأخرة من "الليل".. ونادى على "الأولاد" عندما وقف "السائق" أمام "العمارة"؛ فخرج "الصغار" إلى "الشُّرْفَة" يِطِلُّونَ عَلَيه في "لمح البصر".. ونزل "محمد" و"أحمد" على "السلم" قفزًا.. وعلى "عتبة بوابة العمارة"؛ ارتمى "محمد" في أحضان أبوه, وتبعه "أحمد".. ولَمَّا فاجئه "السائق" – بعدما أنزل "الحقائب" من على "سقف السيارة"– بقوله:

ـ (الحَمْد الله على السَّلاَمَة يا باشا).

ـ (مَعَلِشّي آسِف الأولاَد مِشْتَاقِين على أبوهم).

ـ (رَبّنَا يْخَلّي بَسّي مَشّينِي.. الدُّنْيا لِيل والأَرْيَاف زَيّ مَانْت عَارِف رَبّنَا يُسْتُر).

ـ (رَبّنَا بِسْتُرْهَا مْعَاك، وان شاء الله تِوْصَل بِالسَّلامة).. وأَعْطَاه "البقشيش" فأخذه وانْصَرَف شاكرًا...

(44)

أخذ "محمود" معه عندما ذهب إلى أخيه "عبدالعال" للجلوس معه في "محل الذهب" في "ساعة عصرية".. وبينما كانا "يتجاذبان أطراف الحديث" تذكر "شهادة المعاملة العسكرية" – التي لم يأخذها من موظف "مجلس الدولة" إلَّا بعد كتابة "تعهد" بإعادتها بعد استخراج "تصريح السفر"– فقال له:

ـ (وَدّيت شَهَادِة المُعَامْلَة للرَّاجِل بتَاع مَجْلِس الدَّوْلَة؟).

ـ (شَهَادَة مُعَامْلِة إِيه؟).

ـ(انْتَ نْسِيت؟!؛ وانا مْسَافِر مِش قولْتِلَك وَدّي شَهَادِة المُعَامْلَة للرَّاجِل الّلي في مَجْلِس الدَّوْلَة الّلي كَانَت مَلَفَّات قضِيّة المُعِيدِين في عُهْدِتُه يَعْنِي دِي جَزَاتُه؛ الّلي عَرَّض نَفْسُه لِلْأَذَى عَشَان يِفِكّ زَنْقتْنَا).

ـ (عَرَّضْ نَفْسُه لِلْأَذَى؟؛ انْت طَيّب.. هُوَّا لُوْ مَكَانْشِي خَد الَّلحَالِيح كَان حَيِدّيهَا لِك حَتَّى لَوْ وقفْت على رَاسَك؟).

ـ (وَلَـوْ، بَسِّـي انـا اتْعَهَّدْت لُـه إنّهَـا تِرْجَـع عَلَـى طُـول؛ مِـش عَهْـد الحُـرّ دِيـن عَلِيـه بَرْضُه؟، وبَعْدِيين دَا وَاخِد عَلَيَّا تَعَهُّد أقابْلُـه بَأَيّ وِش دِلْوَقْتِي بَعْد المُدَّة دِي كُلّهَا؟).. وقام منتفضًا تعبيرًا عن الغضب، فقال له:

ـ (علي فِين؟).. ابْتَسَم – حتى لا تتأزم الأمور– وقال بصوت منخفض:

ـ (رَايِح اتْصَوَّر عَنْد سْتُودْيُو مْيَامِي، الصُّوَر غَالْيَه في الجَزَايِر.. خَلّيك يَا مَحْمُود مع بابا عبده على مَا ارْجَع).. وعندما هَمّ بالخروج من "المحل"؛ انفجر "محمود" باكيًا ولكنه مَشَى "في حاله" وقال في "نفسه:

ـ (كَمَان شِوَيَّة حَايِسْكُت).. ولكن "محمود" لم يسكت بل عَلاَ "صراخه" حتى لفت أنظار "الناس" في "الشارع"، فَعاد إلى "المحل" وبمُجَرَّد ما رآه اندفع مُرْتَمِيًا في "حضنه"، فقال "عبدالعال":

ـ (خُدُه مْعَاك.. سَايْبُه لِيه هُوَّا لِسَّا شِبِع مِنَّك؟).. وبعدما انتهى "المُصَوَّرَاتي" من تصويره، جعله يأخذ صورة ل"محمود"...

(45)

كان في غاية الحَرَج من "موظف مجلس الدولة" وهو يعيد إليه "شهادة المعاملة العسكرية".. وبعدما "قدَّره الله" على تقديم الاعتذارات الواجبة؛ قال له الموظف:

ـ (دَا يْصَحّ بَرْضُه.. انْتَ كِدَا كُنْت حَاتْوَدِّينِي فْدَاهْيَة لُولاَ إنّ رَبِّنَا سَتَر والقضِيَّة مَاتْحَرَّكِتْشِي).

ـ (آهُو انْت قلْت رَبِّنَا سَتَر.. مَاعَلِشّي حَصَل خِير.. أخُويَا الّلِي صَهْيِن أنَا مَالِيش ذَنْب زَيّ مَاقلْت لْحَضْرِتَك).. وبعد إتمام مُهِمة إرجاع "شهادة المعاملة" إلى موظف "مجلس الدولة"، ذهَب إلى "مكتب براءات الاختراع" لتسجيل "اختراعه الثاني".. وبعد خروجه من "مبنى الأكاديمية"، قَرَّر الذهاب إلى "ميدان التحرير" ومنه إلى "شارع طلعت حرب" ليشتري "أُورْج" كهربائي ل"محمود" من أحد "المحلات" الشهيرة هناك رغم أن "السماء" كانت مُلَبَّدَة ب"الغيوم" منذرة ب"أمطارًا" غزيرة.. وكما توَقَّع، بدأت "الأمطار" تتساقط عندما كان في أوّل شارع "طلعت حرب".. وقبيل وصوله إلى "المحل" الذي كان يقصده؛ قابله الدكتور "نبوي" – زميل "التَّغْرِيبَة"– والذي قال بعدما سّلَّم عليه:

ـ (دَا انْتَ غَرْقان خَالِص مَافِيش مَعَاك شَمْسِيَّة وَلاَّ إيه؟).

ـ (وَلاَ يْهِمَّك الدِّنْيَا مِش بَرْد، بَسِّي كْوَيِّس الّلِي انْت جِبْت الشَّمْسِيَّة مْعَاك).

ـ (الوَاحِد اتْعَوَّد يِشِيلَهَا مْعَاه مِنِين مَيْرُوح، عَشَان جَوّ الجَزَايِر مُمْطِر أكْتَر من جَوّ مَصْر.. إلاَّ قولّلِي فُلُوس التَّحْوِيل وِصْلِت؟، أَصْل العَمَلِيَّة كَانَتْ مِلَعْبَكَة مْعَاك من أَوّلْهَا).

ـ (لِسَّا مَاوِصْلِتِشِي لْغَايِة الآن.. رَبِّنَا يْسَهّل، وشُكْرًا عَلَى مُسَاعْدِتِي في تَغْيِير الفُلُوس المصري).

ـ (يَارَاااااجِل انْت لِسَّا فَاكِر؟)...

(46)

ذهب إلى "الهيئة"، وكان الدكتور "نادر" هو أوّل من زاره.. ولَمَّا انصرف مَن كانوا عنده، قال ل"سيادته":

ـ (إيه رَأي حَضْرِتَك في التَّقدِيم لأُسْتَاذ مُسَاعِد؟).. قال ب"جِدِّيَّتِه" المعهودة:

ـ (ومَالُه يَا سيّد.. انْت واخِد الدُّكْتُورَاه من إِمْتَى؟).

ـ (في وَاحِد وعِشْرِين أَرْبَعَة سَنَة وَاحِد وتَمَانِين يا دُكْتُر).

ـ (كِدَا يِبْقى فَات خَمَس سِنِين؟).

ـ (خَمَس سِنِين إِلاَّ تَلاَت شُهُور تَقرِيبًا).

ـ (مُمْكِن تقدّم، مَسْمُوح بِالتّقدِيم بَعْد مُرُور خَمَس سِنِين إلاَّ تَلاَت شُهُور.. جَت مَعَاك بَصْرَة.. مَعَاك لِسْتِة البُحُوث؟).

ـ (أَيْوَا يَا دُكتور اتْفَضَّل).. قال بعدما أطَّلَع على "قائمة الأبْحَاث"":

ـ (كِدَا تَمَام.. رُوح وَرِّيهَا للدكتور أبو الحسن وقوول له يِنْفَع أَقدّم؟؛ عَشَان هُوَّا مُقَرِّر اللَّجْنَة).

ـ (رَئِيس الهَيْئَة والمُقَرِّر في نَفْس الوَقت؟).

ـ (أَيْوَا.. رُوح مَاتْضَيَّعْشِي وَقت أَحْسَن يِمْشِي وَلاَّ حَاجَة)...

(47)

قال للدكتور "أبو الحسن" بعدما عرض عليه "قائمة" أبحاثه:

ـ (إيه رَأْي سِيَادْتَك.. أبْحَاثِي تَرْقَى للتَّقدّم لأُسْتَاذ مُسَاعِد؟).

ـ (قدّم عَلَى بَرَكِة الله.. بِالتَّوْفِيق)...

(48)

كان يسابق الزمن لتجهيز "الأبحاث" – المنشورة– لتقديمها إلى "مقرر اللجنة العلمية" – الدكتور "أبو الحسن"– قبل أن يداهمه "موعد السفر".. ورغم الجهود المُضْنِيَة التي بذلها في تجهيز أوراق التقدّم إلى "اللجنة العلمية"؛ إلَّا أن الذي كان

خائفا منه قد حدث فقد تأخّر حصوله على "الموافقة على النشر" لأحد "البحوث" من "المجلة" التي وافقت على "نشره"، ولم يتبقَّى على "موعد السفر" إلَّا يومان فقط.. ولمَّا استشار الدكتور "نادر" في كيفية التصرف في هذه المشكلة، قال له:

ـ (سَافِر انْتَ مَعَ السَّلاَمَة وسِيبْلِي المَظَارِيف وَانَا حَاخَلّي صَاحْبَك محمد الأَنْوَر يِجِيب الأكْسِبْتَانْس من المِجَلَّة ولَمَّا يْجِيبْهَا حَاحُطَّهَا في مَكَانْهَا في التَّلاَت مَظَارِيف)...

(49)

في رحلة العودة – إلى "الجزائر"– هبطت "الطائرة" في مطار "هَوَّارِي بو مدين" على الساعة "الثامنة" مساءً تقريبًا.. أخَذُوا سيارة أجرة "سبعة راكب" ماركة "بيجو".. وبعد مغادرة "المطار" فوجئوا بدخول "السائق" إلى "محطة" تزويد "السيارات" ب"الوقود" – "بنزينة"– ولكن بدلًا من وقوفه عند إحدى "مضخات البنزين"؛ وقف عند شيء غريب يشبه "ماكينة الهواء المضغوط" – "الكُمْبْرِيسُّور"– فقال للجالس بجواره:

ـ (إيه دَه؟.. هُوَّا مَارَاحْشِي عَنْد طُرُمْبِة البَنْزِين لِيه؟).

ـ (بِيِشْحِنْهَا بِالغَاز.. لِسَّا النِّظَامْ دَه مَاطَّبَّقشِي عَنْدِنَا)...

(50)

بعد مغادرة "الجزائر" – "العاصمة"– بأكثر من "ساعة زمن" هَدَّئ "السائق" من سرعة "السيارة"، ولمَّا حاول – "العبد لله"– اسْتِجْلاَء الأمر رأى – على البُعْد– عدة "صبية" يقفون على الجانب الأيمن من الطريق, ويبدون ك"الأشباح" في وسط "الظلام الحالك" الذي تُزيده "الأشجار الكثيفة" على جانبيه إظلامًا.. وعندما توقّف "السائق" عند هؤلاء "الصبية"، رآهم – على "ضوء السيارة"– يَلَوِّحُون "بِعُلَب" من "الكرتون" بها شيء ما، وقبل أن يتساءل عَمَّا بِعُلَبِهِم، قال "السائق" للركَّاب:

ـ (تِبْغُوا مَنْدَرِين؟). رد عليه بعضهم:

ـ (مَاشِي). فقال "السائق" لأحد "الصبية" الذي سبق زملاءه:

ـ (بْجَدِّيشِ تْبِيع المَنْدَرِين انْتَاعَك يا وْلِيدِي؟). قال "الصبي":

ـ (بْعِشْرِين يَالْحَاج). قال "السائق" للدكتور "عبدالرحمن" الذي كان يجلس بجانبه:

ـ (اعْطِيه خَمَسْتَاشِن دِينَار يا شِيخ).. ولَمَّا كَانَ "المَنْدَرِينْ" ما هو إلَّا "اليوسف افندي"؛ قال "العبد لله" للجالس بجواره:

ـ (أَتَارِيهُمْ بِيقولُوا على اليُوسْتَافَنْدي مَنْدَرِين!). قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (علي فِكْرَة؛ المَنْدَرِين هُوَّا الاسْم العِلْمِي لكِن يَّوسِف افَنْدِي أوِ اليُوسْفِي بِمَعْنَى أصَحّ؛ تَسْمِيَّة مَصْرِيَّة بِمْكِن جَت من اسْم الّلِي دَخَّل زِرَاعْتُه في مَصْر).. أخذ الدكتور "عبدالرحمن" ما يكفيه – هو "السائق"– من "المَنْدَرِين" ثم ناول "العلبة" للركاب قائلاً:

ـ (خُدُوا اتْسَلُّوا).. وبينما كان كل منهم "يعيش مع نفسه"؛ قال الدكتور "البُرُلُّسِي" بصوت مسموع:

ـ (أنَا إيه الّلِي رَجَّعْنِي الوَاحِد لِسَّا جَاي آهُوه وِاتْشَوَّق عَلِيهُم.. يَاحَبِيبِي يَاعُمَر).. وبينما كان "الصمت" هو السَّائِد – حتى أن "الرَّاكِبَان" الجالسان على "الكرسي الخلفي" قد "راحا في نوم عميق"– كان الدكتور "عبدالرحمن" دائم التَّحَدُّث مع "السائق"، فقال "العبد لله" للجالس بجواره:

ـ (هُمَّا مَابْيِزَهَقوش من الكَلاَم).

ـ (لاَزِم الّلِي قاعِد جَمْب السَّوَّاق يِفْضَل يِكَلِّمُه على طُول عَشَان مَايْنَامْشِي عَشَان مايِحْصَلْشِي الّلِي مَالاَ تُحْمَد عُقْبَاه، وخُصُوصًا في المَسَافَات الطَّوِيلَة وبِالأَخَصّ بِالّلِيل)...

(51)

عادوا إلى "مستغانم" بعد انتهاء "عطلة نصف السنة".. وكان أوَّل إجْرَاء لإثبات ممارستهم للعمل هو إصدار الإدارة لهم "شهادة استئناف العمل".. وبعد "أسبوعين" من مغادرة "البلاد"؛ علم بأحداث "تَمَرُّد الأمن المركزي المصري" فجزع جزعًا شديدًا مِمَّا قد تؤول إليه البلد نتيجة لتَطَوُّر "الأحداث"، وقال في "نفسه":

ـ (رَبِّنَا بِسْتُرْهَا على البَلَد).. وكان قد أعدّ "مخطط العد التنازلي" ل"النصف الثاني" من "العام الدراسي" بأن رسم على – "ورقة"– "الأيام" و"الشهور" بداية من عودته من "مصر" بعد "أجازة نصف السنة" وانتهاءً بيوم "السفر" – إلى "مصر"– في بداية العطلة الصيفية"...

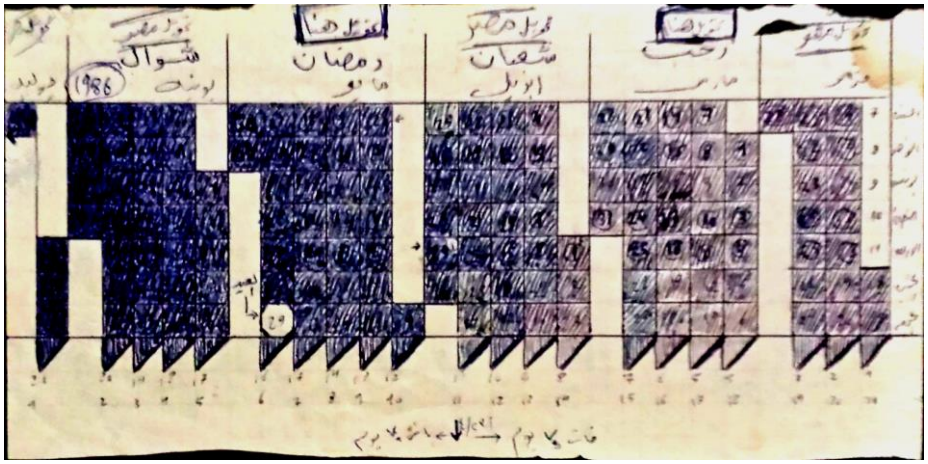

مخطط العد التنازلي للنصف الثاني من العام الدراسي 1985–1986 "في آخر يوم"

(52)

بعد مرور "أسبوع" على "أحداث الأمن المركزي" – المؤسفة– جاء "غياث" بن الدكتور "عدنان قشلان" إليه وقال له:

ـ (هَادَا الإيصَال إلَك لَئِيتُه في صُنْدُوق البَرِيد خَاصِّتْنَا).

ـ (إيصَال إيه يَاغِيَاث؟).

ـ (إيصَال مِن مَكْتَب البَرِيد مِن شَان تِسْتِلِم بِيه خِطَاب مُسَجَّل).

ـ (أَصْلِي أُولْتِلْهُم يِبْعَتُولِي على عِنْوَان السَّكَن بَدَل الجَّامْعَة.. إيه الشُّغْلَانَة دِي يَعْنِي كَان لاَزِم يِبْعَتُوه مسُوجَرْ؟).

ـ (يَعْنِي إيه مسُوجَر يَا دُكْتُور سَيّد؟).

ـ (يَعْنِي مُسَجَّل يَاغِيَاث.. ودَه حَاسْتِلْمُه من مَكْتَبِ البَرِيد الرَّئِيسِي؟).

ـ (لاَ يَا دُكْتُور.. مَكْتَب البَرِيد بْتَاع حَيّ سَبْعَة جْوِيلْيَة قرِيب من هُون مُمْكِن أَرُوح مَعَاك).. ولَمَّا فضّ "المظروف" فوجئ ب"قصاصة" صغيرة بين طَيَّات "خطاب الزوجة"،

فقرر قراءة ما بها أولًا.. كانت "الورقة" عبارة عن "خطاب" من ابنته "هالة" – التي في "الصف الثاني الابتدائي"– تُسَلِّمْ فيه عَلى أبيها – طبعًا– ثم تتبع السلام ب"خبر" مُفْرِح وهو أنهم "ركبوا التليفون"، ولكن بالأسلوب الطفولي الجميل.. أسْعَده جدًا "خبر تركيب التليفون" الذي طال انتظاره، وقال في "نفسه":

ـ (يَاسَلاَاااااامْ.. ألحَمْدُ لله أَخِيرًا بَقى عَنْدِنَا تِلِيفُون الّلِي حَيْقرَّب البِعِيد وِيْصَبَّر الوَاحِد عن البُعْد عَنْهُم).. أمَّا "خطاب الزوجة" فقد كانت تُعْلِمُه فيه بوصول "التَّحْوِيل" إلى "البنك"، وأنها قد صرفت "الدولارات" فعلاً بناءً عن "التوكيل" الذي كان قد عمله لها في أثناء عطلة "نصف السنة"...

(53)

بعد المجيئ من "عطلة منتصف العام" بما يقرب من "الشهر" – في منتصف "مارس"– جددوا "العقد" ل"العام الدراسي" المُقبل "1986– 1987"...

(54)

بعد مرور أكثر من "شهرين" على تَقَدُّمه – ب"أبحاثه"– إلى "اللجنة العلمية لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين"؛ بدأ يسأل "زوجته" عن أخبار "النتيجة" في "الخطابات" وفي "الاتصالات التليفونية"؛ فكان ردها لا يتغير عن:

ـ (بَعَتِّ الأولاَد لِلْأُسْتَاذ محمد الأَنْوَر عَشَان يِسْأَلُوه عن النَّتِيجَة؛ قال لُهُم لِسَّا).. ولَمَّا "طال الانتظار" – أكثر من اللازم– "لعب الفأر في عِبّه" فألَحَّ على "الزوجة" بشدة قائلاً:

ـ (قُولِيلِي عَلَى الّلِي حَصَل بِصَرَاحَة.. أنا تْعِبْت). وكانت دائما ماتقول له:

ـ (صدَّقْني يَا سيّد أنا بَاقولّك الّلِي بِيْقولُه الأُسْتَاذ محمد.. كُلّ مَا العِيَال يِسْأَلُوه يِقول لُهُم لِسَّا رَبّنَا يْسَهَّلْ)...

(55)

عَلِم ب"الحقيقة المُرّة" من خطاب "زوجته" الأخير، التي قالت فيه:

ـ (سَقّطُوك مِنْهُم لله.. إوْعَي تْزَعَّل نَفْسَك وانْت فِي الغُرْبَة.. وِالّلي عَمَلُوه مَعَاك دِه حَايِقْعُد لُهُم.. رَبّنَا يِنْتِقم مِنْهُم قادِر يَا كَرِيم).. وبعد قراءة "الخطاب"، ذهب إلى "مكتب البريد" واتَّصل بها "تليفونيًا"؛ وكان الحوار بينهما كالتالي:

ـ (يَعْنِي انْتِي كُنْتِي عَارْفَة وبِاتْدَارِي عَلَيَّا؟).

ـ (أَبَدًا والله زَيّ مَاقلْتِلَك.. أنِا كُنْت بَابَلَّغَك بِالّلي بِيْقولُه الأستاذ محمد).

ـ (طَيّب والأُسْتَاذ محمد قال إيه بَعْد مَابَلَّغْكُوا النَّتِيجَة المَشْؤُمَة).

ـ (قال أنا كُنْت عَارِف بِالّلي حَصَل من مُدّة بَسّي كُنْت خَايِف على الدكتور سيّد.. إوْعَى تِزْعَل يَا سيّد عَشَان خَاطْرِي.. دَا كُلّ شِيء مقدَّر ومَكْتُوب.. الّلي سَقّطُوك دُول رَبّنَا جَعَلْهُم سَبَب عَشَان يِشِيلُوا الذَّنْب).

ـ (أنِا مِشْ زَعْلاَن.. بَسّي بَرْضُه الظُّلْم ظُلُمَات.. وبَعْدِيين هُوَّا انا حَاتْجَدَّد عَلِيهُم وعلى ظُلْمُهُم؟؛ حَسْبِيَ الله ونِعْمَ الوَكِيل.. هُوَّا انا هِنَا فِي الغُرْبَة دِي بِعِيد عَنْكُوا إلاَّ بْسَبَب ظُلْمُهُم؟)...

(56)

جاء "شهر رمضان المعظم"؛ وحاولوا التأقلم مع العادات والتقاليد المختلفة عن عادات أهل "مصر" كعدم وجود "المسحراتي" مثلاً.. وأمَّا بالنسبة ل"الكنافة" و"القطايف" ف"انْسَ"، فلا يوجد عندهم إلَّا نوع واحد من "الحلوى" تسمى "زلابية".. وكان الدكتور "البُرُلُّسِي" دائمًا ما ينزل ليسهر معهما ولا يذهب إلى "شقته" إلاَّ إلى "النوم".. وبينما كانوا يأكلون حلوى "الزلابية" – في "سهرة رمضانية"– قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (مِشْ بِيْقولُوا الفَاطِمِيّيْن هُمَّا الّلي دَخَّلُوا الكُنَافَة والقطَايِفْ فِي مَصْرْ؟). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (أَيْوَا).

ـ (ومِشِ الفَاطِمِيِّين دُوول جُم واحْتَلّوا مَصْر من المَغْرِب؟).

ـ (صَح).

ـ (طَيِّب لِيه الكُنَافَة والقطَايِف مِش مَعْرُوفِين هِنَا والفَاطِمِيِّين كَانُوا جِيرَانْهُم أَوْ على الأقلّ عَدُّوا عَلِيهُم؟!).

ـ (آدِي انْتَ قُلت، عَدُّوا عَلِيهُم يَعْنِي مَالِحْقوش بِأَثَّرُوا فِيهُم.. أَمَّا فِي مَصْر فَطَوَّلُوا فِيهَا عَشَان كِدَا أَثَّرُوا فِيهَا بْرَاحِتْهُم).

ـ (أكيد العداوة اللي بينهم كانت موجودة من زمان).. وبعد فترة من "الصمت"، قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (يَاسَلاَمْ عَلَى كُنَافِة وقطَايِفِ امُّ عُمَر.. الله يِمَسِّيكِي بِالخِيرْ يَاامُّ عُمَر). وبعد فترة "صمت" أخرى قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (ويَاسَلاَم عَلَى رُزّ امّ عُمَر المِعَجّن الّلِي بْتِعْمَلْهُولِي، رَوْعَة.. الوَاحِد بِيِبْقى هَيَاكُل صَوَابْعُه وَرَاه). واغْرُورِقَت "عيناه" ب"الدموع"؛ فقال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (الله الله.. إِيه يَا دُكْتُووور انْتَ قلَبْتِهَا دْرَامَا لِيه.. مَا كُلِّنَا فِي الهَمّ شَرْق، وبَعْدِيين إِيه الّلِي ودَاك من الكُنَافَة والقطَايِف لِلرُّزّ المِعَجّن). قال "العبد لله" – مازِحًا– لإضفاء جو من المَرَح على المشهد الكئيب الطارئ:

ـ (النَّاس أمْزِجَة يَا دُكْتُور، فِيهُم الّلِي بِيْحِبّ الرُّزّ المِعَجّن وفِيهُم الّلِي بِيْحِبُّه مْفَلْفِل)...

(57)

كان برنامج "كِيفَاشْ وعَلاَشْ" – "كيف ولماذا"– من أشهر "البرامج" الترفيهية الانتقادية "التليفزيونية" المذاعة بمناسبة "الشهر الكريم".. ويتذكر أنه فى إحدى حلقات "برنامج منوعات" آخر – لا يذكر اسمه– كان "المذيع" ذو "الصوت" الأجَشّ المُنَفِّر – الذي لا يذكر "اسمه" أيضًا– يسأل أحد "المتسابقين" عن اسم "وعاء" – أو ما شابه ذلك– فأجابه قائلًا:

ـ (الصَّحْن). فقال له "المذيع" بسخرية مَمْجُوجَة:

ـ (غَلاَط؛ رَانِي اجُولَّك فِيه مُخْرِج فِي التِّلِيفِزْيُونِ المَصْرِي يْسَمُّوه إبْرَاهِيمِ الصَّحْن، هَا, هَا, هَا)...

(58)

وجاء "عيد الفطر" – المبارك– وهم يعيشون "فَرْحَتُه" منقوصة لبعدهم عن الأولاد؛ وبخاصة الدكتور "البُرُلُّسِي" ذو "العاطفة الجَيَّاشَة".. بَكَّروا بالخروج لحضور "صلاة العيد".. وبمجَرَّد خروجهم من "العمارة"؛ كانت "التَّكْبِيرَات" – التي تغلب عليها أصوات "الصِّغَار"– تُجَلْجِلَ في فضاء حي "سبعة جوِيلْيَة"؛ فقال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (احْنَا رَايْحِيين بَدْرِي وَلاَّ إيه؟، دَا العِيَال هُمَّا الّلِي بِيْكَبَّرُوا). قال "العبد لله":

ـ (أمَّا نْرُوح بَدْرِي أحْسَن عَشَان نِضْمَن حُضُور صَلاَة العِيد الّلِي قبْل الخُطْبَة).. وأخذوا أماكنهم في "الصفوف الأولى".. وقبل أن يجلسوا، صَلَّى كل مِنهم ركعتي "سُنّة تحية المسجد".. وبعد الانتهاء من ركعتي "تحية المسجد"، أخذوا يرددون "التكبيرات" مع "المصلين" والتي كانت لا تزيد عن هاتان الجملتان:

ـ (الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله.. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد).. همس الدكتور "البُرُلُّسِي" في "أذن" "العبد لله" قائلاً:

ـ (هُمَّا لِيه بِيكَبَّرُوش زَيِّنَا وِيْقولُوا بَعْدِ الجُمْلِتِينِ الّلِي بِيْقولُوهُم، الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا.. صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.. ولا نعبد إلَّا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.. اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرًا).

ـ (الجُمْلِتِينِ الّلِي بِيْقولُوهُم دُوول حَسَب المَذْهَب المَالْكِي السَّائِد في شَمَال إِفْرِيقْيَا؛ أمَّا التَّكْبِيرَات بِتَاعِتْنَا فَهِيَ حَسَبِ المَذْهَب الشَّافْعِي السَّائِد عَنْدِنَا في مَصْر).

ـ (دُوول حَتَّى بِيْدَلْدِلُوا إِيدِيهُم في الصَّلاَ ومَابِيْحُطُّوهَاش على صدُورْهُم زَيِّنَا).

ـ (يَاعَمّ مَانَا قلْتِلَك؛ حَسَب مَذْهَبْهُم المَالْكِي).. وبعد الانتهاء من "صلاة العيد" وسماع "الخطبة"، عادوا إلى "العمارة" وكانت مناظر "المصلين" الخارجين من "المسجد" ب"جلابيبهم" البيضاء – وهذه عادة مستحبة– "تَسُرّ القلب"...

(59)

عندما أبْدَى رغبته للدكتور "عبدالرحمن" في الخروج ليتمشَّيا في "وسط المدينة"، قال له:

ـ (ومَالُه.. نِصَلّي العَصْر وْنِنْزِل، طَيِّب اطْلَع أُوول لِلْبُرُلُّسِي ان كَان يِحِبّ يِنْزِل مَعَانَا).. ولما عرض على الدكتور "البُرُلُّسِي" فكرة النزول معهما إلى "وسط المدينة"، قال له:

ـ (رُوحُوا انْتُوا.. أنَا حَانَام).. ولما نزلا للذهاب إلى "وسط المدينة"، لم ينسى "الكاميرا" طبعًا.. وعندما مرَّا بجوار "المبنى الأثري"، قال للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (ادِّينِي صُورَة هِنَا لَوْ سَمَحْت يَا دُكْتُور).

ـ (مَانْتَ مِتْصَوَّر هِنَا.. انْت نِسِيت وَلاَّ إِيه؟).

ـ (مَعَلِهْشِي الله يْخَلِّيك، رَيَّحْنِي).. وبعدما التقط له "صورة" – كما أراد– مرت عليهما امرأة "شعبية" ومعها "خمسة بنات" صغيرات "أثَرْنَ شُجُونِه" وتذكر "أبنائه" وهم في "العيد" وهو ليس معهم، فقال لها:

ـ (لَوْ سَمَحْتِي يَاحَاجَّة نِتْصَوَّر مَع العَصَافِير). انْتَحَت المرأة جانبًا وقالت للأطفال:

ـ (جَدْمُوا اتْصَوَّرُوا وِيَّا عَمُّو).. وفي "ثاني يوم العيد" خرجوا إلى "حديقة عامة" يسمونها "حديقة الأمير عبدالقادر"...

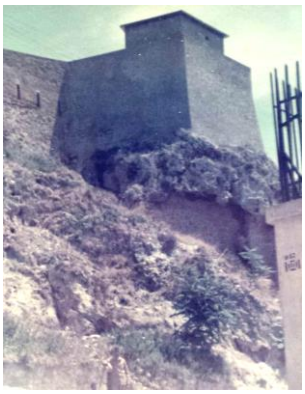

أسفل البرج الأثري في يوم العيد

مع الطفلات أسفل البرج الأثري

أمام قلعة مستغانم الأثرية ثاني أيام العيد

(60)

وزيادة في التأكيد أعادوا تجديد العقد – "المجدد"– ل"العام الدراسي" المقبل "1986– 1987"؛ قبل قيامهم ب"العطلة الصيفية" في أوائل شهر "يونيو 1986"...

(61)

كانت بداية "العدّ التنازلي" ل"العطلة الصيفية" عندما حصلوا – من إدارة "المدرسة العليا للأساتذة"– على "تصريح العطلة".. وبعد ذلك حَجَزوا "تذاكر الطائرة".. ولما جاء موعد "السَّفَر"؛ استأجروا – هو والدكتور "عبدالرحمن" والدكتور "البُرُلُّسِي" والدكتور "نبوي" سيارة أجرة "خمسة راكب" ماركة "بيجو" لتحملهم مع أمتعتهم إلى "الجزائر العاصمة".. وجاء "السائق" – الذي كان من حي "سبعة جويلية"– في الموعد المحدد ليركبوا "سيارته" قبل الذهاب إلى سكن الدكتور "نبوي" – في حي "لَـلاَّ فَاطِيمَة"– ومن هناك ينطلقوا إلى "الجزائر" بسلامة الله.. كان الموقف مؤثرًا جدًا وهم يوَدِّعون الدكتور "عدنان شحادة" والدكتور "عدنان قشلان" و"أولاده" حتى أن "ديما" – التي في سن ابنة "العبد لله" "نهلة"– قالت بكلمات مرتعشة:

ـ (حَاتِوْحَشُونَا يَا دُكْتُورْ سيّد). فقال لها بِتَأَثُّر:

ـ (نِشُوف وِشّك على خِير يا ديما حَاسَلَّمْلِك على هَالَة ونَهْلَة.. وحَاجِيب لِيكِي صُوَرْهُم لَمَّا نِرْجَع بَعْد الأَجَازَة انْ شَاءَ الله)...

(62)

كان أوَّل شيء عليهم عمله بمجرد وصولهم إلى "المطار"؛ هو أن يطمئنوا – كالعادة– على "تأكيد الحجز" رغم أنهم سبق وأكَّدوه في مكتب "شركة الطيران الجزائرية" في "مستغانم".. وتأكد حجزهم جميعًا إلاَّ الدكتور "البُرُلُّسِي" الذي عاد إليهم و"الجَزَع" بادِيًا على "وجهه"، فقال له الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (مَالَك فِيه إِيه، وِشَّك مِتْغَيَّر لِيه؟).

ـ (الرَّاجِلْ بِيْقولِّلي اسْمَك مِش مُدْرَج على قَائِمَة الرُّكَّاب.. أنَا كَان قلْبِي حَاسِس، مِش احْنَا مْأَكِّدِين الحَجْز في مُسْتَغَانِم.. الله يِخْرِب بِيُوتْهُم). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (تَعَالَ امَّا نْقول لُه الكَلاَم دِه، يِمْكِن يِكُون اتْسَرَّع وِمَدَقّقشِي في الكَشْف وهُوَّا بِيْدَوَّر على اسْمَك).. ذهَبوا إلى "الشباك" وتركوا الدكتور "نبوي" عند أمتعتهم، وهناك قال الدكتور "عبدالرحمن" ل"الموظف":

ـ (الدُّكْتُور محمد علي البُرُلُّسِي حَاجِز مَعَانَا.. وأَكِّد مَعَانَا الحَجْز في مَكْتَب الشَّرِكَة فِي مُسْتَغَانِم؛ لِمَاذَا يَسْقُط اسْمُه هُوَّا بِالذَّات؟).. بلهجة "مصرية" ركيكة رَدَّ "الموظف" على الدكتور "عبدالرحمن" قائلاً:

ـ (وَانَا رَايِح اعْمِلَّك إِيه يَا أَسْتَاااااذ.. خُدُوا الكَشْف بُصُّوا فِيه بِنَفْسِيكُوا يَا جِدْعَان). قال الدكتور "البُرُلُّسِي" بصوت مُرْتَعِش:

ـ (رَاجِع مَرَّة أُخْرَى الله يِرْضَى عَلِيك).. قال "الموظف" مُتَبَرِّمًا:

ـ (يَا شِيخ رَانِي رَاجِعْتُه أَكْتَرْ مِن مَرَّة مِن غِير مَاتْجُولِّلي).. قال "العبد لله" بعدما لاحَظ علامات الانهيار على "وجه" الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (وإِيه الحَلّ؟؛ الطَّيَّارْة حَاتِتْحَرَّك بَعْد سَاعَة).. صَوَّب الموظف "نظراته" إلى "العبد لله" قائلا:

ـ (رَانِي جُلْت الِّلي عَنْدِي.. رُوحُوا لِلشِّيف).. ولَمَّا ذهبوا إلى "الشِّيفْ لم يجدوه في مكتبه.. وبعدما عَثَروا عليه – بعد "بحث مكثف"– عرضوا عليه "المشكلة" فَرَدَّ عليهم – بدون اهتمام– قائِلاً:

ـ (مَانِيش شَايِف الجِيَامَة جَامَت وِلاَّ حَاجَة.. انْتَظِر لِلرِّحْلَة الجَايَة يَا شِيخ).. قال الدكتور "نبوي" – بِلَهْفَة– لَمَّا رجَعوا إليه:

ـ (خِير). قال الدكتور "البُرُلُّسِي" بانْكِسَار:

ـ (خَلاَص مَافِيش فَايْدَة.. رُوحُوا انْتُوا مَعَ السَّلاَمَة.. حَاسْتَنَّا الرِّحْلَة الِّلي بَعْدها). قال الدكتور "نبوي":

ـ (قلْبِي مْعَاك يَا دُكْتُور محمد). قال الدكتور "البُرُلُّسِي":

ـ (الله يِخَلّيكْ يَا دُكْتُورْ نَبَوِي.. الوَاحِدْ انْ كَانْ بِيْقولْ إِنُّه مِشْ رَاجِعْ تَانِي بَعْد الّلِي حَصَل دِه أَنَا طَلَّقت الجَزَايِر بِالتَّلاَتَة.. رِبّنَا يِسْتُر وِتْكُون الرِّحْلَة الجَيَّة قُرَيّبة بِدَال الوَاحِد مَايُقف يِشْحَت على بَاب المَطَار).. اسْتَأْذنوا من الدكتور "البُرُلُّسِي" وذهبوا ليزنوا "الحقائب".. وبعد الفراغ من وزن "الحقائب"، عاد "العبد لله" إلى الدكتور "البُرُلُّسِي" وأعطاه كل ما معه من "النقود الجزائرية".. وبعدما سَلَّم عليه مُوَدِّعًا، قال وقد "اغْرُورِقَت عيناه":

ـ (أَلْف شُكْر يَا دُكْتُور سيّد أَنَا مِش حَانْسَالَك الجِمِيل دَه طُول عُمْرِي). قال "العبد لله" وهو في شدة التَّأَثُّر:

ـ (مَاتْقُلْشِي كِدَا يَادُكْتُور.. هِيَّا كَانِت عِشْرِة يُوم؟، وبَعْدِيين هُوَّا انَا حَاعْمِل إِيه بِالفُلُوسِ الجَزَائِرِيّة.. رَبّنَا يِسْتُرْهَا مْعَاك وتِوْصَل بِالسَّلاَمَة ان شَاء الله)...

(63)

بعد العَوْدَة من "الجزائر"، قرر – بعدما "شَمّ نَفَسُه"– الذهاب إلى "الهيئة" لمقابلة الدكتور "أبوالحسن" والحديث معه – "وجْهًا لِوَجْه"– لمعرفة ما جرى.. وبعدما سَلَّم عليه؛ قال على الفور:

ـ (مَعَلِهْشِي يَا سيّد.. هَارْد لاَك). أَخَذ نَفَسًا عميقًا – كي يساعده على امتصاص بعضًا من "شُحْنَة الغضب" التي تملأ "صدره"– وقال بدون انفعال:

ـ (مِشَ انَا عَارِض على حَضْرِتَك الأَبْحَاث وحَضْرِتَك أَثْنِيت عَلِيهَا وقلْتِلِي قدِّم أَبْحَاثَك تَرْقَى).

ـ (أَيْوَا أَنَا قلْتِلَك كِدَا صَحّ بَسِّي المُقَرّر مِش هُوَّا كُلّ حَاجَة).

ـ (لاَ مَعَلِهْشِي، اسْمَحْلِي يَا دُكْتُور دَا المُقَرّر هُوَّا كُلّ حَاجَة).

ـ (يا سيّد.. قَدَّر الله ومَا شَاء فَعَل.. مَاتْكَبَّرْهَاش أَوِي كِدَا؛ المَوْضُوع أَبْسَط مِمَّا تَتَصَوَّر.. قدِّم بَحْث بَعْد مُرُور سَنَة يَعْنِي زَيّ اليُومِين دُوول.. وما أَسْرَع الأَيَّام)...

(64)

بينما كان خارجًا من عند الدكتور "أبو الحسن"، تقابل مع الدكتور "عبدالحميد مهنَّا" الذي قال له بعد "السَّلاَمَات":

ـ (إيه يَا بْنِي هُوَّا أحمد عبدالعَلِيم شَايِل مِنَّك كِدَا لِيه؟).

ـ (لِيه فِيه إيه؟).

ـ (دَا كَان بِيْقول عَلِيك في اللَّجْنَة هُوَّا ب...أهْلُه عَايِز يِسَافِر وِيتْرَقَّى كمان). قال وقد "اسْتَشَاط غَضَبًا":

ـ (أوَّلاً إن كَان قال عَليَّا كِدَا، فَعَلِيه مِن الله مَا يَسْتَحِق.. وبَعْدِين مَاكَنْشِي يَجِب تبلغني الكَلاَم ده، المثل بيقول؛ مَا شَتَمَك إلاَّ اللَّي بَلَّغَك). وتركه وسار في الاتجاه المعاكس...

(65)

بعد عودته من "الهيئة"، أعطوه "خطابًا" من الدكتور "البُرُلُّسِي" قال فيه بعد "السَّلاَمَات":

ـ (أَلْف شُكْر يَا دُكْتُور سيّد، لُولاَ الفِلُوسِ اللِّي ادِّيتْهَالِي أنَا كُنْت مَدِّيت إِيدِي لِلنَّاس بِجَدّ.. دُوول قعَّدُونِي في المَطَار تَلاَتِّيَّام بَقيت انَام على البَلاَط وشَنْطِتِي تَحْت رَاسِي؛ لَمَّا اتْوَسَّخْت وبَقيت في حَالَة يُرْثَى لَهَا.. بَقيت بِدُون مُبَالْغَة زَيّ شَحَّاتِينِ السَّيِّدَة).

السنة الثانية في التغريبة الجزائرية

(1)

أخذ – "العبد لله"– "شقة" الدكتور "محمد البُرُلُّسِي" الذي كان قد اكتفى – "على مضض"– ب"السنة" التي قضاها معهما في "مستغانم".. ورغم أن الانتقال إلى "شقة" الدكتور "البُرُلُّسِي" كان أمرًا جيدًا من ناحية "الاستقلالية"؛ إلاَّ أن غيابه كان مؤثرا فقد كانوا ثلاثيًا متآلفا، ولكن "ما باليد حيلة"...

(2)

انضَمّ إلى "هيئة التدريس" أساتذة "مصريون" و"سوريون" جدد. وكان الأساتذة "المصريون" هم: الدكتور "محمود الأجرب" أستاذ "الفيزياء" من "كلية العلوم – جامعة الفيوم"، والدكتور "عصام عبدالغفَّار" والدكتور "رمضان عبدالحميد" وكلاهما من "قسم الفيزياء النووية – هيئة الطاقة الذرية"، والدكتور "أحمد مصطفى" مدرس "الفيزياء" من "كلية العلوم – جامعة جنوب الوادي" ب"قنا"، والدكتور "سعد الجارحي" أستاذ "الكيمياء" من "المركز القومي للبحوث"، والدكتور "عبدالعزيز فوده" أستاذ "الكيمياء" من "كلية العلوم – جامعة المنصورة"، والدكتور "محمد عبدالسلام" أستاذ "الكيمياء" من "كلية الهندسة – جامعة عين شمس".. أما "الدكاترة السوريون" فهم: الدكتور "كمال سعدون"، والدكتور "أحمد أبو بكر"، والدكتور "هيثم صلاح الدين"، والدكتور "جورج فارس"، والدكتور "محمد كمال" وكانوا كلهم من "جامعة دمشق"، وكانوا أساتذة في "الكيمياء" ما عدا الدكتور "فارس" الذي كان أستاذًا في "الجيولوجيا".. أشفق – "العبد لله"– على "الزملاء" الجدد من المعاناة – التي عانوها– في استخراج "الأوراق" و"الشهادات"؛ ولذا فكانوا يمدُّونهم ب"الخبرة" التي اكتسبوها في التّعامل مع "المدرسة العليا للأساتذة" ومع "الجهات الأمنية" ومع "الجهات الصحية".. أما القدامى فكان الأمر بسيطًا؛ كان مجرد إصدار "المدرسة العليا للأساتذة" لهم "شهادة استئناف العمل"...

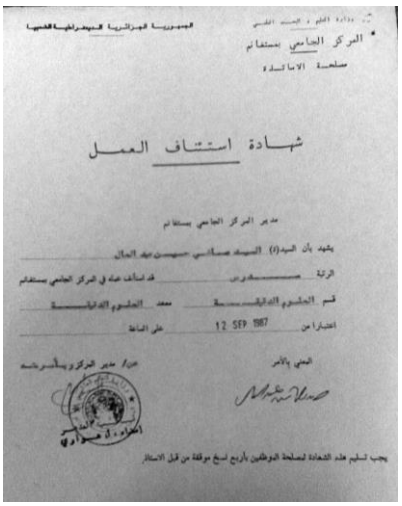

شهادة استئناف العمل

شهادة استئناف العمل

"العبد لله" والدكتور "أحمد مصطفى" مع دكتور مصري

(3)

بما أنهم قد استقدموا الأساتذة – المتعاونين– إلى "الجزائر" أساسًا ل"تعريب التعليم"؛ كان "العبد لله" يبحث – أو "يحَوّسْ" كما يقولون– في إحدى "المكتبات" عن كتب ب"العربية" في "الكيمياء" ك"الكيمياء العامة" – أو "شيمي جنرال" حسب الاسم "الفرنسي" المتداول عندهم– و"الديناميكا الحرارية"، الخ.. ولَمَّا لم يعثر على غايته قال له أحد "العاملين":

ـ (كَاين مَكْتَبَة بَعْدْنَا هَاكَا نِيشَان، وَاجْفَة فِيهَا بِنْت زَرْجَة، شْوِيَّة بْعِيدَة وَلَكِين فِيهَا اللِّي بِتْحَوّس عْلِيه).

ـ (إيشْ تُجْصُد بِالبِنْتِ الزَّرْجَة؟).

ـ (يَعْنِي البِنْت السُّودَا كِي مَابِتْجُولُوا فِي مَصِر يَا شِيخ).. وكان قد اشترى – في "العطلة الصيفية"– "مَرْجِعًا" في "الكيمياء الفيزيائية" – ب"العربية"– من "مكتبة الأنجلو المصرية".. وعندما كان يستعرض "الكتب" المعروضة في "مكتبة" أخرى؛ قال صاحبها عندما علم أن "العبد لله" "مصري":

ـ (رَانَا نْحِب مَصِر وِالمَصْرِيِّين بِالزَّاف يَا شِيخ).

ـ (الجُلُوب عَنْد بَعْضَها).

ـ (لَوْ عِنْدَك مَجَلاَّت مَصْرِيَّة وبِالذَّات المُصَوَّر وآخِر سَاعَة أَكُون شَاكِر لَوْ جِبْتَهَا لِي).

ـ (حَاضِر، أَجِيب لَك مَجْمُوعَة من المَجَلاَّت على جَدْ مَاجْدَر في عُطْلَة نِصْف العَام الدِّرَاسِي إن شاء الله).. ولَمَّا تَشَعَّبَ "الحديث" مع صاحب "المكتبة" في "مواضيع" مختلفة، قال له "العبد لله":

ـ (في أَثْنَاء مُرُورْنَا على مَدِينَة الشْلِف شُوفْنَا بِنَايَة مُتَهَدِّمَة من أَثَر زِلْزَال أكْتُوبَر سَنَة تَمَانِين.. أَعْتَقِد أَنَّهُم تَرَكُوهَا لِتَكُون شَاهِدًا على هَادِي المَأْسَاة المُرَوِّعَة.. لِمَاذَا غَيَّرُوا اسْم الوِلاَيَة من الأَصْنَام إلى الشْلِف بَعْد الزِّلْزَال يَا الْحَاج؟).

ـ (الأَصْنَام مَاتِعْنِيش جَمْع صَنَم؛ ولَكِين حُرِّفَت على مَرِّ الزَّمَن بَعْدْمَا كَانَت فِي الأَصِل الأَسْنَام جَمْع سَنَام وهُوَ سَنَام الجَمَل كَمَا تَعْلَم، ولِذَلِك دَرْءًا لِلشُّبُهَات غَيَّرُوا الأَصْنَام إلى الشْلِف ونَنْطِقُهَا شْلِفْ بِدُون الأَلِف واللاَّم).

ـ (ولَكِنِّي قَرأْت مَرَّة أَنَّ العَرَب عِنْدَمَا رَأُوا البِنَايَات الرُّومَانِيَّة والأَعْمِدة الكَبِيرَة في المَدِينَة قَالُوا أَنَّهَا بِلاَد الأَصْنَام).

ـ (إن كَان هَادَا وَلاَّ هَادَا؛ فِإنّ المُسْتَعْمِر الفِرَنْسِي سَمَّاهَا أُورْلِيَان فِيل وتَعْنِي مَدِينَة الدُّوق أَورْلِيَان وهُو مَلِك فِرَنْسِي قَدِيم، والذِي سَمَّاهَا بِهَذا الاسْم المَارِيشَال بِيجُو).

ـ (وطَبَعًا بَعْد الاسْتِقْلاَل عَاد الاسْم العَرَبِي الأَصْنَام).

ـ (إِينَعَم).

ـ (ومَاذَا يَعْنِي اسْم الشِّلِف؟).

ـ (شْلِفْ سُمِّيَت بْهَادَاك الاسْم نِسْبَة لِنَهْر شْلِفْ المَار بِتَرَابْهَا، والكَلِمَة مُشْتَقَّة من كَلِمَة شْلِيفَان أَوْ شِيلِيمَات من الفِينِيقِيَّة ومَعْنَاهَا إِلَه فِينِيقِي مُخْتَص بِالخُصُوبَة والخَيْرَات).

ـ (طَيِّب ومَاذَا عن أَصْل اسْم مُسْتْغَانِم؟).

ـ (حَيْث أنّ مَدِينَـة مُسْتْغَانِم تَقَـع علـى مُرْتَفَـع جبلِـي يَنْحَـدِر جَنُوبًـا بِشِـدَّة إلَـى وَادِي مُنْخَفِض فَتَعْمَل المَدِينَـة المُرْتَفِعَة كمصَدّ للرّيَـاح الشَّمَالِيَّة البَارِدَة؛ ولِـذَلِك كَـان الرُّعَاة يَلْجَئُـون بَأَغْنَـامِهِم إلـى هذِه المَنْطِقَـة أسْفَل المَدِينَـة فِـي الشِّتَاء فَسُمِّيَت مَشْتَى الغَنَم لِهَذَا السَّبَب.. ولَمَّا جَاءَ المُسْتَعْمِر الفِرَنْسِـي حَرَّف الاسْم إلـى مُسْتَاجَانِم وفِـي النِّهَايَـة صَارَت مُسْتْغَانِم).

ـ (الله ينَوَّر عَلِيك.. ومَاذَا عَن أصْل اسْم وَهْرَان؟).

ـ (هَادِي كَلِمَة أمَازِيغِيَّـة مُكَوَّنَـة مِن كَلِمَتَيْن؛ وَاه و رَان؛ وَاه تَعْنِـي بِالأَمَازِيغِيَّـة نَعَم و رَان التي هي في الأصْل أرَان؛ وتَعْنِي الأسُود فقَال أحَدُهُم: اقِل أرَان؛ يَعْنِـي انْظُر أُسُـود فَرَدّ صَدِيقُه: وَاه رَانْ؛ يَعْنِـي نَعَم أُسُود والتي أصْبَحَت وَهْرَان.. وْكَايِن نَاس يْجُولُوا كَلِمَة وَهْرَان تَعْنِي الأَسَدَان بِالأَمَازِيغِيَّة، ومَازَال الأَسَدَان شِعَار المَدِينَـة حَتَّـى اليَوْم.. وهُنَـاك تِمْثَالاَن للأَسَدَيْن أَمَام البَلَدِيَّة).

ـ (ولَكِن صَدِيق جَزَائِرِي قَالَ لِـي: أنَّـه فـي أيَّام الفَتْح الإسْلاَمِي بَيْنَمَـا كَـانَ الجَيْش مُتَّجِهًا إلى مَكَان وَهْرَان الحَالِي قَال القَائِد لِمُسَاعِدِه الذي كَان من الأمَازِيغ: لَقَد اقْتَرَبْنَا من هَدَفنا ألاَ تَرَى تِلْكَ التِّلاَل هُنَاك؛ فَقَال لَه: وَاهْ رَانِي؛ أَي نَعَم أرَاهَا والتي صَارَت مع الزَّمَن وَهْرَان).. وعندما كان – "العبد لله"– خارجًا، رأى على "الطاولـة" الكبيرة – التـي تتوسط "المكتبـة" والمعروض فوقهـا العديـد مـن "الكتـب"– مجموعـة مـن "الكتـب" ذات "القطـع المتوسـط" – "كتيبـات"– تحمـل اسـم الشـيخ "محمـد متـولي الشـعراوي"، فقـال ل"صاحب المكتبة":

ـ (هُوَّا الشِّيخ الشَّعْرَاوِي وَصَل عَنْدُكُم؟). ابتسم وقال:

ـ (مَصْر أُمّ الدُّنْيَا فـي كُلْ شِـيءْ يَا شِـيخْ؛ الشَّيْخِ الشَّعْرَاوِي كان مَبْعُوث من الأَزْهَر فـي ولاية باتنة فِي السِّتِّينَات؛ ولذلك فإحدى دور النشر فـي باتنـة قد نشرت لـه مجموعـة كتبه).

ـ (طيب.. سأشتري هذا الكتاب).

ـ (تفضل).. وكان الكتاب بعنوان:

ـ (100 سؤال وجواب في الفقه الإسلامي)...

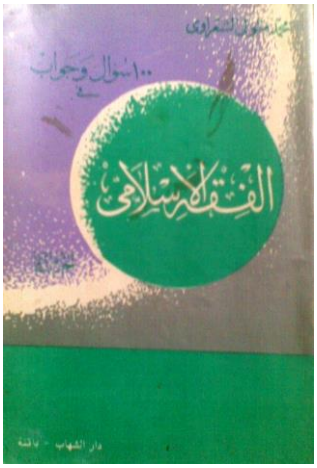

الغلاف الخارجي

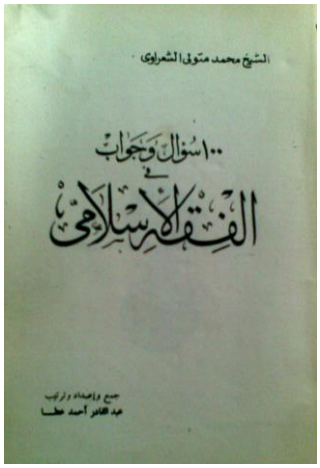

الغلاف الداخلي

(4)

اشترى العديد من الكتب الدينية والعلمية والطبية.. الخ:

ـ إعجاز الطب النبوي. تأليف: السيد الجميلي.. الموسوعة الإسلامية الكبرى. دار الشهاب، باتنة؛ الجزائر. جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الشهاب للطباعة والنشر؛ عمَّار قرفي؛ باتنة؛ الجزائر؛ (لا توجد سنة الطبع).

ـ التداوي بعسل النحل. شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس. عبد المنعم قنديل. دار الشهاب، باتنة؛ الجزائر بالتعاون مع مكتبة التراث الإسلامي– القاهرة. جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الشهاب للطباعة والنشر؛ عمَّار قرفي؛ باتنة؛ الجزائر؛ (لا توجد سنة الطبع).

ـ التداوي بالقرآن. عبد المنعم قنديل. دار الشهاب، باتنة، الجزائر؛ بالتعاون مع مكتبة التراث الإسلامي– القاهرة. جميع حقوق الطبع والنشر محفظة لدار الشهاب للطباعة والنشر عمار قرفي باتنة الجزائر. 1987.

وثلاثة كتب في الطهي (الجزائري) و(التونسي):

_ الطبخ الجزائري. السيدة بوكساني. ترجمه من الفرنسية أبو برهان.. تأليف جيفال- 15. نهج خميستي- الجزائر. طبع بمطبعة الشركة الوطنية للنشر والإشهار- الروبية- إيداع قانوني رقم 3 الثلاثي الأول لسنة 1987.

_ لمائدة رمضان. Recctes du Ramadhan. الحاجة عائشة بن لَحْسَن..

_ 500 وصفة من الطبخ التونسي "أمك صنّافة". محمد الكوكي. تم طبع هذا الكتاب بمطبعة شركة فنون الرسم والنشر والصحافة تونس- إفريل 1984. جميع الحقوق محفوظة للمؤلف محمد الكوكي.. سعر النسخة: 3.500 دينار تونسي؛ 24 دينار جزائري؛ 3.500 دينار مصري (!!)؛ 1.449 دينار كويتي؛ 1.464 دينار ليبي؛ 40.607درهم مغربي؛ 17.424 ريال سعودي. سحب من هذا الكتاب 10.000 نسخة في طبعته الأولى.

وهذه هي الكتب "العلمية" الذي اشتراها:

1- الكيمياء الكهربائية أسسها وتطبيقاتها. دكتور محمد محمد الصاوي؛ جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجية. الجزء الأول. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. أنجز طبعه على مطابع ديوان المطبوعات الجامعية؛ 29: نهج أبو نواس- حيدرة- الجزائر العاصمة. 1981.

2- الكيمياء العامة. الجزء الأول. معمر حمدي؛ أستاذ بمعهد الكيمياء. يحيى راشدي؛ أستاذ مساعد بمعهد الكيمياء. سلسلة دروس العلوم الكيميائية. جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا بالجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. أنجز طبعه علي مطابع ديوان المطبوعات الجامعية؛ الساحة المركزية- بن عكنون- الجزائر. 1987.

3- مقدمة في الديناميكا الحرارية الكيميائية. تأليف: زهير صقال. ترجمة: د. أحمد حلمي عبد الغني. جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا- معهد الكيمياء. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. أنجز طبعه علي مطابع ديوان المطبوعات الجامعية؛ 29: نهج أبو نواس- حيدرة- الجزائر العاصمة. 1981.

4- الديناميكا الحرارية "الترموديناميك". الجزء الأول. معمر حمدي؛ أستاذ بمعهد الكيمياء. يحيى راشدي؛ أستاذ مساعد بمعهد الكيمياء. سلسلة دروس العلوم الكيميائية. جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا بالجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. أنجز طبعه على مطابع ديوان المطبوعات الجامعية؛ الساحة المركزية- بن عكنون- الجزائر. 1987.

5- الديناميكا الحرارية. الجزء الثاني- الأعمال التوجيهية. حمدي محمد مصطفى أبو العلا. سلسلة دروس العلوم الفيزيائية. جامعة الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. أنجز طبعه على مطابع ديوان المطبوعات الجامعية؛ الساحة المركزية - بن عكنون- الجزائر. 1986.

6- الديناميكا الحرارية. الجزء الثالث- الأعمال التطبيقية. حمدي محمد مصطفى أبو العلا. سلسلة دروس العلوم الفيزيائية. جامعة الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. أنجز طبعه علي مطابع ديوان المطبوعات الجامعية؛ الساحة المركزية - بن عكنون- الجزائر.1985.

7- الكيمياء التحليلية. معمر حمدي؛ أستاذ بعهد الكيمياء. عبد الرازق حمدي؛ أستاذ مساعد بمعهد الكيمياء. سلسلة دروس العلوم الكيميائية. جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا بالجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. أنجز طبعه على مطابع ديوان المطبوعات الجامعية؛ الساحة المركزية - بن عكنون- الجزائر. 1987.

8- الحسابات الفيزيائية الكيميائية- 1. دكتور محمد محمد الصاوي؛ جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا بالجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. طبع علي مطابع مؤسسة الكرمة- عمان. 1983.

9- الحسابات الفيزيائية الكيميائية- 2. دكتور محمد محمد الصاوي؛ جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا بالجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر. طبع علي مطابع مؤسسة الكرمة- عمان. 1983.

10- الإشعاع المؤين وظاهرة النشاط الإشعاعي. الدكتور فخري إسماعيل حسن؛ جامعة قسنطينة. ديوان المطبوعات الجامعية- الساحة المركزية- بن عكنون- الجزائر. أنجز طبعه علي مطابع ديوان المطبوعات الجامعية؛ الساحة المركزية - بن عكنون- الجزائر. 1985.

11- مقدمة في الإحصاء. تأليف: محمد صبحي أبو صالح؛ عدنان محمد عوض؛ جامعة اليرموك- إربد- الأردن. الناشر: دار جون وايلي وأبنائه؛ نيويورك- شيشستر- بريسبن- تورنتو- سنغافورة- طوكيو. 1983.

12- الكمبيوتر والتحليل الإحصائي. الدكتور عبد العزيز فهمي هيكل؛ أستاذ في جامعة بيروت العربية. الطبعة الأولى. دار الراتب الجامعية- بيروت- لبنان. 1985.

13- مبادئ في الإحصاء التطبيقي. الدكتور عبد العزيز فهمي هيكل؛ أستاذ في جامعة بيروت العربية. 1986.

14- حلول في الإحصاء التطبيقي. الدكتور عبد العزيز فهمي هيكل؛ أستاذ في جامعة بيروت العربية. 1986.

15- البحث العلمي الحديث. الدكتور أحمد جمال ظاهر. طبعة ثانية مزيدة ومنقحة. الناشر: دار الفكر للنشر والتوزيع- عمان. 1984.

16- دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية. دكتور عمار بوحوش؛ أستاذ بمعهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية- جامعة الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1985. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- وحدة الطبع المتعددة- ورشة أحمد زبانة- الجزائر- 1984...

(5)

قرأ في "جريدة الشعب" – وهي من "الصحف" القلائل التي تصدر ب"العربية"– خبر قتل "مصطفى بو يَعْلِي" المعارض "الإسلامي" – الذي كان "ضابطًا" سابقا في "الجيش"– والذي حاول مهاجمة "كلية الشرطة" في مدينة "صومعة" بولاية "البليدة" في العام الماضي "1986".. وجاء في الخبر:

ـ (وأخيرًا قُتل مصطفى بو يعلي هو وستة من أتباعه برصاص الشرطة في معركة مع قوات الأمن بالقرب من العاصمة).. ولمَّا التقى بالأستاذ "الجزائري" الصديق، قال له:

ـ (ما رأيك في ما يجري من أحداث؟).

ـ (الأحداث هَادِي لم تبدأ من فراغ؛ فقد اندلعت أحداث خطيرة في جامعة قسنطينة في الحادي عشر من نوفمبر من العام ستة وثمانين وتطورت إلى عمليات تخريب طالت وسط المدينة لكل المرافق العمومية، وأُشْعِلَت النيران في السيارات، وشُلَّتِ المدينة بالكامل بعد أن كان إضراب عادي للطلبة في ثمانية نوفمبر).

ـ (وماذا بعد؟).

ـ (بعد شهر بالضبط من أحداث قسنطينة، اندلعت أحداث أخري في المدينة المجاورة سطيف).

ـ (وماذا بعد؟!).

ـ (أدَّت هذه الأحداث إلى نشاط مُعْلَن من الحقوقي الأستاذ علي يحي عبد النُّور الذي رفع صوته من أجل الإفراج عن كل المعتقلين ولذلك فقد تم توقيفه في سبعتا عشر ديسمبر سنة ستة وثمانين).

ـ (وماذا بعد!).

ـ (هَادِي الأحداث أفْرَزَت عن اندلاع غيرها؛ وبعضها أخذ تَوَجُّهَات إسلامية من ضمنها القيادي الإسلامي الشهير مصطفى بو يعلي الذي تم القضاء عليه كما قرأت وسمعت في الأخبار)...

(6)

وكي يستفيد بمكتبة "المدرسة العليا للأساتذة"؛ استخرج "بطاقة" – "كارنيه"– الاستعارة.. وفي نفس "اليوم" جاءه "خطاب" من "الأولاد" وكانت بين طيَّاته صورة "محمد" و"أحمد" في "حديقة الحيوان" والتي فرح بها جدًا...

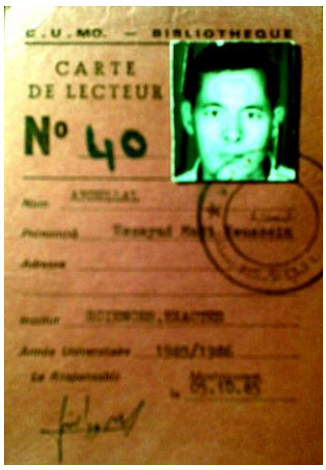

بطاقة الاستعارة من المكتبة

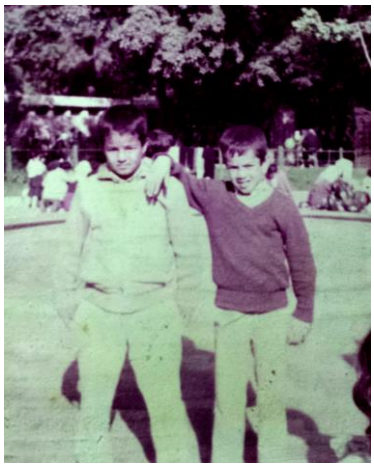

محمد وأحمد في حديقة الحيوان

(7)

كان الدكتور "محمود الأجرب" صاحب مرض؛ ولذا فكان يتقَرَّب من الأساتذة المصريين كي يكونوا بجانبه عند حدوث أيّ "أزمة صحية" وخصوصًا بعدما تعَرَفَّ على الدكتور "عبدالرحمن" فهو "بَلَدِيَّاتِه".. وحدث أن قابل – "العبد لله"– الدكتور "محمود الأجرب" في "وسط المدينة" ف"عَزَمه" على "فنجان قهوة" في"قهوة" قريبة من مكان تلاقيهما.. ولما جاء على بال "العبد لله" – وهما "يتجاذبان أطراف الحديث"– "الأجرب" صاحب محلات "المانيفاتورة" في "بلبيس" والذي كان – ولا يزال– يتعامل معه أهالي "القرية"؛ أراد أن يذكره له عسى أن يكون من أصل "فَيُّومِي"، أو بالعكس يكون هو من أصل "بِلْبِيسِي"؛ ولكن خوفًا من تَحَرُّجِه من الاسم؛ ابتلع السؤال وغَيَّر "موضوع الحديث". ولَمَّا جاء ذكر الدكتور "عبدالرحمن" قال الدكتور "محمود":

ـ (الدُّكْتُور عبدالرحمن من أصل طَيِّب.. أَبُوه الله يرحمه كَان عَالِم أَزْهَرِي.. وهُمَّا نَاس من الأَشْرَاف أَصْلًا).. فقال "العبد لله" في "نفسه":

ـ (دَا كَان وَاضِح من تَصَرُّفَاتُه مِن أوّل مَاشُفْتُه في الوزَارَة في الجَزَايِر.. على كِدَا هُوَّا من الأَشْرَاف وَانَا مِن الأَشْرَاف؛ تِبْقَى بَصْرَة).. ولمَّا مَرَّ من أمام "القهوة" أربعة "رجال" كبار في "السن" يرتدون "ملابس" يغلب عليها "السواد"، يرفع واحد منهم "لوحة" عليها كتابة ما و"يهتفون" ب"هتافات" مُنَغَّمَة لم يتبين معناها بسبب أصواتهم الضعيفة؛ فقال ل"الدكتور محمود":

ـ (إيه دُوول؟).

ـ (بَاين مِن شَكْلُهُم كِدَا إنُّهُم بِيْبَلَّغُوا عَن حَدِّ مَيِّت.. واليَافْطَة دِي فِيهَا اسْم المُتَوَفِّى والله أعْلَم).

ـ (بِيِتْهَيَّأْلِي انُّهُم وَاخْدِين شِوَيَّة مِن عَادَات المُحْتَلّ الّلِي قعَد على قلْبُهُم مِيَّة وتَلاَتِين سَنَة).

ـ (لاَ أنَا مِش مَعَاك في رَأْيَك دِه، أنَا شَايِف انُّه تَصَرُّف حَضَارِي).

ـ (وبَرْضُه العَزَا عَنْدُهُم غِيرْنَا خَالِص، دُوول بِيِعْمِلُوا حَاجَة اسْمَهَا خِيمِةِ العَزَاء النَّاس بِيِجُولْهُم وبِيِقعُدُوا مَعَاهُم شِوَيَّة وخَلاَص).

ـ (كُلّ بَلَد ولِهَا سِلْو يا دُكْتُور سَيّد).

ـ (عَلَى رَأْيَك.. خُد مَثَلاً الكُسْكُسِى الأَكْلَة الشَّعْبِيَّة عَنْدُهُم في الأَعْيَادِ وفِي النُّذُور).

ـ (سِيبَك مِن الأَعْيَاد، في النُّذُور خصوصا بِيْكُون الكُسْكُسِى هُوَّا الأَسَاس).

ـ (ولَمَّا المَدْعُوِين يِشْبَعُوا مِن الكُسْكُسِى يِمُرّ عَلِيهُم صَاحِب النَّدْر يِوَزَّع هُبَر اللَّحْمَة مِن مَقطَف بِيْسَمُّوه قُفَّة).

ـ (على رَأْيَك.. دَا مِن كُثْر حُبُّهُم في الكُسْكُسِى بِيْبِيعُوه مُعَلَّب في مَحَلاَّت السُّوبَر مَارْكِت نُصّ سِوَا!).

ـ (طَيِّب مَاهُو أَكْلَة شَعْبِيَّة مَحْبُوبَة عَنْدِنَا بَرْضُه).

ـ (اشْكُر الفَاطِمِيِّين الّلِي جَابُوه لِنَا مَعَاهُم)...

(8)

أمَّهُم الدكتور "عبدالرحمن" – "العبد لله" وولدا الدكتور "عدنان قشلان"، "مازن" و"غِياث"– في "صلاة العشاء" عندما كانوا يقضون "السهرة" في شقته، والذي قال – بعد أن ختموا– "الصلاة":

ـ (مِشَ انَا أخَذْت الأُسْتَاذِيَّة).. صاحوا.. وصاحت معهم "دِيمَا" – التي كانت تنتظرهم حتى يفرغوا من "الصلاة"– في "نَفَس واحد":

ـ (ألْف ألْف مَبْرُوك يا دُكْتُور).. بارك – "العبد لله"– للدكتور "عبدالرحمن" على "الأستاذية" – فهو يستأهل كل خير– ولكنه شعر "بغُصَّة" عندما تذكر حاله؛ "أليس بشرًا"؟!...

(9)

كانوا – ك"عُذَّاب"– يجتمعون في شقَّة "العبد لله" – على فترات– ل"غداء جماعي".. وكان السبب في اختيار شقته لامتلاكها مكانًا مُتَّسِعًا – "رُووفْ"– يجعلهم يتَحَرَّكون فيه "براحتهم".. وفي إحدى المَرَّات كانت "الغَدْوَة" عبارة عن "لحم" و"أرز" و"سلاطة".. وبينما كان الذين "يطبخون" منهمكون في عملهم قال "كَبِيرَهم" – في "السن"– الدكتور "محمد عبدالسلام":

ـ (اظْبُطُوا إِيدِيكُوا يَاوْلاَد أحْسَن بِطْلَع طَبِيخ عُزَّاب بِجَدّ). فقال الدكتور "عبدالعزيز فوده":

ـ (هُوَّا الرُّز عُؤْدَة دَا لَوْ على مَيَّه بِيضَا وكَتَّرْتِ لُه الإِدَام حَيِبْأَى مِيَّه مِيَّه)..

وبالمناسبة، فإن الدكتور "محمد عمر" – بما أنه "اسْكَنْدَرَانِي"– كان هو "المتخصص" في "الجمبري". وكان الدكتور "عدنان شحادة" متخصصًا في "قَلْي السمك".. وبعد الانتهاء من تناول "الطعام"؛ قدَّم – "العبد لله"– لهُم "الشاي".. ودار الحديث – في أثناء شُرب "الشاي"– عن "مواضيع" شَتَّى.. وحَكَى الدكتور "محمد عبدالسلام" عن علاقته ب"ضباط الثورة" – في بداية "الخمسينيات"– بقوله:

ـ (أنَـا كُنْـت وَاحِد مِـن الّلِـي أَلْقَـى عبدالنَّاصـر علـى عَـاتِقْهُم تَأْسِـيس هَيْئَـة التَّحْرِيـر). عندئذ فَهِم – "العبد لله"– من كلامه أنـه كـان "ضـابطًا" فـي "الجـيش" ثـم انضـم – بعد ذلك– إلى "كلية الهندسة" كأحد أعضاء "هيئة التدريس".. عندئذ تذكَّر "الدكتور" الذي جاء من "الجيش" – أيضًا– والذي كان يدَرِّس لهُم مادة "النبات" في السنة الأولى في "كلية العلوم".. وقبل انتقال "الحديث" إلى "متحدِّث" آخر؛ قال – "العبد لله"– للدكتور "عدنان شحادة" الذي كان جلوسه بجواره:

ـ (أنَا اشْتَرِيت جَزْمَة جْدِيدَة وطِلْعِت دَيّقة لِدَرَجِة انّهَا بَقبَشِت عَرْقوبِي رَغْم إنَّهَا أَرْبَعَة وارْبِعِين مَقاسِي). قال الدكتور "عدنان":

ـ (دُؤْهَا). فقال الدكتور "عبدالعزيز فوده":

ـ (يِدُؤْهَا ازَّايْ.. هِيَّا طَبِيخْ، هَا، هَا، هَا).

ـ (مْنِيحَة مِنَّك يَا دُكْتُور عبدالعزيز، أَأَصُد الدَّق عَلَيْهَا تِعْرَفُوا انُّهُمْ بِيْؤُلُوا على الجَزْمَة سُبَّاط؟). قال الدكتور "محمد عمر":

ـ (خُد عَنْدَك؛ مَثَلاً لَمَّا واحِد يِكُون عَايِز يِقول لِوَاحِد تَـانِي تَعَال يْقول لُـه أَرْوَح، ولَمَّا يْكُون عَايِز يِقول لُه اذْهَب يِقول لُه رُوح، ولَمَّا يكُون عَايِز يِقول لُـه انْتَظِر يِقول لُـه قَارِع). وقال "العبد لله":

ـ (وَلاَّ لَمَّـا يْكُون عَـايِز يِخَلّـي وَاحِد يِنْدَه عَلَـى وَاحِد تَـانِي يْقول لُـه عَـيّطْ لُـه). وقال الدكتور "محمد عبدالسلام":

ـ (وبِالمُنَاسْبَة أنَا كُنْت مَرَّة بَاسْأَل وَاحِد علـى مَكَـان مُعَيّن وِبَعْد مَـا دَلّنِـي عَلِيـه سَـأَلْتُه ان كَان المِشْوَار بِعِيد؟، قـال لـي بِاسْـتِغْرَاب يَـا شِـيخ رَانَـا نْجُول علـى المِنْـدِيل مِشْوَار، وكَان عَنْدُه حَق لأَنّ المَنْدِيل مِشْوَار بِالفَرَنْسِيَّة)...

(10)

عندما حكى للدكتور "عبدالعزيز فوده" عَمَّا جرى لـه من "لجنـة التَّرْقِـيَ" لدرجـة "أستاذ مساعد"، تعاطف معه قائلاً:

ـ (قلْبِي مْعَاك يا دُكْتُور سيّد.. الّلجَان دِي مَاتِخْلاَش من الأَهْوَاء الشَّخْصِيَّة، بَسّي بَدَام سَبَق السّيف العَزْل مَعَلِهْشِي شِدّ حِيلَك واعْمِل لُهُم بَحْث، ومَا أَسْرَع الأَيَّام زَيّ مَابِيْقولُوا).

ـ (إن شاء الله حَايْكُون بَدَل البَحْث اثْنِين وتَلاَتَة.. أنَا بَاشَطَّب في بَحْث حاليًّا).

ـ (عَال عَال، لَمَّا تْخَلَّصُه هَاتُه أَقرَأه عَشَان أخَلّيك تِنْشُرُه فِي مَجَلَّة هِنْدِيَّة اسْمَهَا آسْيَان جُورْنَال أُوف كِيمِسْتْرِي أَنَا الرِّيفْرِي بْتَاعْهَا في مَصْر).. وبعدما انتهيا من الكلام عن "البحوث"، قال الدكتور "عبدالعزيز":

ـ (تِعْرَف انّي قبْل مَآجِي الجَزَايِر كُنْت في أَمْرِيكَا؟).

ـ (وإِيهِ الّلِي جَابَك هِنَا؛ دَا احْنَا كُلّ مَانْطَالِبْهُم بِأَيّ مَطْلَب مَشْرُوع يِقولُولْنَا عَاوْنُونَا يَا شِيخ.. ويَارِيت كِدَا وْبَس دَا حَتَّى الصَّرَّافِين الّلِي بْيِصْرِفُوا مُرَتَّبَاتْنَا في البَرِيد يَامَا سَمَّعُونَا مَا نِكْرَه وهُمَّا بِيْقولُولْنَا انْتُوا جَايِين تَاخْدُوا المَاكْلَة انْتَاعْنَا!).

ـ (على العُمُوم أنَا ان قعَدْت السَّنَة دِي مِش قاعِد السَّنْة الجَايَّه.. أنَا رَايِح السُّعُودِيَّة ان شاء الله).

ـ (بِالمُنَاسْبَة جَامْعَة السُّلْطَان قَابُوس بِتَاع عُمَان كَانَت عَامْلَة إعْلاَن وبَعَتّلْهُم وبَعَتُولِي الاسْتِمَارَات عَشَان امْلاَهَا).

ـ (امْسِك فِيهَا بْإِدِيك واسْنَانَك يَابُو السّيد وهِج على بْلاَد البِتْرُودُولاَر وِسِيبَك من بِلاَد عَاوْنُونَا يَا شِيخ)...

(11)

بعد العودة من "عطلة نصف العام"، جاء "العبد لله" ب"هدايا" لأولاد الدكتور "عدنان قشلان"، كما جاء ب"الكركديه" للدكتور "أحمد أبو بكر" – عَمِيد الدكاترة "السوريين"– لأنه أُعْجِبَ به عندما كان في "ضيافته" في أحد الأيام؛ فوعده أن "يجيب" له منه عندما ينزل "مصر" في "عطلة نصف العام".. وأحضر – بالمناسبة– للدكتور "سعد الجارحي" – "بِتَاع المركز القومي للبحوث"– "كاربيراتيرًا" لسيارته – ماركة "جولف 65"– فقد كان قد ألَحَّ عَلَيه قائلاً:

ـ (مَعَلِهْشِي يَا دُكْتُور سيّد حَاتْعِبَك مَعَايَا، العَرَبِيَّة عَطْلاَنَة بسَبَبُه مِش عَارِف اتْحَرَّك). فأجابه قائلا:

ـ (يَا دُكْتُور أنَا مَاتْأَخَّرْشِي عَن طَلَبَك بَسِّي أنَا مَالِيش خِبْرَة في الحَاجَات دِي أخَاف يِغِشُّونِي.. طَب ودَه اسْأَل عَلِيه فِين؟).

ـ (لاَ لاَ مَفِيش غِشّ وَلاَ حَاجَة، انْتَ بَسِّي اسْأَل عَلِيه فِي التَّوْفِيقِيَّة وزَيّ مَايْقولَّك على التَّمَن ادِّيلُه).

ـ (مَاشِي يَا دُكْتُور انْتَ تُؤْمُر).

ـ (الأَمْرِ لله يَا دُكْتُور؛ أَصْلِي مِش نَازِل مَصْر وبَعْدِين قِطَع الغِيَار هِنَا غَالْيَة نَار).

وساعتها قال "العبد لله" في "نفسه":

ـ (يِنْزِل مَصْر لِيه؛ مَعَاه مرَاتُه الرُّوسِيَّة وبِنْتُهُم الصَّغَيَّرة الِّلي شُفْت أُمَّهَا بِتْلَعَّبْهَا على الزَّحْلِيقَة الِّلي عَامْلاَهَا البَلَدِيَّة لأطْفَال الحَيّ).. وبالمناسبة فإن أغلب "الأساتذة" متزوجون من "روسيات" أو من "نساء" من دول "أوربا الشرقية" الدائرة في فلك "الاتحاد السوفيتي"، ولم يشِذّ منهم إلَّا الدكتور "عبدالرحمن الغنيمي" – الذي أخذ "الدكتوراه" من "رومانيا"– المتزوج من "مصرية"، والدكتور "عدنان قشلان" – أخذ "الدكتوراه" من "روسيا"– المتزوج من "سورية" – "حلبية"– والدكتور "محمد كمال" – أخذ "الدكتوراه" من "روسيا"– المتزوج من "تونسية"...

(12)

قال "العبد لله" للدكتور "عدنان شحادة":

ـ (لَوْ سَمَحْت يَا دُكْتُور عَدْنَان تِيجِي مْعَايَا نْرُوح لِلدُّكْتُور جُورْج فَارِس عَشَان بِدِّي أَعْرِض عَلِيه مُسْوَدِة بَحْث في الجِيُولُوجْيَا).

ـ (شُو هَادَا يَا دُكْتُور سيّد!، مَعْلُومَاتِي بِتْؤُول إنَّك كِيمْيَائِي إيش جَاب الجِيُولُوجْيَا لِلكِيمْيَاء؟).

ـ (مَاهُو أَنَا أَصْلِي وَاخِد البَكَالُورْيُوس في الكِيمْيَا والجِيُولُوجْيَا).

ـ (مَاشِي يَا دُكْتُور في المَسَا نمْرُؤْ عَلِيه).. ولمَّا ذهبا إلى الدكتور "جورج فارس" وبعدما عَرَّفَه الدكتور "عدنان" ب"العبد لله"، قال:

ـ (اتْرُكْلِي ايَّاه شِي أُسْبُوع، ولَمَّا اقْرَاه هَاعْطِيه لِلدُّكْتُور عَدْنَان يْوَصْلُه إلَك)...

(13)

عندما أعاد الدكتور "عدنان" مُسْوَدَّة "البحث" بعد إطلاع الدكتور "جورج فارس" عليها، قال له بعد إلقاء نظرة سريعة على ما أبداه من "ملاحظات" أو "توجيهات":

ـ (الدُّكْتُور فَارِس كِدَا مَدَّانِيش أَيّ عُقَّاد نَافِع، مَاتِعْرَفِشِي حَدّ تَانِي يكُون مُتَخَصِّص في الجِيُولُوجْيَا؟).

ـ (أعْرِف زَلَمَة بُلْغَارِي اسْمُه يُورْدَان مَالْيَاكُوف).

ـ (بُلْغَارِي؟!!؛ ودَه هَاتْفَاهِم مَعَاه ازَّاي؟).

ـ (جِدًا بَسِيطَة.. لَوْ كَان بْيِعْرِف الانْجِلِيزِيَّة بِبْأَىَ مَافِي مُشْكِلَة ولَوْ كَان مَابْيِعْرِفْهَا وحَيِكْتِب بالبُلْغَارِيَّة؛ أيْضًا مَافِي مُشْكِلَة مِن شَان تِسْعَة وتِسْعِين في المِيَّة مِن جِيلْنَا وَاخْدِينِ الدُّكْتُورَاه مِن رُوسْيَا، وحَتَّى عِنْدْكُوا فِي مَصِرْ).

ـ (مَاهُو عَنْدِنَا فِي مَصْر كَان الجِيل دِه أيَّام انْفِتَاح عبدالنّاصر علي رُوسْيَا وفي سُورْيَا أَيَّام حِزْب البَعْث ذُو الهوَىَ الرُّوسِي).

ـ (المُهِم، اللُّغَة البُلْغَارِيَّة تُعْتَبَر واحِدَة مِن اللُّغَات السُّلاَفِيَّة كاللُّغَة الرُّوسِيَّة، مِن شَان هِيك الّلِي بيِعْرِف اللُّغَة الرُّوسِيَّة هَايِفْهَم لُغَة الخَوَاجَا البُلْغَارِي).

ـ (مَاشِي).

ـ (بَسّي لِلْعِلْم، الدُّكْتُور البُلْغَارِي هَادَا مُدَرّس يَعْنِي هَايِحْتَاج يِدْخُل مَعَك في البَحْث).

ـ (مُوَافِق.. وعلى رَأْيِ المَثَل يَا بَخْت مِن نَفَّع وِاسْتَنْفَع)...

(14)

ذهب مع الدكتور "عدنان شحادة" إلى "شقة" الدكتور "يوردان مالياكوف" التي كانت في "عمارة" في نفس الحيّ – سبعة جويلية"– الذي يسكنون فيه.. وبعدما استقبلهما الدكتور "مالياكوف" وعَرَّفَه الدكتور "عدنان" ب"العبد لله"، راحا "يَرْطُنَانْ" مَعًا ولا يدري أكانت "الرَّطَانَة" ب"الروسية" أم ب"البلغارية".. وبينما كانا مندمجان في "رطانتهما"، كان – "العبد لله"– يتَجَوَّل ب"نظراته" في ما تحتويه "الحجرة" من "صور وأيقونات مسيحية". وبعدما انتهى من تِجْواله، قال في "نفسه":

ـ (حَاجَة غَرِيبَة دَا جَاي من بَلَد شِيُوعِيَّة مَتَعَصّبَة فِي شِيُوعِيّتْهَا وتَابْعَة لِلاتِّحَاد السُّوفْيِتِّي الّلِي بِيْحَارِبِ الأَدْيَان!؛ يِمْكِن عَشَانُه مُتَدَيِّن لَمَّا خَرَج ونَفَد بِجِلْدُه؛ مَارِس شَعَائِر دِينُه بِحُرِّيَّة؟!).. ولَمَّا دخلت عليهم "سيدة" – اعتقد أنها "زوجة" الدكتور "مالياكوف"– وبيدها "صينية" فوقها "ثلاثة أكواب" من "الكوكاكولا" عرف أن الدكتور "مالياكوف" قد "جلب" أسرته معه، وقال في "نفسه":

ـ (فِعْلاً، اللَّمَسَات دِي مَايِنْفَعْشِي إلاَّ إِنَّهَا تْكُون لَمَسَات سِتّ).. تَوَقَّفَ الدكتور "عدنان" عن التَّحَدُّث مع "الخواجة"، وقال ل"العبد لله":

ـ (أُولِّي فِكْرَة البَحْث مِن شَان أَنْئُلْهَا للدُّكْتُور). ويبدو أن الدكتور "عدنان" لم يفْلَح في نقل ما قاله "العبد لله" إلى "الخواجة" بالضبط لعدم درايته ب"المصطلحات الجيولوجية"، فقال له:

ـ (مُمْكِن أَتْفَاهِم مْعَاه مُبَاشَرَةً؛ مِش بِيِفْهَمِ الإِنْجِلِيزِيَّة؟).

ـ (طَبَعًا.. يْكَون أَحْسَن).. بعدما أعطى – "العبد لله"– مُسْوَدَّة "البحث" للدكتور "مالياكوف"، أخذ يناقشه – ب"إنجليزية" ركِيكَة– في كل "فقرة" من "فقراته".. وبعدما انتهى من "المناقشة"، التفت إلى الدكتور "عدنان" وراح "يرطن" معه، ولا يدري أكانت "الرَّطَانَة" ب"الروسية" أم ب"البلغارية"!.. وبعدما تَوَقَّفَا عن "الرَّطَانَة"، قال الدكتور "عدنان":

ـ (الدُّكْتُور يُورْدَان بِيْؤُلَّك اتْرُك إِلُه البَحْث أَدّ شِي شَهْر مِن شَان يْشُوفُه بْرَاحْتُه ويْضِيفِ الِّلي حَايْضِيفُه بَسِّي حَايِكْتِبُه بِالبُلْغَارِيَّة وانْتَ تِبْأَى تْتَرْجِمُه بْرَاحْتَك). وافق – "العبد لله"– على "شروط" الدكتور "مالياكوف" وترك له "المُسْوَدَّة" على أمل أن ينتهي من "المهمة" في غضون "الشهر" كما قال...

(15)

بعد مرور "الشهر" – الموعد الذي قطعه الدكتور "مالياكوف" على نفسه– ترَجّى "العبد لله" الدكتور "عدنان شحادة" أن يسأله عمَّا تم.. ولَمَّا "راح" إلى "شقة" الدكتور "عدنان" ليسْتَقْصِيه عن رد الدكتور "مالياكوف"، قال له:

ـ (بِيْؤُلَّك لِسَّاتُو شَغَّال فِيه).. وبعد مرور "شهر" آخر، قال الدكتور "عدنان":

ـ (بِيْؤُلَّك لِسَّاتُو شَغَّال فِيه.. مَاتِئْلَأْشِي).. عندئذ تداعت إلى "الذاكرة" مواقف الدكتور "رفاعي" مع "العبد لله" في أيام "رسالة الماجستير"؛ الذي كان كلما يسأله عمَّا تم فيها كان يرد عليه بعبارة واحدة لا تتغير:

ـ (شَغَّال فِيهَا مَاتِقلَقشِي)...

(16)

عندما كان في طريقه لمراقبة إحدى لجان "امتحان أخر العام"؛ تقابل مع الدكتور "عدنان شحادة" الذي كان في طريقه هو الآخر لمراقبة لجنة مجاورة، فقال له:

ـ (لِسَّا بَرْضُه الخَوَاجَة مَاخَلَّصْشِي؟).

ـ (آخِرْ مَرَّة أَلّلي لِسَّاتُو شَغَّالْ فِيه.. أنَا رَأْيِي إنْ كَان مَالُوش خَلاَص فِيه يَعْتَذِر.. حَارُوح إِلُو فِي المَسَا).. وبعد انتهاء الامتحان جمع "أوراق الإجابة" ووضعها في حقيبته "السمسونايت".. وعندما كان يستعد للخروج من "القاعة"؛ تَرَجَّاه "الطلبة" ليوافق على أخذ "صورة تذكارية" معهم فوافق على الفَوْر. وقال "طالب" – الواقف على يسار "العبد لله" في "الصورة" الأخيرة– يسمى "أحبود عزالدين":

ـ (أَرْوَحُوا فِي السَّمْشْ). فقال له مازِحًا:

ـ (لِيه يَا عِزّالدِّين جَلَبْت الشَّمْس وجِبْت سِينْهَا جُدَّامْ وشِينْهَا وَرَا؟). قال "عزالدين":

ـ (مَعَلِيش يَا دُكْتُور، رَانَا بِنْجُول عَلِيهَا هَاكْدَا في اللَّهْجَة الجَزَائِرِيَّة).

ـ (عَادِي، مَاهُو عَنْدِنَا فِي الصَّعِيد بِيْجُولُوا السَّمْش كِيمَا بِتْجُولُوا كِيف كِيف، وفِي مُعْظَم مَنَاطِق الدِّلْتَا بِيْجُولُوا السَّمْسْ).

السنة الثالثة في التغريبة الجزائرية

(1)

بعد العودة من "العطلة الصيفية" مباشرة؛ ذهب – "العبد لله"– إلى الدكتور "عدنان شْحادة" كيّ يأتيه ب"البحث" من الدكتور "يوردان مالياكوف".. ولمَّا اطَّلع على "البحث" وجده مكتوبًا باللغة "البلغارية"، فقال للدكتور "عدنان":

ـ (الله يْخَلّيك يَا دُكْتُور عَدْنَان مُمْكِن تِتَرْجِمْهُولِي لَوْ سَمَحْت؟).

ـ (حَاضِر يَادُكْتُور سيّد، غَالِي والطَّلَب رِخِيص).. ولما عاد إلى "شقته"، شرع في عمل "مخطط العد التنازلي" ل"النصف الأول" من "العام الدراسي 1987 – 1988"...

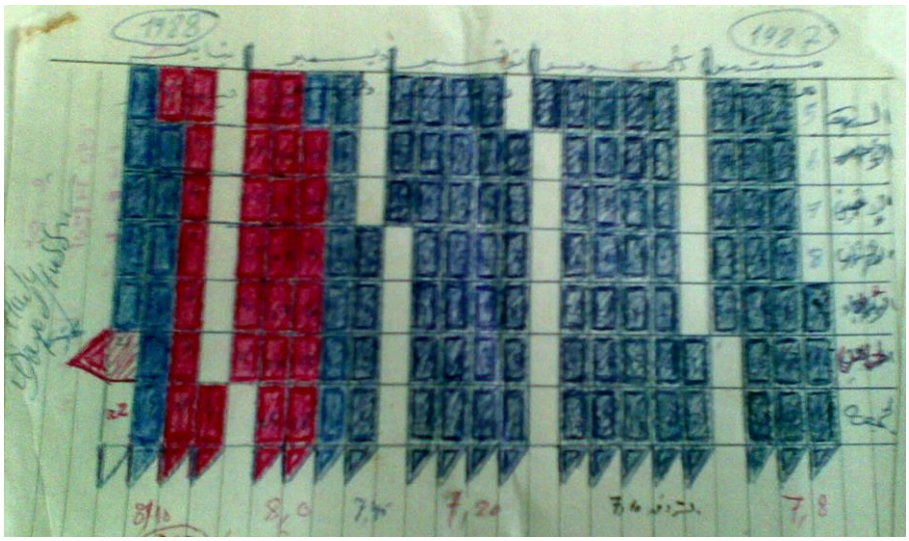

مخطط العد التنازلي للنصف الأول من العام الدراسي

1987 – 1988 "في آخر يوم"

(2)

جاءتهم أخبار "الانتفاضة الفلسطينية" – "انتفاضة الحجارة"– التي بدأت في "جباليا" بقطاع "غزة" ف"أثلجت صدورهم".. وقالوا أن الأبطال "الفلسطينيون" لن يتركوا "المحتل الإسرائيلي" يرتاح للحظة واحدة بل سوف "يَقُضُّوا مَضْجَعُه" حتى يرغموه على الرحيل صاغِرًا إن شاء الله.. وكان – "العبد لله"– يتَابِع أنباء "الانتفاضة" من "مجلة" تصدرها "منظمة التحرير الفلسطينية"...

(3)

عندما قابل – "العبد لله"– صديقه "الأستاذ الجزائري"، قال له:

ـ (ما رَأيك في انتفاضة الحجارة؟).

ـ (الشعب الفلسطيني شعب حَيّ).

ـ (وما رأيك في أوْضَاع الجزاير؟).

ـ (الأمُور تَبْدُو مُسْتَقِرَّة في الظَّاهِر؛ فَالدَّوْلَة مُنْشَغِلَة بِالأُمُور المَغَارِبِيَّة فَقَد زَارَ القَذَّافِي الجَزائِر في دِيسَمْبَر مِن العَام الفَارِط وفي فِيفْرِي الحَالي.. والرَّئِيس الشَّاذْلِي فِي سَبِيله إلى إعادِة العلاقات مع المَغْرِب، ولكِنِّي أرَى أن النَّار مازالت تَحْتَ الرَّمَاد).

ـ (أنْتَ صَادِق فِيما قُلْت، فإن الطُّلاَّب كَمَا تَرَي يَوْم يَنْتَظِمُون فِي الدِّرَاسَة ويَوْم خَارِج المُدّرَّجَات؛ حتَّى أنَّنَا امْتَحَنَّاهُم فِيمَا دَرَسُوه مِنَ المُقَرَّر وهُو لا يَتَعَدَّى نِصْف ما يُدَرَّس فِي الأيَّام العَادِيَّة)...

(4)

اسْتَرَاح "العبد لله" – نَفْسِيًا– عندما علم أن الدكتور – "السوري"– "محمد كمال" سيكون شريكه في المراقبة والإشراف على اختبار "الكيمياء العملي"؛ لعلمه أنه "إنسان" على "خلق"، وزيادة على ذلك تَمَيُّزُه ب"البشاشة" و"المرح".. ولَمَّا ذهب إلى "المختبر" ل"يتَمِّمْ" – مع "المُحَضِّر"– على "الكيماويات" و"الزُّجَاجِيَّات" وجد الدكتور "محمد كمال" متواجدًا هناك، فقال له:

ـ (وانَا بَاشُوفِ الاسْتِدْعَا بْتَاعِي لَئِيتْهُم كَاتْبِين اسْمَك مَعَايَا فِي المُرَاقَبَة، انْتَ شُفْت الاسْتِدْعَا بْتَاعَك النَّهَارْدَة وَلاَّ امْبَارِحْ؟).

ـ (أَخَدْتُه أَمْس، كُنَّا مْرَوَّحِين أَنَا والدَّكْتُور عَدْنَان شْحَادَة فقال لي، تَعَا نُمْرُؤ عَ البُوَاطَّات بِالمَرَّة، مِن شَان هِيك أنَا أُلْت زَمَانْتَك جَايْ لَتِطَّمِّن عَ التَّجْهِيزَات فِي المُخْتَبَر يَلِّلي حَايْصِير فِيه الامْتِحَان غَدْوَة عَ رَأْي الجَزَائِرِيِّين).

ـ (والله أنَا انْبَسَطْت جِدًا لَمَّا عِرِفْت انَّك حَتْرَاقب مَعَايَا؛ الّلِي زَيَّك الوَاحِد مَايِزْهَقْشِي مِن القعْدَة مْعَاه).

ـ (أَصْدَك تؤُول انِّي رَجُلٌ والرِّجَالُ قَلِيل؟، هَا، هَا، هَا)...

(5)

ذهب "العبد لله" إلى "المدرسة العليا" مُبَكِّرًا ليكون متواجدًا في "المختبر" قبل مجيء "الطلبة" لأداء "اختبار الكيمياء العملي".. ولَمَّا وصَل، وجد "المختبر" مُغْلَقًا ف"أُسْقِطَ في يده"، وقال في "نفسه":

ـ (إيه العَمَل دِلْوَأْتِي.. المَعْمَل مَأْفُوول والدُّكْتُور محمد كمال مَاجَاش والطَّلَبَة زَمَانْهُم جَايِّيْن, دَا كِدَا مُمْكِن يِحَمَّلُونِي المَسْؤُولِيَّة.. أعْمِل إيه يَا رَبِّي، مَابِدَّهَاش جَرْي على بْتُوع الأَمْن الّلِي على البَوَّابَة).. وعندما وصل إلى "الأمن"، قال لهم:

ـ (عِنْدِي اخْتِبَار عَمَلِي بَعْد قَلِيل والمُخْتَبَر مْسَكَّر). قال له أحدهم بلا مبالاة:

ـ (العِسَّاس وِيَّاه المِفْتَاح يَا شِيخ).

ـ (بَقُولَّك البَاب لَقِيتُه مْسَكَّر ومَافِيش عَسَّاس ولاَ غِيرُه، مَا العَمَل؟).

ـ (رُوح حَوِّس عْلِيه يَا شِيخ).. ولَمَّا لَم يأخذ منهم أي "عُقَّادْ نَافِعْ"؛ عاد "أدْرَاجِه" على أمل أن يجد "الحارس" – "العَسَّاس"– قد جاء وفتح "المختبر".. وفعلاً وجد "المختبر" مفتوحًا.. ولما دخل، وجد بعض "الطلبة" مُتَرَاصِّين أمام "البِنْشَاتْ" كما وجد الدكتور "محمد كمال" جالسًا على أحد "المقاعد" مُسْتَرْخِيًا يُدَخَّن "سيجارة"، فقال له:

ـ (يَا حَرَام.. لِيش بْتِلْهَث بْهَادَا الشَّكْل؟، رَاحَت عَلِيك نُومَة ايَّاك!، رَيِّح، رَيِّح، اجْلِس، خُد نَفَسَك).

ـ (رَاحَت عَلَيَّا نُومَة؟!، دَانَا جِيت مِن بَدْرِي ولَمَّا لَقيت المَعْمَل مَقفُوول جِرِيت على بْتُوع الأَمْن قَالُولِي حَوِّس على العَسَّاس؛ يَعْنِي بِالذِّمَّة احْنَا الّلِي حَنْدَوَّر على الحَارِس؟!.. ولَمَّا يِئِسْت مِنْهُم رِجِعْت على أَمَل الاَقيك أَوَ الاَقي سِيَادِة العَسَّاس وَصَل).

ـ (حَصَل خِير.. أَنَا لَمَّا وَصَلْت لَئِيت المُخْتَبَر مَفْتُوح)...

(6)

في أثناء انغماس "الطلبة" في إجراء "التجارب" المُطَالَبِين بإجرائها؛ جاءت إلى "العبد لله" طالبة وأرَتْه "يدها" المُلَطَّخَة باللون "الأسود" من تأثير "تترات الفضة"، وقالت بانزعاج:

ـ (شُوف يَا شِيخ زَرْجَا بِالزَّاف).

ـ (مَاتْخَافِيش يَا قَلْبُوزَة رَبِيعَة، حَايْرُوح بِالتَّدْرِيج انْتِي غَلْطَانَة يَجِب ارْتِدَاء قُفَّاز بِمُجَرَّد دُخُول المُخْتَبَر، أوْ على الأَقَلّ التَّعَامُل مع الكِيمَاوِيَّات بِحِرْص)...

(7)

بعد انتهاء اختبار "الكيمياء العملي"، عاد مع الدكتور "محمد كمال" إلى "السَّكَن".. وهُما في الطريق، غيَّر الدكتور "محمد كمال" موضوع الحديث وفاجأه بقوله:

ـ (عُمْرَك شُفْت حَدّ في الدِّنْيَا الِّلي رَوَاهَا النِّيل زَيْ مَابِتْؤُلُوا في مَصِر اسْمُه قَلْبُوظَة؟!).

ـ (يَعْنِي مَانْتَاش شَايِف كُشُوف أسْمَاء الطَّلَبَة؛ دَا فِيهَا أَسْمَاء أَغْرَب مِن قَلْبُوزَة بكْتِير).

ـ (وتِفْتِكِر إيه السَّبَب؟).

ـ (لاحِظ إنّ الأسْمَاء الغَرِيبَة بِتْكُون في اللَّقَب، وعلى الطَّرِيقَة الفَرَنْسِيَّة يَتَكَوَن اسْم الشَّخْص مِن اسْمِين فَقَط؛ يُكْتَب اللَّقَب أوَّلاً ثُمَّ اسْم الشَّخْص المَعْنِي).

ـ (طَيِّب بِمُناسَبَة الاسْمِين عَنْدُهُم، حَاحْكِيلَك نُكْتَة بِيْؤُلُوهَا على المَصْرِيِّين بِالذَّات).

ـ (احْكِي وَكُلِّي آذَان صَاغِيَة).

ـ (كَان وَاحِد مَصْرِي رَايِح يْزُور صَدِيقُه الجَزَائِرِي، ولَمَّا طَرَق البَاب قَال الجَزَائِرِي وِش كُون الِّلي عَ البَاب؟ قَالَ المَصْرِي إبْرَاهِيم محمد عبدالسلام عبدالغفور عبدالسميع، فقال الجَزَائِرِي طَيِّب ادْخُلُوا والأَخِير يْغَلِّق البَاب).

ـ (حِلْوَة، وَلَو انّي سِمِعْتِهَا كْتِير مِن أَبِل زَيّ مَابِتْؤُلُوا فِي سُورْيَا، بَسّي خَلّينِي أَقولّك عَن سَبَب تَسْمِيّتْهُم بِالأَلْقَاب الغَرِيبَة دِي).

ـ (تَفَضَّل).

ـ (لَمَّا جَاء المُحْتَلّ الفَرَنْسِي أَطْلَق على العَائِلاَت الجَزَائِرِيّة أَلْقَابًا مُشِينَة بِغَرَض إِذْلاَلُهُم وإِهَانَتُهُم).

ـ (يَا سَاتِر يَا رَب).

ـ (امَّاااال انْتَ فَاكِر إِيه، دَا الاسْتِعْمَار الفَرَنْسِي أَسْوَأ اسْتِعْمَار في العَالَم، دَا فَرَض على الجَزَائِرِيّين تَجْرِيد عَائِلاَتْهُم مِن أَلْقَابْهَا الحَقِيقِيَّة وتَبْدِيلْهَا بِأَلْقَاب نَابِيَة قَبِيحَة مَعِيبَـــــة، مُشِينَة وجَارِحَة لِلْكَرَامَة الإِنْسَانِيّة، فَمِنْهَا مَا هُوَ خَادِش لِلْحَيَاء العَام، ومِنْهَا مَا هُو تَسْمِيَة عَن أدَوَات وحَيَوَانَات وعَاهَات وأَعْضَاء الجِسْم للتَّقْلِيل مِن هِيبَةِ الإِنْسَان وقِيمَتُه حَتَّى يَتَوَارَث أَبْنَائهم مِن بَعْدِهِم مُلاَحَقَة الشُّعُور بِالمَهَانَة والإِذْلاَل).

ـ (أَعْتَقِد اِنْهُم غَيَّرُوهَا بَعَد الاِسْتِقْلاَل).

ـ (أَكِيد.. ولَكِن بَقِيَت بَعْض الأَلْقَاب التِي لا تُشَكِّل إِحْرَاج اجْتِمَاعِي زَيّ قَلْبُوظَة مَثَلاً، وبِالمُنَاسْبَة عَنْدِي طَالِب اسْمُه لاَرْبِي مُحَمَّد، وكَلِمَة لاَرْبِي هِي العَرَبِي بِالفَرَنْسِيَّة!)...

(8)

قال للدكتور "محمد كمال" عندما وصلا إلى "العمارة" التي يسكن فيها:

ـ (شُوف الكَلاَم خَدْنَا ازَّايْ؟.. طَيِّب، السَّلاَمُ عَلَيْكُم).

ـ (وعَلَيْكُمْ السَّلاَم، بَسّي اتْفَضَّل شّرِّفْنَا نِشْرَب سَوَا فِنْجَان أَهْوَا، شَرِّف، شَرِّف).. بعدما جلسا يتحدثان لبعض الوقت، جاءت "زوجة" الدكتور "محمد كمال" إليهما ب"القهوة" فقال عندما قام ليأخذ منها "صينية القهوة":

ـ (زُوجْتِي أُمْ يَاسِر تُونِسِيَّة؛ وكُلّ بْلاَد العُرْب أَوْطَانِي).. ثم قال المثل "الفرنسي" الشائع – وفي "الجزائر" أيضًا– تلك هي الحياة : "C' est la Vie":

ـ (سي لا في، هَا، هَا، هَا). قال "العبد لله":

ـ (أَهْلاً وسَهْلاً). وقال الدكتور "محمد كمال" ل"زوجته":

ـ (الدُّكْتُور سَيّد زَمِيل عَزِيز.. مَصْرِي طَبَعًا). قالت:

ـ (مَرْحَبَا.. أَهْلِين).. وبعد قليل، دخل "طفل" صغير "حَبْوًا".. كان يتَعَثَّر في "حَبْوِه". وكان "المُخَاط" يتَدَلَّى من "أنفه" بشكل لافِت.. قام الدكتور "محمد كمال" ورفع "الطفل" وضَمَّه إلى "صدره" قائلاً:

ـ (يَاسِرْ).. انحنى "العبد لله" على "الطفل" و"قَبَّله"، وقال لأبيه:

ـ (رَبِّنَا يْخَلِّي.. يِتْرَبَّى فِي عِزَّك).. وعندما لمس "الطفل" وهو "يقَبِّلُه"، فوجئ ببرودة "جسده" وزُرْقَة "شفتيه" فقال لأبيه:

ـ (يَا حَرَام البَرْد شْدِيد على يَاسِر.. عَنْدِي دَفَّايَة بِالكَهْرَبَا حَاجِيبْهَالُه).

ـ (شُكْرًا يَا دُكْتُور سيّد.. يَاسِر حَايِدْعِيلَك)...

(9)

تألَّم – بشدة– من إجرام "المستعمر الفرنسي" في حق "الجزائريين" فيما سُمِّيَ ب"قضية الألقاب المَعِيبَة"؛ فقرر أن يقرأ عن هذا "الموضوع"، وكانت خلاصة ما قرأ الآتي:

شتائم في بطاقات الهوية:

تَحْمِل الكثير من "العائلات الجزائرية" منذ أكثر من "127 سنة" "ألقابًا عائلية" يخجل النطق بها، حتى أنها تشكل مُرَكَّب نقص في نفسية حامليها، لاسيما الأطفال منهم، بل إن البعض يستحي من ذكر "لقبه العائلي" أمَام الملأ نظرًا للمعاني المُشِينَة لبعض هذه "الألقاب"، والتي تم توارثها منذ "الحقبة الاستعمارية"، مثل "بوزبالة"، "الخاين"، "غدّار"، "جيفة"، "بهلول"، "مجنون"، "لا تامن"، "هايشة"، "بالهايشة".. وقد أثبت الواقع؛ أن أغلب حاملي هذه "الألقاب" يعرفون "ألقابهم الأولى" قبل أن تدخل عليها "الإدارة الاستعمارية" التعديلات.. وحسب "أرشيف

الإدارة الفرنسية" الذي لا يزال محفوظًا، فإن لقب "بوكراع" أُطلق على كل "عائلة محمد بن بيتور بن بلقاسم"، وأطلق لقب "كعوان" على "عائلة علِيَّة بنت كعوان بن أحمد"، بينما أطلق لقب "غول" على كل "عائلة يامنة بنت عمار بن علي"، وأطلق لقب "تيس" على "عائلة سعد بن ناصر بن العربي" الذين سكنوا إحدى "مداشر" "ولاية قسنطينة" خلال نهاية "القرن 18" وبداية "القرن 19" وعملت "الإدارة الفرنسية" خلالها على انتقاء أكبر كم من "الألقاب"، وأطلقته على كثير من "العائلات الجزائرية".. وبحسب "الأرشيف الفرنسي"، فقد اختير ل"ولاية قسنطينة" مثلا بعض من "الألقاب"، مثل "بوصابون"، "بوسطيلة"، "بوشوكة"، "بوجرادة"، "بقة"، "بوناموس"، "بوقرن"، "بومعزة"، "قنفود"، "لحمار"، "بوجحاش"، "بوشرارة"، "غدار بن غولة"، وهي لا تزال متداولة لأحفادهم إلى يومنا هذا...

وفي دراسة أكاديمية قامت بها الدكتورة "يسمينة زمولي" من "جامعة قسنطينة"، انتهت فيها إلى أن "فرنسا"؛ لم ترتكب مجازر فقط في "جيل الثورة"، وإنما عمدت أيضًا إلى إهانة وإذلال "أجيال الاستقلال" وقتل معنوياتهم بتسجيلهم في "الحالة المدنية" ب"أسماء" لم يختاروها، كانت في معظمها تحمل معان مشينة وقبيحة مثيرة للاستهزاء.. وذكرت "الباحثة" أن "الإدارة الفرنسية" ألزمت "مفوّضي الأحوال النسبية" بعدم قبول "الألقاب العائلية" و"الأسماء الشخصية" المُرَكَّبَة من "الألقاب الفخرية"، مثل "سيدي سي مولاي"، "شيخ شريف حاج"، ومع ذلك، فقد حَمَلَ "الجزائريون" "ألقابًا عائلية تتضمن دلالة تَكْرِيمِيَّة لكنها كانت قليلة جدًا مقارنة بألقاب التَّهَكُّم والسخرية مثل "برغوثي"، "حلوفي"، "بوقطة"، "بوحجلة بوجناح"، "غول"، ومنها أيضًا "لطرش"، "بوسنينات"، "قايد"، "الزبالة"، و"بن عريان"؛ وهي عيّنة من "الألقاب" التي تم تداولها بين سكان "قسنطينة" خلال "القرنين 18 و 19 ميلادي"...

وخلَص "الباحث الأكاديمي" ورئيس "المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر"، الدكتور "جمال يحياوي"، إلى أن قضية "الألقاب المعيبة" واحدة من أبشع "الجرائم الفرنسية" في حق "هويتنا الجزائرية"، وذلك منذ لجوء "الإدارة الفرنسية" إلى تغيير "تسميَّات الجزائريين" واستبدالها ب"ألقاب" قبيحة معيبة، البعض منها يخدش "الحياء العام"، بينما تقلل "ألقاب" أخرى من "هيبة الإنسان" وقيمته، والتي ماتزال متداولة إلى أيامنا هذه بحكم توارثها من "الأجداد" إلى "الأحفاد" منذ "عام 1882" تاريخ صدور "قانون الألقاب" الذي جاءت به "فرنسا" بحجة "تسجيل الجزائريين" في "الحالة المدنية" وتسهيل التعرف على كل "الأفراد"...

وذكر كل من الدكتور "جمال يحياوي" والدكتورة "يسمينة زمُّولي" أن "أسماء الجزائريين" لم تكن على هذه الشاكلة، بل كانت "ثلاثية التركيب" قبل تطبيق "قانون الألقاب"، إذ حمل كل "الجزائريين" أسماءهم إضافة إلى اسم "الأب" و"الجد"، وفي حالات أخرى "خماسية التركيب"، بحيث تضاف لها "المهنة" و"المنطقة" مثل "محمد بن أحمد بن موسى البناي الوهراني"...

ألقاب حيوانات وأعضاء تناسلية:

خضع "الجزائريون" جميعًا، بحكم "الاستعمار"، ل"قانون الحالة المدنية" الذي تولَّدت عنه "قوائم" لا متناهية من "الألقاب" التي اخترعتها "فرنسا" بصفة عشوائية أحيانًا، ومستهدفة أحيانًا أخرى ضرب بعض "العائلات الثورية" في الصميم، إذ اختيرت لها "أبشع الألقاب"، بينما لقّبت بعض "العائلات" ب"ألقاب نسائية" تدل على انتساب "الابن" ل"أمه" لتُلمّح أن "الابن" له "أم" فقط، أي "ابن غير شرعي"، كمن أطلقت عليهم لقب: "شريفة"، "حليمة"، "مسعودة"؛ و"نواره"؛ وذلك بهدف واحد، هو حرمان كل "الجزائريين" من "الكُنْيَة الثلاثية" المعمول بها في سائر "الدول العربية" وتعويضها ب"ألقاب" نابية جارحة وأخرى عشوائية لا معنى لها.. وأعطى الدكتور "يحياوي" أمثلة حيّة عن "ألقاب" معيبة تحملها بعض من

"العائلات الجزائرية"، مثل لقب: "حمار"، "خاين النار"، "لكواغط"، "لا تامن"، "جياف النملة". وأقرب مثال ذلك "اللقب" الذي يحمله "وزير الثقافة" الأسبق "محمد العربي دماغ العتروس" – و"دماغ العتروس" تعني "رأس التيس"- إضافة إلى "سفير جزائري" آخر رفضت إحدى "الدول العربية" اعتماده بحكم أن "لقبه" يحمل معنى خادشًا ل"الحياء العام".. بينما تحمل "عائلات" أخرى "ألقابًا" أغلبها له معاني "عاهات"، مثل "العايب"، "فرطاس"، "لطرش"، "العقون"، "بكوش".. وأخرى تحمل دلالة "الألوان"، مثل "بالأحمر"، "بالأزرق"، "بالأكحل".. أو "أدوات طبخ"، مثل "بوسكين"، "بوعجينة"، "بو كسكاس".. أو "أدوات عمل"، مثل "بومنجل"، "بوكرسي"، "بوسيالة"، "بالقلم"، "بوطاجين".. و"ألقاب" أخرى تحمل معاني و"أعضاء من الجسم"، كلقب، "بوضرسة"، "بوذراع"، "بوشارب".. أو "فصول وأيام"، مثل "ربيع"، "عاشور"، "العيد".. ومهن ك"طباخ"، "حداد", "نجار".. و"صفات ذميمة"، مثل "سَرّاقْ"، "خاين"، "جياف النملة"، "ذباح"، "مجراب".. والأسوأ من كل هذا أو ذاك تلك الألقاب التي تحمل أسماء "الأعضاء الجنسية للإنسان"، إذ لا يتصور عاقل أن العشرات من "العائلات الجزائرية" لا زالت تحمل "ألقابًا" تحمل التسمية الصريحة ل"الأعضاء التناسلية"، وقد توارثتها أجيال منذ "1882" إلى يومنا هذا، وذلك بفعل انتقام "الإدارة الاستعمارية" التي جَرّدَت هذه "العائلات" من "ألقابها" الحقيقية وعوضتها بأخرى نابية، حتى يتوارث أبناءهم من بعدهم ملاحقة الشعور بالمهانة والإذلال...

أهداف شيطانية:

انتهى الدكتور "جمال يحياوي" إلى أن الأهداف المعلنة ل"قانون الألقاب" ليست حقيقية، لأن ظاهرها هو تسجيل "الجزائريين" في "الحالة المدنية"، وباطنها هو تحقيق "سبعة أهداف" جهنمية لا تقل خطورة عن مخلفات "التجارب النووية"، إذ استبدلت "ألقاب الجزائريين" الثلاثية التركيب وعوضت ب"ألقاب" لا ترتبط ب"النسب"،

البعض منها أُطْلِق بطريقة عشوائية، بينما تتلخص الأهداف العامة في "الرغبة الفرنسية" في الاستيلاء على "الأراضي الفلاحية"، وتفكيك "نظام القبيلة" الذي كان معمولاً به في تلك "الحقبة"، وجعل "الفرد" كعنصر معزول عن حياة "الجماعة" ب"تبديد الشمل" ونشر فكرة "التملُّك الفردية"، والقضاء على "الشخصية الإسلامية"، من خلال تغيير كل "الألقاب" التي كانت في مجملها ذات "دلالات دينية"، وجعل "الفرد" في معزل عن "الجماعة"، وتطبيق "نموذج المجتمع الفرنسي" الذي يخاطب فيه "الفرد" ب"لقبه" دون "اسمه".. ويذكر "الباحث الجزائري" "جمال يحياوي" قضية "الحاج البوخاري بن أحمد بن غانم" الذي تفَرّقَ "أبناؤه الأربعة" بموجب "قانون الألقاب"، وهم "محمد" و"عبدالقادر" و"أحمد" و"الحبيب"، إذ بعد عودته من "سوريا"، تفاجأ بتغير "ألقاب أبنائه" الذي تحول كل واحد منهم إلى غريب عن الثاني، فأصبحوا "محمد عسال" و"عبدالقادر بو وشمة" و"أحمد البحري" و"الحبيب ندّاه"...

أسماء مُشِينَة:

بعد الاستقلال قلب "الجزائريون" صفحة "الماضي" ولم يعد هناك "عائلات عريقة" ولم يعد النسب مقياسا للمكانة الاجتماعية والسياسية، كما كانت الحال قبل الاحتلال؛ ف"ثورة التحرير" اختلط فيها "الجميع" ومن حكموا "البلاد" هم من زكّتهم "القيادة" التي أفرزتها "الثورة". وبذلك وصل إلى "المناصب العليا" رجال ب"أسماء" ربما يستحون من ذكرها.. ومن بين "الحكايات" التي تداولها "الجزائريون" كثيرا في "ثمانينات" و"تسعينات" "القرن الماضي" أن الحديث عن "جبهة التحرير الوطني" – "الحزب الحاكم"– وقتها يُذَكّرِ ب"حديقة الحيوانات" و"بمحل بيع الخضار". فقد التقى في "قيادتها" مسئولون بأسماء "بومعزة" و"الذيب" و"السبع" و"المهري" و"بن نعجة" و"العجل".. وكان رئيس "بلدية سطيف" وهي مدينة كبيرة في "الجزائر" و"عاصمة" لثاني أكبر "ولايات" البلاد سكانًا يحمل لقب "الفار"؛ ومسئول كبير في ذات "الولاية" لقبه "القط"؛ وأروع ما في حكاية هذين "الرجلين" أنهما صديقان حميمان.. وقد وقف مسئولوا "صحيفة جزائرية" يومًا أمام "المحاكم" بسبب عنوان

"دماغ العتروس ينطح صحافية" وينقل "الخبر" حادثة صَفْعْ "وزير الثقافة" الأسبق "صحافية" حين أحرجته في "مؤتمر صحافي". و"دماغ العتروس" هو "لقب الوزير" ومعناه "رأس التيس"؛ ولا يستبعد أن يكون "المسئولون" من ذوي "الألقاب المُشينة" أوّلَ من يستفيد من "قانون تسهيل تغيير الألقاب" وسيختارون لأنفسهم "ألقابًا" جميلة وعصرية...

بؤس الألقاب وغرابة الأسماء يؤرقان "الجزائريين":

رفعت آلاف "العائلات الجزائرية" "دعاوى للقضاء" بهدف تغيير "أسمائها" الموروثة منذ "العهد الاستعماري" وقالت "فاطمة الزهراء بن أبراهم" وهي واحدة من ألمع "المحاميات" ب"الجزائر"، إن جميع من رفعوا "الدعاوى" سيستجاب لطلبهم وسيتمكنون من اختيار "الأسماء" و"الألقاب" بأنفسهم، بدلاً من تلك التي أطلقها عليهم "أعوان إدارة الاحتلال الفرنسي" عند بداية "التسجيل" في "دفاتر الحالة المدنية عام 1882".. وقالت إن "المحاكم" وهي المخولة بتبديل "الألقاب" اتخذت إجراءات لتسريع وتيرة العمل حتى تنتهي من ما يمكن تسميته "محنة الألقاب الموروثة" بأقرب وقت؛ "ودعت جميع من يحملون ألقابًا قبيحة إلى التقدم لتغييرها كون الدولة أصدرت قوانين جديدة تسهل العملية".. ومن بين من تقدموا لتغيير "ألقابهم" عائلة "بوذيل" ومعناها ب"العربية" "أبو ذنب" و"تيغيدات" وهي عبارة "بربرية" تعني أبو "العنزات" و"مهبول" وتعني "مجنون" و"حمار" و"بو بغلة" و"حفيان" و"بن نعجة" و"بوبنيدر" ومعناه "أبو طبل" وغيرها من "الألقاب" الغريبة والمُشينة التي أطلقتها "إدارة الاحتلال" على "عائلات جزائرية" عند توزيع "الألقاب" دون استشارتها.. وكما في دراسة الدكتور "جمال يحياوي" الأستاذ في "جامعة الجزائر"؛ أن "الفرنسيين" اختاروا هذه "الألقاب" القبيحة والدونية والمذلة – ك"ألقاب" ثابتة ل"العائلات" بحيث تلزم أبنائها بها طول حياتهم ويورثونه لمن يأتي بعدهم– عن وعي بغرض "الضغط

النفسي" المستمر على "الجزائريين".. واعتبر الدكتور "يحياوي" فرض هذه "الألقاب" واستمرارها مأساة عاشتها وتعيشها أغلب "العائلات الجزائرية" كونها تتبعهم ويجري تدوينها في كل المحررات وينادَى بها أصحابها.. ولقد نجت من تلك "الأسماء" القبيحة "العائلات الجزائرية" الكبيرة والثرية؛ خاصة المنتمية ل"المرابطين"، حيث تمكنت من اختيار "ألقابها"؛ فكانت في معظم الأحيان ذات دلالة "دينية" مثل "ناصر الدين" و"محيي الدين" و"صدّيقي" و"الحسيني" و"مولاي" و"طاهري"؛ وغيرها وهي "عائلات" عريقة وذات باع طويل في "العلم" ولها مكانة كبيرة في "المجتمع" ارْتَأَتْ "إدارة الاحتلال" مهادنتها.. وهناك "عائلات" أخرى اختارت لنفسها "ألقابًا" من أصولها "التركية" مثل "خزناجي" و"قهوجي" و"خزندار" و"خوجة"؛ وكانت هذه "العائلات" محلّ معاملة خاصة من "الفرنسيين"؛ ربما لتكريس التّفْرِقَة داخل "المجتمع الجزائري"...

تغييرات بالجملة:

قال السيد "عيسى عبدالمجيد"، قاضي "الحالة المدنية والجنسية" ب"وزارة العدل"، إن عدد "الملفات" التي تصل إلى "وزارة العدل" لتغيير "اللقب العائلي" تُعَد ب"الآلاف"، مؤكدًا أن تغيير "اللقب العائلي" يخضع ل"إجراءات" فحص وبحث دقيق في "هوية العائلة"، وينتهي بها المطاف إلى "التوقيع" من قِبَل "رئيس الجمهورية" بموجب "مرسوم رئاسي".. ونظرًا لحساسية الموضوع، فإن "طلبات" تغيير "الألقاب" المُشينة والمَعيبة تُوَجّه بصفة خاصة إلى هذه "المصلحة"، وهي "المصلحة" الوحيدة المختصة في استقبال "الملفات" وتسوية وضعية طالبي تغيير "الألقاب".. وأضاف السيد "عيسى عبدالمجيد" أن تغيير "اللقب العائلي" محكوم ب"المرسوم التنفيذي رقم 157/71" المؤرخ في "13 جوان 1971" الذي يتناول تغيير "اللقب العائلي". فبعد أن تودع "الطلبات الخطية" ب"أسماء" الأشخاص

البالغين، ترسل إلى السيد "وزير العدل", "حافظة الأختام" مرفقة ب"الوثائق" الضرورية المتعلقة ب"الحالة المدنية" ل"الشخص المعني"، والتي يشترط فيها أن تكون مستخرجة من "السجلات الأصلية"، إضافة إلى "الإعلان" ب"الجرائد اليومية" أو "المحلية" عن نِيّة "المعني بالأمر" في تغيير "لقبه العائلي" واستبداله بآخر الذي يتم ذكره في "الإعلان"، كما يشترط "القانون" أن يكون ذات "الشخص" حاملاً ل"الجنسية الجزائرية". وبعد دراسة "الملف" واتخاذ "الإجراءات" اللازمة بشأنها، يتم التأكّد خصوصًا من "إجراءات" التحقيق في "هوية" صاحب "الملف" و"عائلته" ب"محل إقامته"، وذلك تفاديًا لأن يكون شخصًا مشبوهًا أو محل بحث أو متهربًا من دفع "الضرائب" ويهدف من وراء "الطلب" إخفاء "هويته"؛ لذلك تُعْرَض هذه "الملفات" على "لجنة" مختصة للفصل فيها على ضوء "التحقيقات" والدراسة التي تكون "مصالح وزارة العدل" قد قامت بها، وفي حالة الإيجاب، تُنشر "المراسيم" التي يوقعها "رئيس الجمهورية" على "صفحات الجرائد" ل"الإعلان" عن تغيير "هويّة العائلة"...

(10)

قال الدكتور "عدنان شحادة" وهو يعطي "العبد لله" "البحث" الذي كان قد أخذه ل"يترجمه" من "البلغارية" إلى "الإنجليزية":

ـ (مَعَلِيش، أنَا وجَدْت حَالِي مَالِيش خَلاَص فِي المُصْطَلَحَات الجِيُولُوجِيَّة).

ـ (مَاشِي عَلَى العُمُومْ شُكْرًا عَلَى تَعَبَك مَعَايَا).

ـ (لاَ شُكْر على وَاجِب يَا دُكْتُور).. ولَمَّا عَرَض "البحث" على الدكتور "عبدالرحمن" ليترجمه من "البلغارية" إلى "الإنجليزية"، قال بمجرد رؤيته للصفحة الأولى:

ـ (إيه نَعْكَشِة الفِرَاخ دِي؟، خُد يَا عَمّ خُد).. وبعد الدكتور "عبدالرحمن" ذهب ب"البحث" إلى الدكتور "عدنان قشلان" والذي أعاده – أيضًا– بحجة عدم تخصصه في علم "الجيولوجيا".. وأخيرًا هداه "تفكيره" إلى الذَّهاب إلى الدكتور "عدنان شحادة" ب"البحث"، وهناك قال له:

ـ (مَعَلِهْشِي يَا دُكْتُور عَدْنَان، آخِر طَلَب رَجَاءً أُوول لِلدُّكْتُور مَالْيَاكُوفْ يِعِيد كِتَابْتُه بِالإِنْجِلِيزِيَّة عَلَى أَدِّ مَا يِعْرَف).

ـ (حاضِر يَا دُكْتُور سيّد)...

(11)

كان منشغلاً بالانتهاء من كتابة "البحث" الذي وعده الدكتور "عبدالعزيز فوده" – الذي لم يحضر هذا "العام" واكتفى ب"السنة الوحيدة" التي قضَّاها معهم– بمساعدته في نشره في "المجلة الهندية" – "آسيان جورنال أوف كيمستري"– بعد مراجعته.. ولأجل ذلك اسْتَعَار "آلة كاتبة" خاصة بأحد "المُحَضِّرِين"، كما اشترى "معدات الرسم الهندسي" ليرسم "منحنيات وأشكال البحث".. وبعدما "فَنَّش البحث"، أرْسَل "نسخة" إلى الدكتور "عبدالعزيز" لمراجعتها ووضع "ملاحظاته"...

(12)

وصل له "خطاب" – "مُسَجَّل"– من الدكتور "عبدالعزيز فوده" يتضمَّن رأيه في "البحث" والذي كان – في مضمونه– مَدْحًا في "البحث" وفي "فكرته"، وقد قال في نهاية "الخطاب":

ـ (ابْعَت البَحْث على عِنْوَان المِجَلَّة المَوْجُود أَسْفَل الصَّفْحَة وانَا حَابْعَت التَّأْرِير بِتَاعِي عَن البَحْث لِرَئِيس التَّحْرِير).. وقُبيل "عطلة نصف العام" وصل إلى "العبد لله" خطاب من "المجلة" تُعْلِمُه فيه بموافقتها على نشر "البحث" بعد دفع "الرسوم" المقررة، فقال في "نفسه":

ـ (مَاشِي فِي الأَجَازَة نِدْفَع لُهُم الدُّولاَرَات عَن طَرِيق بَنْك فِيصَل حِيث إِنِّي فَاتِح فِيه حِسَاب بِالدُّولاَر، وكَمَان نِوَدّي البَحْث الجَّاهِز لِمَجَلّة كُلّيّة عُلُوم عِين شَمْس)...

(13)

في أثناء "عطلة نصف العام"، ذهب ب"بحثًا" آخر إلى "مجلة كلية العلوم".. وأرسل "الرسوم" المقررة من طرف "المجلة الهندية" على "عنوانها" ب"حِوَالَة بريدية" عن طريق "بنك فيصل الإسلامي".. كما ذهب إلى "المركز القومي للبحوث" لاستلام "المطبوعات" – "رِي برِنتس"– الخاصة ب"بحثين" منشورين في "المجلة المصرية للكيمياء".. وقبل أن يغادر "مصر" – إلى "الجزائر"– في نهاية "عطلة نصف العام"– أوْصَى"الزوجة" بمتابعة "البحث" الذي في "مجلة كلية العلوم"، من حيث دفع "الرسوم المقررة" واستلام "الموافقة على النشر"...

(14)

اقترب ميعاد السفر فبدأ يشعر بالضيق، وحتى لا يلاحظوا ذلك فَيَعُمُّ "البيت" جوًا من الكآبة، قال للأولاد:

ـ (يَلاَّ يَا وْلاَد نِتْصَوَّر ذِكْرَى لأجَازِة نُصّ السَّنَة التَّالْتَة).. صوَّرَهُم "محمد"، ثم قال:

ـ (أنَا واحمد لِسَّا مِتْصَوَّرِين في اسْتُودْيُو مْيَامِي)...

(15)

بعد عودته من "عطلة نصف السنة"، سهر – في أوّل "ليلة"– في عمل "مخطط العدّ التنازلي" ل"النصف الثاني" من "العام الدراسي 1987 – 1988"...

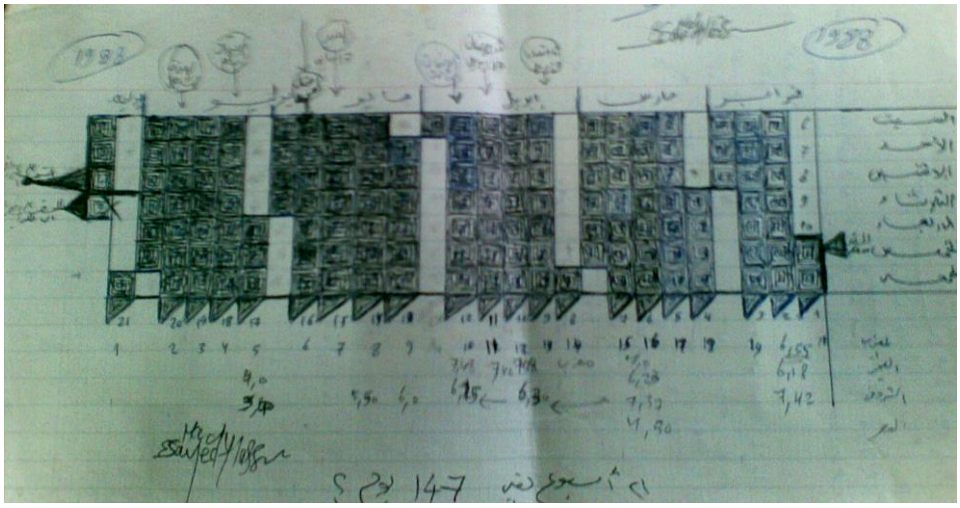

مخطط العد التنازلي للنصف الثاني من العام الدراسي

1987 – 1988 "في آخر يوم"

(16)

عندما ذهب إلى "السنترال الرئيسي" ليتصل بالأسرة، أعطى "رقم تليفونه" ل"عامل التليفون" فسَجَّلَه عنده، ثم قال:

ـ (قَارِع يَا شِيخ).. ولَمَّا قارع – انتظر– كثيرًا بدون أن ينادي عليه، حتى أن "الكبائن" كانت تُمْلأ ب"المتحدثين" وتفرغ منهم إلاَّ هو، فذهب إليه قائلًا:

ـ (أَنَا قَارَعْت بِالزَّاف؛ فِيه مُشْكِلَة وَلاَّ حَاجَة؟).

ـ (اصْبُر يَاشِيخ.. بِيْجُولُوا فِي جْزَايِر كَاين مُشْكُل في الاتِّصَال بالقَاهِرَة).. وبعد مدة، ناداه قائلاً:

ـ (يَا شِيخ.. اتْفَضَّل، الكَابِينَة رَقَمْ تْلاَتَة).. ذهب – بسرعة– إلى "الكابينة" رقم "ثلاثة" ورفع "سماعة التليفون"، وقال:

ـ (آلوو). سمع الرَّد من "الطرف" الآخر:

ـ (القَاهِرَة مَابِتْرُدّش، مَازِلْنَا بِنْحَاوِل.. رَاك طَالِب بَنْهَا؟). ردّ على "عاملة التليفون" في "سنترال الجزائر العاصمة" قائلاً:

ـ (أيْنَعَم). قالت بصوت فيه بعض "المُيُوعَة":

ـ (رَانَا بِنْحَاوِل.. خَلّيك رَافِع السِّمَّاعَة؛ أَنَا نِبْغِي نُهْدُر وِيَّاك يَا شِيخ).

ـ (.....!).

ـ (انْتَ عْيُونَكْ عَسَلِيَّة؟). أذهلته وفاجأته بتساؤلها "المُتَسَيّب" هذا؛ فقال في "نفسه":

ـ (الله يِخْرِب بِيتِك.. أَنَا فِي إِيه وَلاَّ إِيه.. كُلّ الفِئَة دِي كِدَا إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبّي).. ولَمَّا طال صمته، قالت:

ـ (عَلاَش مَارَدّيت عْلَيَّا.. رَاك مَدْهُوش عَشَان أَنَا خَمَّنْت صَحّ؟).. قال لها وهو "يكظم غيظه":

ـ (يَا آنِسَة أَنَا فِي مَوْقِف لاَ يَسْمَح بِالّلِي بِتْقُولِيه.. أَرْجُوكِي وَصَّلِينِي بِالرَّقَم؛ أَنَا بَقَالِي تَلاَت سَاعَات عَلَى هَذَا الحَال.. أَنَا انْشَغَلْت على الأُسْرَة).. وبعد "ثوانٍ" من الصمت، قالت بصوت خالٍ من "المُيُوعَة" وفيه بعض الحِدَّة:

ـ (اتْكَلَّم يَا شِيخ، بَنْهَا وِيَّاك).. انطلقت الكلمات من فمه – ك"المدفع الرشاش"– قائلاً ل"الزوجة":

ـ (آلوُو، السَّلاَمُ عَلَيْكُم، ازَّيُّكُوا.. بَآلِي تَلاَت سَاعَات وَانَا بَحَاوِل اتّصِل بِيكُوا).. فوجئ بأن "محمد" هو الذي على "الطرف الآخر"، وكان "صوته" أجوفًا بعض الشيء – ربما كان يعاني من "نزلة برد"– عرف ذلك عندما رَدَّ بكلمة:

ـ (آلوُو).. قال له بلهفة:

ـ (أَنَا بَابَا يَا محمد ازَّيُّكُوا عَامْلِيين إِيه، مَامَا فِيين؟ مَارَدَّتْشِي عَلَى التِّلِيفُون لِيه؟). ردَّ بكلمات رتيبة و"بتثاقل":

ـ (مَامَا مَاتِئْدَرْشِي تْكَلَّمَك.. مَامَا نَايْمَة فِي السِّرِير.. مَامَا عَيَّانَة أَوِي.. تَعَالَى يَا بَابَا.. ارْجَع يَا بَابَا، كِفَايَة سَفَرْ يَا بَابَا احْنَا عَايْزِينَك).. وضع "سماعة التليفون"

وخرج من "الكابينة" ناسيًا محاسبة "عامل التليفون" لولا أنه نبهه لذلك.. وخرج من "السنترال" هائِمًا على "وجهه"...

(17)

عاد إلى "الشقة" ذاهِلاً عَمَّا حوله وقد اغرورقت "عيناه" بالدموع، وكان "قلبه" قد تَفَتَّت.. فَتَح "باب الشقة"، وبعدما دخل أغلقه "خلفه" بسرعة وراح يجهش ب"البكاء".. وبعد نَوْبَة طويلة من "البكاء المرير"، حدّث "نفسه":

ـ (أنَا كِدَا مُمْكِن يِجْرَالِي حَاجَة وَانَا لْوَحْدِي فِي الشَّقّة على دَا الحَال).. قام وجَدَّد "وضوأه"، وصلّى "العشاء".. ونزل إلى "شقة" الدكتور "عبدالرحمن" ليشركه في "محنته"...

(18)

قال الدكتور "عبدالرحمن" بعدما فتح له "بابه":

ـ (إيه فِيه إيه؟.. شَكْلَك مِشْ طَبِيعِي). قال "العبد لله" وقد امتلأت "عيناه" ب"الدموع":

ـ (وَانَا كُنْت بَاطْلُبْهُم في السِّنْتِرَال العَصْر أقعَدْت أكْتَر مِن تَلاَت سَاعَات، كَان فِيه لَخْبَطَة فِي الاتِّصَال مع مَصْر، وبَعْد العَذَاب دَا كُلُّه رَدّ محَمّد عَلَيَّا وقال لي مَامَا نايمة في السِّرِير عَيَّانَة.. أنَا خَايف يِكُون جَرَالْهَا حَاجَة وهُوَّا بِيْدَارِي عَلَيَّا و..). وسَكَت "العبد لله" لم يستطع مواصلة الكلام واغرورقت "عيناه".. عندئذ قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (اطْمَئِن انْتَ قلْبَك خَفِيف لِيه كِدَا، أكِيد دِي نِمْرَة غَلَط والوَاد الّلي رَدّ عَلِيكْ دِه سَافِل ودِلْوَقتِي تْشُوفْ).

ـ (بِسْمَع مِنَّك رَبّنَا، على العُمُومِ الصُّبْح حَاتِّصِل بَأَخُويَا، رَبّنَا يْجِيبِ العَوَاقب سَلِيمَة)...

(19)

في "الصباح" الباكر، ذهب إلى "السنترال" ليتصل بأخيه.. ولَمَّا وصَّلَه "عامل التليفون" ب"الخط" وكان المتحدث – "على الطرف الآخر"– أخوه، قال له بلهفة:

_ (هُوَّا فِيه حَاجَة حَصَلَت عَنْدِي فِي البِيت؟).

_ (حَاجَة إِيه كَفَا الله الشَّر).

_ (أُمّ محمّد كُوَيِّسَة؟، بِخِير يَعْنِي؟.. طَمَّنِّي).. وحكى له ما حدث في "السنترال" ب"الأمس"، فقال:

_ (أُمّ محمّد بِخِير، مَافِيش أَيّ حَاجَة وِحْشَة لاَ قَدَّرَ الله، والأَوْلاَد بِخِير.. أَمَّا الوَاد الّلِي عَلَّم عَلِيك دَا سَافِل سَفَالَة!.. وِانْتَ ازَّاي مَاعِرِفْتِش تْمَيَّز صُوت ابْنَك؟، إِيهِ الطَّيَابَة دِي!).

_ (بَعْد العَذَاب الّلِي شُفْتُه وَانَا بَانْتِظِر المُكَالْمَة، مَافَكَّرْتِش فِي صُوت الوَاد السَّافِل دِه الأَجَشّ والّلِي أتْخَن مِن صُوت محمّد شِوَيَّة.. يَلاَّ، نَصِيبِي أتْخَضّ الخَضَّة دِي).

_ (مَهْمَا يَكُن، كَان لاَزِم اخْتِلاَف الصُّوت يِلْفِت نَظَرَك).

_ (مَاجَاش في بَالِي أَبَدًا إِنُّه مِش محمّد، ولَمَّا سِمِعْت الصُّوت بِالشَّكْل دِه قُلْت يِمْكِن عَنْدُه نَزْلِة بَرْد شدِيدَة، يَلاَّ كُلُّه يْهُون.. الحَمْد لله انَّك طَمَّنْتِنِي).. وبعد انتهاء "المكالمة"، قال في "نفسه":

_ (إن شاء الله بُكْرَة زّيّ دِلْوَقْتِي أتّصِل بِالأَوْلاَد أطَمَّن عَلِيهُم واسْمَع مِنْهُم، يِمْكِن عَبْدُه يْكُون مدَارِي عَلَيَّا حَاجَة)...

(20)

عندما سمع صوت "زوجته" على "الطرف الآخر" من "الخط"؛ كان غير مصدق أنها هي التي تكلمه بالفعل.. كانت "فرحته" شديدة لدرجة اهتزاز "سماعة التليفون" في "يده".. ولَمَّا طال "صمته" بعض الشيء– على ما يبدو– قالت:

ـ (آلوو، ازَّيَّك يا سيّد إحْنَا بْخِير ومَافِيش أيّ حَاجَة وِحْشَة لاَ سمَح الله.. أنَا عِرِفْت انَّك اتَّصَلْت بعَبْدُه امْبَارِح.. كُنْت رَايْحَة عَنْدُهُم قَدَرًا ولَمَّا قالّي على الّلي حَصَل؛ نِزِلْت النَّهَارْدَة الصُّبْح جَرْي على السِّنْتِرَال عَشَان اكَلَّمَك).

ـ (يَعْنِي انْتِي اتَّصَلْتِي بِيَّا قبْل كِدَا؟).

ـ (أيْوَا بِمْكِن مِن أقَلّ من سَاعَة كِدَا اتَّصَلْت على نِمْرِة الدُّكْتُور عَدْنَان الّلي ادِّيتْهَالِي.. والّلي رَدّ عَلَيَّا الدُّكْتُور عبدالرحمن.. وبَعْدِيين لَمَّا قالّي الدُّكْتُور سيّد رَاح السِّنْتِرَال عَشَان يِتِّصِل بِيكُوا، جِيت على البِيت من السِّنْتِرَال جَرْي عَشَان انْتِظِر مُكَالْمِتَك).

ـ (يَعْنِي انْتِي لِسَّا وَاصْلَه من السِّنْتِرَال؟).

ـ (أيْوَا يَادُوب قبْل مَاجَرَسِ التِّلِيفُون يِرِنّ بْخَمَس دَقايِق).. قال لها بقصد إضفاء جو من "المرح":

ـ (المُهِمّ الحمْدِ الله علي سَلاَمْتِك.. انْتِي بِتْشُوفِي غَلاَوْتِك عَنْدِي قدّ إيه؟، وَلاّ محمّد هُوَّا الّلي عَمَل التَّمْثِيلِيَّة السَّخِيفَة دِي؟).

ـ (أَنَا من غِيرْ أَيّ حَاجَة عَارْفَة غَلاَوْتِي عَنْدَك دِي عِشْرِة خَمَسْتَاشَر سَنَة على الغَالِي؛ وكَمَان محمد بَرِيء من التُّهْمَة دِي، دَا كَان عَنْد عَمّتُه في الوَقت ده).

ـ (يَلَّا الحَمْدُ لله على كُلّ حَال، كُلُّه بْسَبَب الواد السَّافِل عَدِيم التَّرْبِيَّة)...

(21)

عندما اقترب ميعاد "العطلة الصيفية"، قال للدكتور "عدنان شحادة":

ـ (لو سمَحْت يا دكتور عدنان اسأل الدكتور "مالياكوف" عن أخبار "البحث").. ولَمَّا عاد من عنده، قال:

ـ (بِيْؤُلَّك فَاضِل حَاجَات بَسِيطَة).

ـ (حَاجَات بَسِيطَة؟!، دَا مَعَاه من أَوَّل السَّنَة!، دَا كُلّ مَانِسْأَل عَلِيه يِقول فَاضِل حَاجَات بَسِيطَة؛ هُوَّا بَحْث جَمَلِي وَلّا إيه؟).

ـ (تُؤْصُد إِيه بِالبَحْث الجَمَلِي؟).

ـ (أَقصُد تَشْبِيه تَأْخِير البَحْث بِلَحْم الجَمَل الّلِي بْيَاخُد سَاعَات يَامَا فِي تسْوِيته.. إِيه الوَقعَة السُّودَة دِي.. يَارِيتْنِي مَاكُنْت ادِّيتْهُولُه).

ـ (الّلِي حَصَل حَصَل.. أمْرَك لله، العَام القَادِم أوَّل مَاتِيجِي وعَلِيك خِير).

السنة الرابعة في التغريبة الجزاءرية

(1)

كانت "السنة الأخيرة" في "الجزائر" بالنسبة لـه مُفْعَمة ب"الشجون"؛ حتى أنه كان كلما مَرّ على أيّ مكان "يمَلِّي عينه منه" ليَثْبُت في ذاكرته بعد تَرْك "مستغانم"؛ ولهذا كان دائمًا ما تطوف بمخيّلِته مقولة أمه "الخالدة":

ـ (مِنْ عَاشِرِ القومْ أَرْبِعِينْ يُومْ بَقى مِنْهُمْ).. وكالعادة؛ بدأ برسم "مخطط العدّ التنازلي" للنصف الأوّل من "العام الدراسي 1988– 1989"...

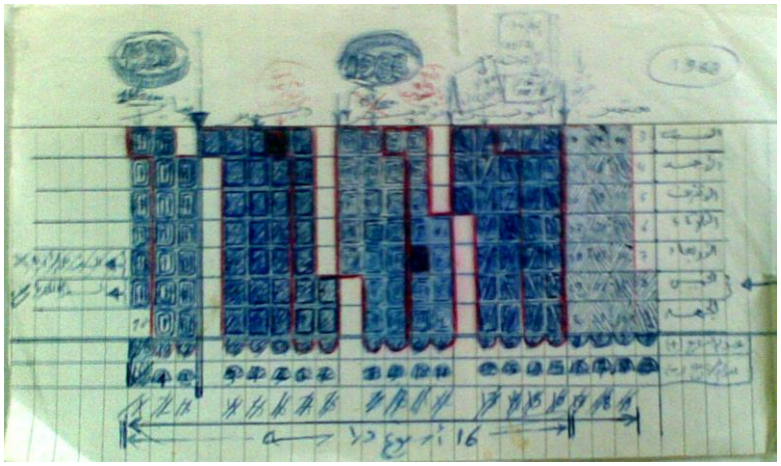

مخطط العد التنازلي للنصف الأول من العام الدراسي

1988 – 1989 "في آخر يوم"

(2)

في خِضَمّ الانخراط في "العمل"، أخذ "البحث" من الدكتور "مالياكوف" بعد أن أعاد كتابته بالإنجليزية"، ولأن لغته – "الإنجليزية"– كانت ركيكة جدًا فقد بذل – "العبد لله"– مجهودًا كبيرًا في فهم ما يريد إيصاله.. ولكنه – في النهاية– أعاد صياغته مستعينًا ب"المسودّة الركيكة". وقد أخذت منه هذه العملية "شهرًا".. وبعد ذلك استأجر "الآلة الكاتبة" من الأخ "المُحَضِّر" – يسمونها "الآلة الرَّاقِنَة"– وشرع في الكتابة.. وبعد انتهائه من الكتابة – على "الآلة الكاتبة"– "فَنَّشَ" "الرسومات" و"المنحنيات" الخاصة ب"البحث"...

(3)

بدأ مسلسل "الإضرابات" في "الجزائر" منذ سنة "1986" – أوَّل سنة وطئت فيها أقدامهم "ترابها"– وأن كانت بدايتها خجولة، وتصاعدت بعض الشيء في "العام الثاني" – "1987"– وازدادت حِدَّتها في "العام الثالث" – "1988"– إلى أن وصلت إلى أخطرها في بداية "العام الرابع".. وكان ذلك عندما حدثت "المظاهرات الشعبية" العارِمَة في "الخامس من أكتوبر 1988" والتي استمرَّت "أسبوعًا" كاملاً. أحرق "المتظاهرون" و"الشباب" الغاضبون عددًا من "المباني الحكومية" ومكاتب "حزب جبهة التحرير" الحاكم.. ودمَّرُوا عددا آخر من "مراكز الشرطة" و"الفنادق" و"الملاهي" في "العاصمة" ومدن أخرى مثل "وهران" و"مستغانم".. ولم تهدأ الأحوال إلَّا بعد أن تدخل "الجيش" وأخْمَد "المظاهرات".. وأسْفَرت المواجهات بين "الجيش" و"المتظاهرين" عن مقتل "59" شخصًا حسب "الإحصاءات الرسمية"...

(4)

كانوا في فترة "الاضطرابات" يجدون – في أغلب الأوقات– "المدرجات" خالية من "الطلبة".. ولَمَّا تكرر امتناع "الطلبة" عن الحضور؛ جاءتهم "التعليمات" – من "الإدارة"– بإعطاء "الدرس" لمن حضر ولو كان "طالبًا" واحدًا، وإذا لم يحضر أيّ "طالب" فعليهم الانتظار في "المدرج" – أو في "السِّكْشَنْ"– إلى حين موعد انتهاء "الحصة".. وكانوا – في بعض الأحيان– وهم قابعون في قاعات "المحاضرات" والخوف يملأ جوانحهم؛ يسمعون "طلقات الرصاص" آتية من شوارع "المدينة" من بعيد.. وفي أحد "أيَّام" تلك "الفترة العصيبة"؛ حدث أن كان وحيدًا في قاعة "الدراسة" ينتظر أيّ "طالبًا" يتفضل بالحضور، وإذا به يسمع "ضجيجًا" هائلاً و"هتافات" وأصوات تكسير "الزجاج" وأصوات متقطعة ل"طلقات الرصاص" آتية من ناحية "المكاتب الإدارية"؛ فأرعبه احتمال اجتياح "المتظاهرين" ل"قاعات الدراسة"، فحدَّث "نفسه":

ـ (يَا رَبّ اسْتُر مَايَخْدُونِيش فِي الرِّجْلِين.. يَارَب أَخْرِجْنَا من بَيْنِهِم سَالِمِين.. احْنَا مَالْنَاش فِي الطُّور وَلاَ فِي الطِّحِين).. وبعد أن هدأ الحال – قليلاً– تسلَّل بغية الخروج من "الجحيم"، ولكن من "البوابة الخلفية" ليتفادا الاحتكاك ب"المتظاهرين" عند "البوابة الرئيسية"...

(5)

أدرك الدكتور "عدنان قشلان" – الذي كان عائدًا أيضًا– على "سلم العمارة"، ولمَّا سأله عن رأيه فيما يجري من أحداث؛ توقف عن الصعود والتفت إلَيه قائلاً:

ـ (يا دُكْتُور سيّد الوَضْع جِدًا خَطِير.. يَبْدُو أَخْطَر مِمَّا نَتَصَوَّر).

ـ (ازَّاىْ؟).

ـ (هَادِي ثَوْرَة جِيَاع حَقِيقِيَّة يا دُكْتُور.. هَادِي ثَوْرِة خُبُز؛ فِي وَهْرَان اسْتَوْلُوا عَلَى شَاحِنَة مْحَمَّلَة بِالطَّحِين الّلِي بِيْوُّولُوا عَلِيه فَرِّينَا؛ ورَفَعُوا شْكَارِة فَرِّينَا فَارْغَة على هَيْئِة عَلَم تَعْبِيرًا عن انْتِصَارْهُم فِي مَوْقِعَة الاسْتِيلاَء على الشَّاحِنَة)...

(6)

عندما قابل صديقه "الأستاذ الجزائري"، قال له:

ـ (مَا رَأْيَك فِي الأَحْدَاث التِي تَجْرِي فِي طُول البَلاَد وعَرْضَهَا؟).

ـ (يَا صَدِيقِي إنَّهَا ثَوْرَة جِيَاع أدَّت إلَى ثَوْرَة شَعْبِيَّة غِير مَسْبُوقَة بِكُلّ مَا تَعْنِي الكَلِمَة.. بَعْدَمَا وَصَل اقْتِصَاد البَلَد إلى الحَضِيض، وهُوَ مَا شَكَّل ضَغْطًا على نِظَام الشَّاذْلِي الذي عَجَزَ عن إخْرَاج الجَزَائِر من عُنُق الزُّجَاجَة).

ـ (وهَل حَدَثَت هَذِه الثَّوْرَة الشَّعْبِيَّة غِير المَسْبُوقَة بِسَبَب الأَزْمَة الاقْتِصَادِيَّة فَقَط؟).

ـ (يا أخي الحالة التي وصلت لها البلاد هي نتيجة تراكمات متتالية من المظالم، والتي أوصلتنا إلى ما نحن فيه الآن.. الإضرابات أصبحت ظاهرة جزائرية؛ لقد كسر الجزائريون حاجز الخوف من السُّلْطَة).

ـ (هذا واضِح).

ـ (إي نعم.. لقد شهدت كل الولايات من دون استثناء احتجاجات خاصة في الجامعات.. هذه الأحداث التي هَزَّت العاصمة وحَيّ بَابِ الوَادْ بالخصوص وشارك فيها جامعيون وطلبة الثَّانَوِيَّات، وأفرزت لأول مرة إعلان حالة الطوارئ في العاصمة.. وانتقلت أحداث العنف إلى قرابة 70% من التُّرَاب الوطني).

ـ (وماذا عن ال30% الذين لم يشاركوا في الثورة الشعبية غير المسبوقة كما تُسَمِّيهَا؟).

ـ (هذه النسبة تمثل منطقة القبائل ومدن شرق البلاد التي بقيت بعيدة عن الأحداث لأنها عاشت ربيعها في عامي ثمانين وستة وثمانين.. وقد أدَّت هذه الثورة الشعبية إلى تحريك المياه الرَّاكِدَة؛ فقد وعد الشاذلي بن جديد بديموقراطية متعددة الأحزاب يتم الانتقال إليها تدريجيًا.. وقد وافق الشعب على هذه التغييرات التي اقترحها الرئيس في استفتاء الثالث من نوفمبر الجاري)...

(7)

في "الخامس عشر" من "نوفمبر" سنة "ألف وتسعمائة وثمانية وثمانون"، انعقد "المجلس الوطني الفلسطيني" في "الجزائر" بدعوة – كريمة– من الرئيس "الشاذلي بن جديد".. في هذه "الجلسة" – التاريخية– أعلن "ياسر عرفات" استقلال "دولة فلسطين"، وقيل أن الشاعر الفلسطيني "محمود درويش" هو من كتب "وثيقة إعلان الاستقلال" التي قرأها "ياسر عرفات" أمام "المجلس"...

(8)

عندما كان يتحدث مع الدكتور "عبدالرحمن" عن إنجازه للبحث المشترك مع الدكتور "مالياكوف"، قال له:

ـ (إيه دِه بَقالَك سَنَتِين في البِتَاع دِه؛ دَا مَاكَانْشِي اسْتِبِحْث).

ـ (انْتَ فَكَّرْتِنِي بالدُّكْتُور رِفَاعِي لَمَّا كَانَت رِسَالَة تْعَأْرَب مَعَ طَالِب كَان يِؤُلُّـه هُوَّا انْتَ بْتِعْمِل في رِسَالِة الغُفْرَان؟.. نِتْكَلَّم جَدِّ شْوَيَّة إِيه رَأْيَك أبْعَت البَحْث لِلمَجَلَّة الهِنْدِيَّة الِّلي قُلْتِلَك عَلِيهَا؟).

ـ (المَفْرُوض تِنَوَّع النَّشْر في المِجَلاَّت).

ـ (مَاهو أنَا نَشَرْت البَحْث التَّانِي في مَجَلّة كُلّيّة عُلُوم عِين شَمْس).

ـ (كُوَيّس، يِبْقى تْوَدّي بَحْث رِسَالِة الغُفْرَان دِه لِمْجَلَّة تَالْتَة، بَسّي يَارِيت تكُون تِقِيلَة ويَارِيت تكُون خَارِجِيَّة).

ـ (المَجَلَّة الخَارِجِيَّة حَتَاخُد وَقت على مَايْرُدُّوا عَلَيَّا وَانَا اتْأَخَّرْت زَيّ مَانْت عَارِف؛ أنَا حَابْعَتُه لِلمَجَلَّة العَرَبِيَّة لِلعُلُوم النَّوَوِيَّة وتَطْبِيقَاتْهَا أهِي تُعْتَبَر عَالَمِيَّة لأَنَّهَا داخْلَة في الكِيمِيكَال أبسْتْرَاكْت).

ـ (مَاشِي عَلَى بَرَكِة الله).

ـ (طَيّب بُكْرَة انْ شَاء الله أبْعَتُه على المَجَلَّة في البَرِيد).

ـ (على إِيه تِدَخَّل نَفْسَك في مَتَاهِة البَرِيد؟، فَاضِل شَهْر على أجَازِة نُصّ السَّنَة وتْسَلَّمُه لُهُم فِيس تُو فِيس أَفْضَل)...

(9)

كان أوّل ما عمله في "أجازة نصف السنة" هو الذهاب للتقدم ب"البحث" المشترك مع الدكتور "يوردان ماليـاكوف" إلي "المجلة المصرية للعلوم النووية وتطبيقاتها" لنشره...

(10)

بعد انتهاء "عطلة نصف العام" وعودتهم إلى "مستغانم"، وقبل أن تأخذه "الدَّوَّامَة" عمل "مخطط العدّ التنازلي" ل"النصف الثاني من العام الدراسي 1988 – 1989"...

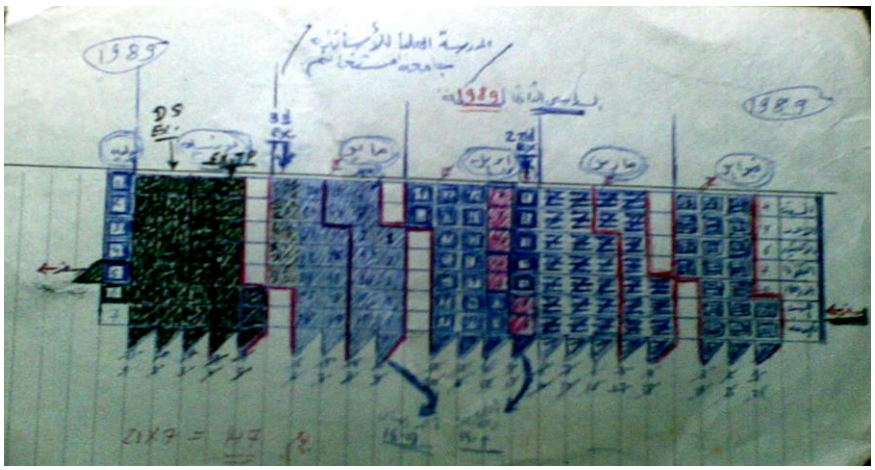

مخطط العد التنازلي للنصف الثاني من العام الدراسي

1988 – 1989 "في آخر يوم"

(11)

أوْفَي الرئيس "الشاذلي بن جديد" بوعوده للشعب بتطبيق "الديمقراطية" في "البلاد".. وقد تم التعبير عن هذه الوعود في "الدستور" الذي صدر بعد "الاستفتاء" عليه في "فبراير 1989".. وكانت "الشفافية "هي شعار "حملة الرئيس الدعائية" قبل "الاستفتاء"؛ حيث كانت "صوره" الضخمة – التي يظهر فيها واقفًا وبجواره كلمة "الشفافية"– تملأ شوارع وميادين "مستغانم"...

(12)

بينما كان يشرح أحد "الدروس" و"الطلبة" صامتون "وكأن على رؤوسهم الطير"؛ رفع أحدهم يده قائلاً:

ـ (الله يَا أُسْتَاذ، إنَّكَ تُشَقْشِق كَمَا العَصَافِير).. وبعدما جلس ذلك "الطالب"، صدرت أصوات عدد من زملائه:

ـ (صَح، صَح، صَح).. ولما هدأت "الجَلَبَة" التي بدأها "الطالب" المعجب ب"شقشقة الأستاذ" – يقصد ب"شرحه"– قال "طالب" آخر:

ـ (إِي نَعَم شَرْحَك مُمْتَاز يَا شِيخ ولَكِين بِالفِرَنْسِيَّة يْكُون أَبْهَى). صدمه "الطالب" المعترض على "التدريس" ب"العربية" ف"كظم غيظه"، وقال بهدوء:

ـ (هَل حِزْب فَرَنْسَا بَعْد أَكْثَر من تَلاَتَة وعِشْرِين سَنَة من الاسْتِقْلاَل مَازَال لَه وُجُود؟!.. يَا أَخ إحْنَا مَاجِينَاش الجَزَايِر إلاَّ من أَجْل التَّعْرِيب، وانْت جَاي تْقُولِّي لَوْ بِالفَرَنْسِيَّة يِبْقَى أَحْسَن، أنَا أَتَعَجَّب بَعْد كُلّ السِّنِين دِي ومَازَال حِزْب فَرَنْسَا يَبُثّ سُمُومُه؛ وفِيكُم سَمَّاعُون لَهُم؟!). قال "الطالب":

ـ (عَرْبِيَّة، عَرْبِيَّة، رَاهَا إذَا عُرِّبَت خُرِّبَت). هاج "الطلبة" – ضد "الطالب" الكاره ل"العربية"– وماجوا؛ فجلس في صمت...

(13)

عندما حَكَى للدكتور "عبدالرحمن" – في "السهرة"– عَمَّا جرى بينه وبين "الطلبة" بخصوص "اللغة العربية"؛ تغيرت ملامح وجهه وقال بلهجة قاسية:

ـ (إيهِ الّلي انْت هَبّتُه دِه؟.. لاَزِم تِعْرَف إنّ فِيه مُخْبِرِين في زِيّ طَلَبَة بِيحْصُوا عَلِيك أنْفَاسَك.. إنْت مِش عَايِز تزَوَّح وَلاَّ إيه؟).

ـ (أنَا مِش شَايِف انِّي غِلِطْت وَلاَ حَاجَة.. أنَا اتْكَلَّمْت في مَوْضُوع التَّعْرِيب الّلِي الحُكُومَة الجَزَائِرِيَّة جَايْبَانَا عَشَانُه).

ـ (يَعْنِي مِش قعَدْت تْهَاجِم بِتُوع حِزْب فَرَنْسَا؟.. بِتُوع حِزْب فَرَنْسَا يَا دُكْتُور الّلِي مَاسْكِين البَلَد، سِيبَك من الشّعَارَات الّلِي مَالْهَاش لَزْمة.. انْت مَاشُفْتِش المُدِيرِين وهُمَّا بْيُخْطُبُوا في حَفَلاَت افْتِتَاح العَام الدِّرَاسِي ويَادُوب كِلْمِتِين بِالعَرَبِي وِيْرُوح قالِب فَرَنْسَاوِي؟).

ـ (على رَأْيَك، دَا حَتَّى في الكِلْمِتِين العَرَبِي الّلِي بْيِبْدَأ بِيهُم؛ لَمَّا بْيِعْجَز في كِلْمَة بِيْمَيَّل على الّلِي قاعِد جَمْبُه عَشَان يِلْحَقُه).

ـ (طَيِّب لَمَّا انْت عَارِف كِدَا انْدَلَقت لِيه؟).

ـ (تَصْدِيقًا لِكَلاَمَك من نَاحْيَة سَيْطَرِة بِتُوع حِزْب فَرَنْسَا على مُقَدَّرَات البِلاَد وإنّ التَّعْرِيب مِش على هَوَاهُم؛ كُنْت رَاجِع من وَهْرَان من يُومِين ولَمَّا نِزِلْت من الحَافِلَة في مُسْتْغَانِم، نِزِل مَعَايَا طَالِب كَان عَنْدِي فِي أوّل سَنَة جِينَا فِيهَا مُسْتْغَانِم):

ـ (ادْخُل في المَوْضُوع، لاَزِم المُقَدِّمَة دِي يَعْنِي؟).
ـ (وِاحْنَا رَاجْعِين من المَحَطَّة جَرِّنَا الكَلاَم عن حِزْب فَرَنْسَا، وِازَّاي إنُّهُم مُتَحَكِّمِين في البَلَد يَعْنِي مَثَلًا لَوْ وَاحِد متقدِّم لِوَظِيفَة؛ مُسْتَحِيل يِقبَلُوه إلَّا إذَا كَان يُجِيد الفَرَنْسِيَّة؛ يَعْنِي قبْل مَايْبُصُّوا في شَهَادَاتُه يِطْلُبُوا مِنُّه كِتَابِة طَلَب تَقَدُّمُه لِلوَظِيفَة بِالفَرَنْسِيَّة).
ـ (يِعْرَفُوا عَرَبِي وَلاَّ فَرَنْسَاوِي، هُمَّا أَصْلاً هَايِطْلَعُوا مِيح عَشَان الإِضْرَابَات الّلِي شَلَّت البَلَد في السَّنَتِين الّلِي فَاتُوا على الأَقَلّ).
ـ (وِبِالذَّات السَّنَادِي يِمْكِن فَات عَلِيهُم نُصّ المُقَرَّر)...

(14)

أراد النزول إلى "مصر" ليتقدّم ب"أوراقه" – للمرة الثانية– إلى "اللجنة العلمية" للحصول على "درجة أستاذ مساعد"، منهم لله وحسبي الله ونعم الوكيل.. وخاصة أن معه "بحثين" منشورين، وإن شاء الله ستكون "الموافقة على النشر" ل"البحث" المقدَّم ل"المجلة العربية للعلوم النووية وتطبيقاتها" جاهزة؛ وبذلك سيتقدّم ب"ثلاثة بحوث" بدلاً من "بحث" واحد حسب "لوائحهم"...

(15)

ذهب بصحبة الدكتور "عبدالرحمن" إلى "مكتب سفريات" لحجز "تذكرة سفر" إلى "القاهرة" – ذهاب وعودة– على "شركة الطيران الجزائرية".. لم يذهب إلى مكتب فرع "شركة الطيران الجزائرية" ب"مستغانم" لأن "حباله طويلة"؛ أمَّا "مكتب السفريات" الخاص الذي قصده فأسرع ولأن كل شيء وله ثمن؛ فإن العمولة التي يتقاضاها كبيرة.. وعندما احتجزوا "البَاسْبُور" – بحجة إرساله مع ثمن "التذكرة" إلى "الجزائر العاصمة"– قال للدكتور "عبدالرحمن":
ـ (الوَاحِد حَاطِط إِيدُه على قلْبُه، وخَاصَّة مَافِيش وَرَقة تْقول إنّ البَاسْبُور عَنْدُهُم غِير الوَصْل بتَاع الفُلُوس).

ـ (رَبّنَا يُسْتُر.. كُلُّهُم يُومِين وَلَّا تَلاَتَة وتِيجِي التَّذْكَرَة وَادِي احْنَا حَانْمُرّ عَلِيهُم مَرّتِين فِي اليُوم)...

(16)

تقدم إلى رئيس "قسم العلوم الدقيقة" ب"طلب" يرجو فيه الموافقة على منحه "عطلة" استثنائية – قصيرة– لمدة "ثمانية أيام".. وبعدما قرأ – "رئيس القسم"– "الطلب"؛ تَفَرَّسَ في وجهه لحظات ثم قال:

ـ (عَلاَش العُطْلَة في هَادَاك الوَقْت؟).

ـ (ظَرْف طَارِئ.. أبْغِي السَّفَرْ إلَى مِصْر من أَجْل التَّقَدُّم إلى اللَّجْنَة العِلْمِيَّة لِلحُصُول على اللَّقَب العِلْمِي أستَاذ مُسَاعِد). وضع "يده" على "رأسه"، وصمت بُرْهَة ثم قال:

ـ (دِير بَالَك يَا شِيخ، العُطْلَة بِدُون رَاتِب).

ـ (مُوَافِق).

ـ (ولاَزِم تْحَوّس على أستَاذ زَمِيلَك يْحِلّ مَحَلَّك).

ـ (مُوَافِق). وقال في "نفسه" وهو يغادر "مكتب رئيس القسم":

ـ (الله غَالِب زَيّ مَابِيْقُولُوا).. وكان الدكتور "عدنان شحادة" – "الله يكرمه"– هو من وافق على أن يحلّ مَحَلّ "العبد لله" في فترة "العطلة"؛ وبناءً عليه صدر تصريح ب"عطلة" لمدة "ثمانية أيام" بداية من يوم "الثلاثاء السادس من إبريل" وتنتهي في "الثلاثاء الثالث عشر من إبريل"...

(17)

لَمَّا كان عَليه أن يصل إلى "المطار" قبل موعد إقلاع "الطائرة" ب"ساعتين" على الأقل؛ كان لابد أن يأخذ "حافلة" أوّل ميعاد التي تتحرك من "مستغانم" على الساعة "الخامسة فجراً".. وبما أن "محطة الحافلات" المتواجدة على "ساحل البحر" بعيدة عن حيّ "خمسة جويلية" المتواجد في جنوب "مستغانم"، وبما أنه لا توجد وسائل مواصلات عامة أو "تاكْسِيَّات" في هذا الوقت، فقد وقع في "حَيْصَ بَيْصْ"..

وبينما كان يفكر – مع الدكتور "عبدالرحمن"– في كيفية الخروج من هذا "المأزق"، دخل "غياث" بن الدكتور "عدنان قشلان" وأخته الصغيرة "ديما"، والذي قال قبل أن يجلس:

ـ (مَافِي مُشْكِلَة يَا دُكْتُور سيّد، بَابَا يْوَصْلَك بْسَيَّارِتْنَا الرِّينُو تِسْعَة المُعْتَبَرَة). وقالت "ديما":

ـ (إيوَا يَا دُكْتُور سِيَّاد، بَابَا يْوَصْلَك). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (يَا غِيَاث هُوَّا احْنَا نْطُول عَجَلَة مِنْهَا.. رَبِّنَا يْبَارِكْلُكُوا فِيهَا ويِكْفِيكُوا شَرّها). قال "العبد لله" موجهًا كلامه للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (بِالمُنَاسْبَة، فَاكِر لَمَّا كُنَّا مَاشْيِين أُدَّام وَرْشة لِحَام كَاوِتْش العَرَبِيَّات وكَان مَكْتُوب على اليَافْطَة إصلاح العجلات رُحْت انْتَ قايِل بِسُخْرِيَة، شُوف بِيْصَلَّحُوا العِجْلَات يعني جَمْع عِجْلَة؟). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (إنْتَ لِسَّا فَاكِر؟.. مَاهُو زَيّ الّلِي كَان كَاتِب على وَرْشِتُه، تَرْصِيص العِجْلَات).

ـ (وَلاَّ بْتَاع تَنْضِيف الهُدُوم بِالبُخَار الّلِي كَاتِب على دُكَّانُه التَّنْظِيف الوَهْمِي السَّرِيع، ولاَّ اليَافْطَة الّلِي مَكْتُوب عَلِيهَا، حِمَايِة الثَّرْوَة الغَابِيَّة رُحْت انْتَ قايِل، إيه دِه هُمَّا بْيِحْمُوا الثَّرْوَة الغَبِيَّة؟). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (يَا عَم خَلّينَا هِنَا.. مِش كُنْت تْقول لِبَابَا الأوَّل يَا غِيَاث؟). قال "غياث":

ـ (تِفْتِكِر بَابَا حَايْمَانِع؟). قال "العبد لله":

ـ (أَصْد الدُّكْتُور عبدالرّحمن عَشَان الوَقت بَدْرِي، وبْكِدَا حَانِقلِقُه). قال "غياث":

ـ (أَلاَ إيه يَا دُكْتُور سيّد.. ومن شَان لاطَمَّنْكُن حَطْلَع أَأُول لُه، هِيَّا الحَافِلَة حَاتِتْحَرَّك السَّاعَة كَام؟).

ـ (السَّاعَة خَمْسَة صَبَاحًا).. ذهب "غياث" ليأخذ رأي والده في فكرة توصيل "العبد لله" ب"السيارة" إلى "محطة الحافلات"، بينما ظَلَّت أخته قاعدة معهما.. وبعد قليل عاد "غياث" وقال:

ـ (بَابَا بِيْؤُلَّك أَيّ خِدْمَة يَا دُكْتُور سيّد.. حَانِتْحَرَّك من هُون السَّاعَة أَرْبَعَة ونُص).

قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (وَانَا حَاجِي مَعَاكُوا أَوَنِّس الدُّكْتُور عَدْنَان وهُوَّا رَاجِع). قال "غياث":

ـ (طَيِّب.. يَلاَّ يَا دِيمَا من شَان الدُّكْتُور سيّد يْنَام، الرَّاجِل على سَفَر يَا أُخْتِيييي!)...

محطة الحافلات بمستغانم

(18)

وصلت "الحافلة" إلى "محطة الحافلات" ب"الجزائر العاصمة" في حوالي "الثانية عشرة ظهرًا".. كان "سائق التاكسي" الذي أخذه من "محطة الحافلات" إلى "المطار" رجلا فَكِهًا و"ابن نُكتة" – كما يقولون في "مصر"– فقد تكلما في مواضيع شتَّى، يذكر منها تَنَدُّر "آمال فهمي" على "الجزائريين" بتسميتهم "البيض" "وِلْدِجَّاجْ" عندما كانت تذيع برنامجها – "على الناصية"– من "الجزائر العاصمة" بعد إعلان "الاستقلال".. وتكلما عن "الرجل" – أو "المرأة"– الذي يكون "لقبه" – أو "لقبها"– يحمل اسم "امرأة".. ويذكر أنه قال له– كما قال "بائع البيض" في "مستغانم"– بأن الذين يقولون "وِلْدِجَّاجْ" قليلون جدًا وفي بعض الأماكن "الريفية" البعيدة.. وأمَّا من يحمل "لقبه" اسم "امرأة فهو غالبًا ما يكون "لقيطًا", كما يطلقون على "اللقيط" أيضًا "فَرْخْ"!...

(19)

كان يسابق الزمن من أجل إحضار "الموافقة على النشر" ل"البحث" المشترك مع الدكتور "مالياكوف" من "المجلة العربية للعلوم النووية وتطبيقاتها"، وإعداد "المظاريف" – بالتشاور مع الدكتور "نَادِر"– للتقدم ل"لجنة الترقية" التي سَيَحِين موعد انعقادها بعد مغادرته "مصر" بعدة أيام.. وعندما كان في "الهيئة" – يسعى لإنجاز ما جاء من "الجزائر" من أجله– قابل الدكتور "سعيد عبدالوهاب" الذي بادره بالقول:

ـ (هِيَّا دِي رَابِع سَنَة لِك في الجَزَايِر؟).

ـ (تَمَام كِدَا).

ـ (أَنَا عرِفْت إِنَّك جَاي تِأَدِّم على أُسْتَاذ مَسَاعِد، صَح؟).

ـ (بَرْضُه صَح.. هُوَّا انْت بِتْفُوتَك حَاجَة).

ـ (أَخُوك بَقالُه تِسَع سِنِين بَرَّا، وقال إِيه بَافَكَّر اقدِّم على أُسْتَاذ مُسَاعِد).

ـ (وأَظُن إِنَّك عِرِفْت إِنُّهُم سَقَّطُونِي لَمَّا قدّمْت أوّل مَرَّة في سِتَّة وتَمَانِين).

ـ (دِي مَلْهَاش كِبِير.. مَاهُم سَقّطُوا الدُّكْتُور نَادِر في الأُسْتَاذِيَّة أوَّل مَرَّة؛ وخَلُّوه عَادْهَا تَانِي سَنَة).

ـ (وَادِينِي بَعِيدْهَا تَالِت سَنَة أهُوه يَابُو سِعْدَه.. يَعْنِي انْت مِش عَارِف لِيه سَقّطُونِي ولِيه سَقّطُوا الدُّكْتُور نَادِر؟!).

ـ (أمَّا لَوْ كُنْت أَخَدْت الدَّرَجَة كُنْت رْكِبْت على اكْتَافِي ورَمِيتْنِي وَرَا لِلْأَبَد).

ـ (آهُم سَقّطُونِي عَشَان تِسْتَرَيَّح).

ـ (بَسِّي بَرْضُه لَوْ كُنْت أَخَدْت الدَّرَجَة كُنْت انَا دِلْوَقتِي في البَايْ بَايْ).

ـ (طَيِّب آهُم سَقّطُونِي عَشَان تِسْتَرَيَّح، أَنَا كُنْت بَاحْسِب التِّسَع سِنِين الّلِي سِيبْت فِيهُم الهَيْئَة غَيَّرُوا مِن طَبْعَك.. دَا انْت فَظِيع!).

ـ (أَنَا بَاهَرَّج مَعَاك، انْت خَدْت الكَلَام جَدّ!)...

(20)

عندما كان خارجًا من "المسجد" – بعد "صلاة الظهر"– استوقفه الدكتور "سعيد عبدالوهاب" على "ناصية مبنى الهيئة"، وقال له بدون مقدمات:

ـ (انْتَ متْقدّم بِكَام بَحْث؟).

ـ (يِهِمَّك في إيه أَنَا مِتْقدّم بِبَحْث وَلَّا بْمِيَّة؟).

ـ (مُجَرَّد سُؤَال أَصْل انَا بَاعْمِل حَصْر لأبْحَاث الزُّمَلاَ في القِطَاع؛ عَشَان كِدَا أنَا عَايِز قَائِمَة أَبْحَاثَك).

ـ (بَعْدِيين.. بَعْدِيين)...

(21)

كان يتحدث مع الدكتور "نادر" في موضوع تجهيز "المظاريف" وكيف أن "المجلة" لم تعطيه الموافقة على نشر "البحث" لحد الآن؛ عندما جاء الدكتور "سعيد عبدالوهاب"؛ والذي قال قبل أن يجلس:

ـ (مَبْرُوك.. يَلَّا يَا عَم اللَّجْنَة هَتُعْقَد يُوم السَّبْت، وكُلّهَا شْوَيّة ايَّام وتِبْقى أُسْتَاذ مُسَاعِد قدّ الدُّنْيَا).

ـ (يَا عَمّ سَعِيد دَانَا مْسَافِر بُكْرَة ولِسَّا مَاجِبْتِش مُوَافْقة المِجَلَّة على نَشْر البَحْث). قال الدكتور "نادر":

ـ (سَافِر انْتَ بِالسَّلاَمَة وسَعِيد حَايْجِيب لَك المُوَافْقة ونْحُطَّهَا في مَكَانْهَا). ولَمَّا التَفَت – "العبد لله"– إلى الدكتور "سعيد"، رآه مُطَأْطِئًا "رأسه" يفْرُك "يديه".. وبعد لحظات اعْتَدل وقال بصوت خفيض:

ـ (احْنَا فِي إيه وَلاَّ في إيه، دَا الدِّنْيَا الِّلي مِتْغَطِّي بِيهَا عِرْيَان؛ شُوفُوا الدُّكْتُورْ عَلاَءِ الرَّاوِي اتْخَطَف مِنِّنَا ازَّاي). قال "العبدلله":

ـ (هُوَّا إيه الِّلي جَرَى.. يَا سَاتِر يَا رَب؟!!). قال الدكتور "نادر":

ـ (انْتَ مَادْرِتْشِي؟؛ الدُّكْتُورْ عَلاَء الرَّاوِي تَوَفَّى إلى رَحْمَة الله من كَذَا يُوم).

ـ (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.. اللهم ارْحَمُه رَحْمَة وَاسِعَة.. اللهم أدْخِلُه فسِيحَ جَنَّاتِك).

قال الدكتور "سعيد":

ـ (مَاشِي سِيبُوا مَوضُوعِ المُوَافْقة عَلَى النَّشْرِ دَه عَلَيَّا.. دَاحْنَا نِخْدِم الدُّكْتُور سيّد بِعْنِينَا). قال "العبد لله" في "نفسه":

ـ (الدُّكْتُور نَادِر حَطِّنِي في مَوْقِف مِش عَارِف اخْرُج مِنُّه ازَّاي، دَا انَا كُنْت نَاوِي أَقوول لِلأُسْتَاذ محمّد الأَنْوَر هُوَّا الّلِي يْجِيب المُوَافْقة على النَّشْر مِن المِجَلَّة، ولَكِن مَا بِاليَدّ حِيلَة؛ سَبَق السَّيْف العَزْل).. وتدارُكًا للموقف أوْصَى "الزوجة" بأن تُرسِل "الأولاد" إلى الأستاذ "محمد الأنور" كي يرجواه أن يتابع الدكتور "سعيد عبدالوهاب" أوَّل بأوَّل...

(22)

كان يوم العودة إلى "الجزائر" يوافق "الخامس" من "رمضان"، وكان مع "العبد لله" على نفس "الرحلة" مجموعة من "مدرسي الثانوي" وقد سمعهم يتكلمون عن إمكانية "الإفطار" لأنهم "على سفر"؛ فكان منهم من وافق على استعمال هذه "الرخصة" ومنهم من أَصَّر على مواصلة "الصيام".. وكان هو من "الفريق" الذي استعمل "رخصة الإفطار"، لا يدري لماذا ضَعُفَت "عزيمته" ولكن هذا ما حدث...

(23)

خرجوا من "المطار"؛ وأخذوا إحدى "الحافلات" المخصصة لنقل "الركاب" من "المطار" إلى "وسط المدينة".. وعندما نزلوا في "وسط المدينة"؛ ساروا – في شارع "العربي بن مِهِيدِي"– للذهاب إلى "محطة الحافلات الجِهَوِيَّة".. كان "العبد لله" يمشي في شارع "العربي بن مِهِيدِي" واضعًا "يَدَا حقيبته" – "الهاند باج"– في "كتفه" بينما يسْرِع الخُطَى – حتى لا يفارقه زملاء "الرحلة"– وعندما بدَأ يشعر ب"التعب"، قال في "نفسه":

ـ (الله يِكُون في عُون الّلِي صَايْمِين)...

(24)

بعدما تركوا مدينة "البليدة"، تَوَقَّفَت "الحافلة" في "محطة" صغيرة؛ للاستراحة وليتناول "الصائمون" إفطارهم في مطعم صغير بالمكان.. توَزَّع "الرُّكَّاب" على "الطاولات" التي كانت "الوجبات" موضوعة فوقها مسبقًا.. وكانت "الوجبات" – المُوَحَّدُة– عبارة عن "خضار باللحم" مع "الخبز" و"السلاطة".. وكان الحِلْو "بطيخًا".. وكان ثمن "الوجبة" "أربعين دينارًا".. كان "العبد لله" يشعر أنه كالذي "عَامِلْ عَمْلَة" وهو بين "الصائمين" وهم ينتظرون "الآذان" وقد بانت على "وجوههم" آثار "العطش"؛ ولكنه قال في "نفسه":

ـ (انْتَ لِيه بِتْأَنَّب نَفْسَك؟ دَا سَيِّدْنَا مُحَمَّد عَلَيْه الصَّلاَةُ والسَّلاَم قَال، أَنَّ الله يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُه)...

(25)

عندما نادَى "الكمساري" على من يريد النزول في "مستغانم"؛ كان "العبد لله" – الوحيد– على "باب الحافلة" الأمامي في لحظات.. وكانت "الساعة" قد تجاوزت "الحادية عشر ليلاً".. وكانت "المحطة" التي نزل فيها على أطراف "مستغانم"؛ فاضطرّ أن يمشي ما يزيد على "الكيلومترين" وحيدًا حيث لا يوجد "صَرِّيخ بن يومين"، وقال – ساعتها– في "نفسه":

ـ (يَا رَب اسْتُرْهَا معَايَا وابْعِد عَنِّي أَوْلاَد الحَرَام)...

(26)

وصَل إلى "العمارة" بسلام – والحمد لله– وكان "الناس نيام".. ورغم أنه كان يصعد درجات "السلم" بصعوبة – من شدة التعب– إلَّا أنه كان مُتَلَهِّفًا إلى الوصول إلى "شقته".. تنَفَّسَ "الصُّعَدَاء" عندما وصَل إلى باب "الشقة".. وضع "يده" في "جيب السُّتْرَة" ليُخْرِج "المفتاح"، ولَمَّا لم يعثر عليه وضع "الحقيبة" على "الأرض" وانتقل إلى "الجيب" الثاني الذي لم يكن "المفتاح" موجودًا فيه أيضًا.. بحث في "جيوب السُّتْرَة"

الداخلية، ولم يجده.. رفع "الحقيبة" من "الأرض" وفتَّش في "جيوبها"، ولم يجد "المفتاح" أيضًا.. وتأكّد من "الحقيقة المُرَّة"؛ لقد نسي "المفتاح" هناك في "مصر".. ترك "الحقيبة" أمام "الباب" ونزل ليستنجد ب"الزُّمَلاَء".. وكان أوَّل "باب" طرقه هو "باب شقة" الدكتور "عدنان قشلان".. ولَمَّا خرج "غياث" يفْرُك "عينيه"، قال له قبل أن يستفسر عن سبب طرقه ل"بابهم":

ـ (أنَا لِسَّا وَاصِل دِلْوَقتِي، واكْتَشَفْت إنِّي نْسِيت مُفْتَاح الشَّقّة في مَصْر). قال "غياث":

ـ (حَاضِر يَا دُكْتُور سيّد حَانْدَه لِبَابَا). وكان الدكتور "عدنان شحادة" قد خرج من "شقته"، وقال:

ـ (يَا سَتَّار.. شُو الّلِي حَصَل يَا دُكْتُور سيّد؟.. الحَمْدِ الله علي السَّلاَمَة الأوَّل).

ـ (الله يْسَلَّمَك.. أنَا لِسَّا وَاصِل دِلْوَقتِي واكْتَشَفْت إنِّي نْسِيت المُفْتَاح.. أوِّل مَرَّة تِحْصَل). قال الدكتور "عدنان قشلان":

ـ (بَسِيطَة يَا دُكْتُور سيّد مَا فِي دَاعِي لِلإنْزِعَاج.. انْزِل يَا غِيَاث هَاتِ السِّلِّم الخَشَب مِن عَنْد النَّاس الجَزَائِرِيّين الّلِي في الدُّور الأَرْضِي).. نزل "غياث" رَكْضًا.. وقال الدكتور "عدنان قشلان" للدكتور "عدنان شحادة":

ـ (هَانِطْلَع على السِّلِّم مِن شَئِّتْنَا إلى شَئِّة الدُّكْتُور سيّد.. السُّور الّلِي على الرَّحْبَة الّلِي أُدَّام شَئِّتُه مَايْزِيدْشِي عَنْ مِتْر ونُص).. وجاء "غياث" والدكتور "عبدالرحمن" يحملان "السّلّم".. وصعدوا جميعًا إلى "الشقة".. ولَمَّا فوجئوا ب"الباب" المُفْضِي إلى "الرَّحْبَة" – "الرُّووفْ"– مُغْلَقًا؛ ما كان من الدكتور "عدنان شحادة" إلاَّ أن جَذَبَ "دَرْفَتَي الشيش" و ب"قبضة يده اليمنى" ضرب "الباب الزجاجي" وصنع فيه فتحة مدَّ "يده" من خلالها وفتح "التراس" وسط ذهول الجميع.. أما "العبد لله" فقال له بلهفة:

ـ (إيدَك يَا دُكْتُور). نظر الدكتور "عدنان شحادة" إلى "يده" – التي كان بها نقاط متفرقة من "الدم"– وقال:

ـ (بَسِيطَة.. جِدًا بَسِيطَة).. وكانوا قد اتجهوا نحو "باب الشقة" الذي فتحه الدكتور "عدنان قشلان" من الداخل قائِلاً:

ـ (الأَقْفَال الفِرِنْسِي هَادِي مُمْتَازَة، مِن الدَّاخِل لاَ تَحْتَاج لِلْمِفْتَاح، مِن اليَدّ هَادِي يْصِير كَأَنُّه تِرْبَاس). قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (دِي مَارْكَة اسْمَهَا فَاشِيه.. السَّيِّد الصُّبْح يْرُوح بِشْتِرِي وَاحِد جِدِيد وِيقلَع دِه).. شكرهم "العبد لله" شكرًا جزيلًا وظل واقفًا أمام "الباب" حتى غابوا عن "أنظاره".. وأخذ "حقيبته" ودخل.. وأغلق "بابه" وارْتَمَى على "السرير" من شدة التعب...

(27)

في "الصباح"، ترك "باب الشقة" مُوَارِبًا ونزل إلى "شقة" الدكتور "عبدالرحمن" ورجاه الجلوس في "الشقة" حتى يشتري "كالونًا" جديدًا.. وبعدما اشترى "كالونًا" – ماركة "فَاشِيه"– رَكَّبَه الدكتور "عبدالرحمن" معه.. ولمَّا اطمأن على تركيب "الكَالُون" الجديد، شكر الدكتور "عبدالرحمن"؛ واتَّجه – على الفَوْر– إلى "الباب" المُفْضِي إلى "الرَّحْبَة"؛ وخلع "دَرْفَة الباب الزجاجي" المكسورة؛ وسَكَّر "باب شقته" وذهب ليغيِّر "اللوح" المَكْسُور...

(28)

عندما كان ذاهبًا إلى "المركز الجامعي" – في "الفترة المسائية"– وجد في "صندوق الخطابات" الخاص بالدكتور "عدنان قشلان" خطابًا مرسل إلَيه من "الأولاد".. ولمَّا دخل "قاعة الدرس" وجدها شبه خالية، فقال في "نفسه":

ـ (أفتح الجواب وأَلْقِي عليه نظرة سريعة على مَايِحْضر باقي الطلبة).. ولمَّا فضَّ "الخطاب" وجد بين طياته "صورة" تجمع "الزوجة" و"هالة" و"نهلة" و"محمود"؛ فأخذ ينظر فيها مَلِيًا بعد أن أجَّجَتْ في "جوانحه" مشاعر الشوق إليهم.. وعندما همَّ أن يطوي "الخطاب" وبداخله "الصورة"؛ قالت "طالبة" تجلس – مع زميلة لها– أمام "مكتبه" مباشرة:

ـ (مُمْكِن نْشُوف يَا شِيخ؟).

ـ (اتْفَضَّلِي).. وبعدما نظرت – هي وزميلتها– في "الصورة" بتمَعُّن؛ أعادتها وأشارت إلى "صورة" "هالة" وقالت:

ـ (هَادِي شَاااابَّة).

ـ (تُقْصُدِي إِيه بْشَابَّة؟).

ـ (أَقْصُدْ هاَدِي جَمِيلَة يَا شِيخ.. رَانَا بِنْجُول على الجَمِيلَة شَابَّة)...

(29)

أبلغته زوجته أن "سعيد عبدالوهاب" قد "عملها"؛ فقد تباطأ في إحضار موافقة "المجلة" على نشر "البحث" لكي يخلو له الجو في التقدم إلى "اللجنة العلمية" قبله؛ ليسبقه في "الأقدمية" ولو ب"شهر".. وبعدما اطمأن على تفويته فرصة تقدم "العبد لله" ل"اللجنة" التي تقدم لها ب"أوراقه"، جاء ب"الموافقة على النشر" وأعطاها للأستاذ "محمد الأنور" الذي سلَّمها لأخوه في "محلّه"؛ ومن ثم وصَّلَهَا أخوه ل"الزوجة"...

(30)

كان دائم الاتصال ب"الزوجة" حتى يمر موضوع تقديم "المظاريف" إلى "اللجنة العلمية" بسلام.. وقد قال لها – في "خطابه"– بعدما أبلغته بوصول "الموافقة على النشر":

ـ (كان لي بعض الطلبات بالنسبة للمظاريف، وان عرفت اتصل بيكي حَاقُول هذه الطلبات في التليفون؛ ولكن إذا لم أستطع آديني باكتبهم احتياطيًا وهي:

1– يُكتب على المظاريف الأرقام 1، 2، 3، 4. والرقم 1 يكتب على المظروف بتاع المقرر يعني الّلِي فيه الأوراق الأصلية والّلِي فيه صورة الاختراع.. ويكتب على كل مظروف: "المنشورات العلمية للدكتور السيد ماضي حسين للتقدم للحصول على اللَّقب العلمي أستاذ مساعد"، وطبعًا طلب التقديم الّلِي في مظروف المقرر تِعَرَّفِي الأستاذ محمد الأنور عليه عشان يِعَرَّف سكرتيرة المقرِّر عليه.

2– بالنسبة للنسخة بتاعة الاختراع الّلِي في المظروف بتاع المقرر، نسيت أصَوَّر الشكلين الّلِي في الآخر اللي هُمَّا عبارة عن مربعات لا يوجد عليها كتابة بل أرقام والكتابة هي فقط تحت شكل رقم 1، وشكل رقم 2. الصورتين دُول موجودتين في الدوسيه بتاع أوراق الاختراع الّلِي في الشنطة الحمرا على الوش. وبعدما تصوريهم نسخة لكل شكل ترفقي الشكلين مع الاختراع.

3– بالنسبة للموافقة على النشر، أرجو أن تكوني قد وضعتي الأصلية في مظروف رقم واحد بتاع المقرِّر ووزعتي تلات صور على المظاريف التلاتة وخلِّيتي عندنا صورة، وحسبي الله ونعم الوكيل في البني آدم الّلِي اسمه سعيد)...

(31)

وصله خطاب من "زوجته" تخبره فيه عَمَّا تمّ حتى وصلت "المظاريف" إلى "اللجنة العلمية".. وكانت البداية عندما جاء الأستاذ "محمد الأنور" إلى أخيه في "المحل" وطلب منه أن يُبَلِّغ "الأولاد" بإحضار "المظاريف" عنده في "المحل" ليأخذها

منه غدًا صباحًا حيث ستنعقد "اللجنة".. وعندما وصل الأستاذ "محمد الأنور" إلى "الهيئة" وكان في طريقه إلى مكتب "سكرتيرة المقرر" قابله زميل جديد يسمى "جوزيف"، وقال له:

ـ (الدُّكْتُور نَادِر قالِ لي امْبَارِح آخِر النَّهَار وِاحْنَا مْرَوَّحِين، يَا جُوزِيف خُد المَظَارِيف مِن محمّد الأنْوَر بُكْرَة الصُّبْح وهَاتْهُم وتَعَلاَلِي في مَكْتَب رَئِيس قِسْم الجِيُولُوجْيَا في عُلُوم القَاهِرَة قبْل احْدَاشَر، الَّلجْنَة هَتَنْعَقِد هِنَاك عَشَان تَوْزِيع المَظَارِيف على المُمْتَحِنِين، عَشَان كِدَا أنَا مْجَهِّز تَصْرِيح الخُرُوج أهُه، يَارَبّ الْحَق أوْصَل قبْل السَّاعَة احْدَاشَر)...

(32)

كان عائدًا من "الخارج" تَوًا عندما جاءه "غياث" وقال له:

ـ (تَعَالَى بْسُرْعَة يَا دُكْتُور فِيه إِلَك مُكَالْمَة مِن مَصِر).. وبمجرد وصوله إلى شقة الدكتور "عدنان قشلان"- بعدما أفسح "غياث" له "الطريق"- اتّجه مباشرة إلى "التليفون" الموجود فوق "طاولة" صغيرة في "المدخل" ووضع "السماعة" – التي كانت موضوعة بجوار "العدة" كي لا ينقطع "الخط"- على أذنه وقال:

ـ (آلُو).. ردَّت "الزوجة" على "الطرف الآخر":

ـ (ازَّيَّك يا سيّد وِازَّاي صِحّتَك.. أَلْف مَبْرُوك على الأستاذ مُسَاعِد).

ـ (الله يِبَارِك فِيكِي.. أَلْف حَمْد وشكر لَك يا رب، عرِفْتِي إِمْتَى؟).

ـ (الأستاذ محمّد الأَنْوَر حَوَّد النَّهَارْدَة على عبدُه في المَحَلّ وبَشَّرُه بالنَّتِيجَة، ولمَّا عبدُه اتَّصَل بِيَّا رُحْت جَرْي على السِّنْتِرَال عَشَان افَرَّحَك.. أَلْف أَلْف مَبْرُوك يا ابُو محمّد).

ـ (الله يِبَارِك فِيكِي.. لَمَّا ارُوح الشَّقّة هَاسْجُد سَجْدِتِين شُكْر لله، لُولاَ الإِحْرَاج كُنْت سَجَدْت هِنا).. وبمُجَرّد ما وضع "سماعة التليفون"، سمع أصوات الدكتور "عدنان" و"زوجته" و"أولاده" تترد متلاحِقة:

ـ (مَبْرُوك يا دكْتُور سيّد، مَبْرُوك يا دُكْتُور، مَبْرُوك...).. وابتهاجًا بالحصول على "الدرجة" عَزَم الدكتور "عدنان قشلان" و"أولاده"، والدكتور "عبدالرحمن"، والدكتور "عدنان شحادة" على "أَيِس كِرِيم" والذي يسمونه – في "سوريا"– "بوظة"...

(33)

ذهب إلى "المركز الجامعي" – "المدرسة العليا للأساتذة"– واستلم "صورة" من "قرار إنهاء العقد"– الصادر في "العشرين من يونيو"– بعد وصوله من الوزارة، ولَمَّا اطَّلَع عليه وجد أنهم مازالوا مصرين على إسقاط اسمه الأوَّل – "السّيِّد"– رغم أنه قد نبَّه الموظف الذي قابلهم في أوّل مرة – في "وزارة التعليم العالي"– أن هذا اسمه فعلاً.. وبعد عدة "أيام"؛ صدر "تصريح العُطلة النهائي"، وكانت عبارة "ذهاب نهائي" المكتوبة في الآخر قبل توقيع "المسئول" تشير بصورة لا لبس فيها أن هذا آخر "تصريح عُطلة" يُنْهِي مشوار "السنوات الأربع" التي مرَّت عليه – "بِحُلْوها ومُرِّها"– في "مستغانم"...

(34)

كان ل"الأزمة الاقتصادية" الناتجة عن "الاضطرابات" التي عاشتها "الجزائر" دورًا رئيسيًا في "الاستغناء" عن خدمات "الأساتذة العرب"، أو "مدرسي البلدان العربية" كما هو مُدَوَّن في "العقد".. وقد مرَّرُوا قرار "الاستغناء" الجماعي ب"صَنْعَة لَطَافَة"؛ بأن قالوا لمن يريد البقاء:

ـ (ستَأْخُذ الرَّاتِب كُلُّه بِالدِّينَار الجَزَائِرِي).. وبِمَا أنه من ضمن "المغادرين" فلم يهتم بهذا الأمر، ولكنه كان يرْثِي لحال بعض "الزملاء" الذين كانوا مضطرين ل"البقاء" وأغلبهم من "العراقيين" الفارّين من بطش "صدام حسين"، ومن "السوريون" التابعين ل"صلاح جديد" الفارّين من بطش "حافظ الأسد" الذي انقلب عليه.. وكان من الذين رضوا ب"القعود" – من أتباع "صلاح جديد"– مع أنهم اشترطوا عليه دفع راتبه ب"العملة الجزائرية"؛ "الأستاذ" الطويل الذي يظهر في وسط "الصورة" – لا يذكر

اسمه– والذي يقف "غياث" ابن الدكتور "عدنان قشلان" أمامه.. وأمَّا "العبد لله" فهو الثالث من اليمين...

قرار إنهاء العقد تصريح العطلة النهائي

(35)

باقتراب موعد مغادرة "مستغانم"؛ كانوا يسابقون الزمن في إنهاء الإجراءات المتعلقة بذلك.. وكان أهم ما يؤرّقه هو كيفية التَّخَلُّص من "أثاث الشقة".. وبينما كان يفكر في الموضوع، جاءه "غياث" وقال وقد "تهَلَّلت أساريره":

ـ (مِش كُنْت بِتْدَوَّر على زَلَمِة يِشْتْرِي الأَغْرَاض تَبَعَك؟).

ـ (أَيْوَا يا غِيَاث يَارِيت).

ـ (أَبْشِر يَا دُكْتُور؛ المُدَرِّس الّلِي اشْتَرَى أَغْرَاضْنَا، آلْ إِلْنَا مَاتِعْرَفُوش حَدّ يْكُون بَدُّو يْبِيع أَثَاثُه مِن شَان زَمِيلِي، رَاح بابا أِيلُّله عَلِيك).

ـ (طيب والدكتور عبدالرحمن).

ـ (الدُّكْتُور عبدالرَّحْمَن بَاع أَغْرَاضُه للنَّاس الجَزَائِرِيّين الّلِي أَبَالُه).

ـ (أف شُكْر يَا غِيَاث.. لَوْ سَمَحْت أُوول لِلْمُدَرِّس الّلِي اشْتَرَى أَثَاثْكُوا يِبْعَت زِمِيلُه).. وكان "المدرس" الذي ابْتَاع "أثاث الشقة" مُغْتَرِبًا من "أرْيَاف مستغانم"؛ فتعاطف معه "العبد لله" وأخذ منه "ألف وخمسمائة دينار"– فقط– ثمنًا لكل ما كان موجودًا في "الشقة"...

(36)

بينما كان ذاهبًا مع الدكتور "عبدالرحمن" – في عشية يوم "المغادرة النهائية"– إلى "المدرسة العليا" لتسليم "شقتيهما" وأخْذ مبلغ "التأمين" الذي أخذوه مِنهما في البداية، قال الدكتور "عبدالرحمن":

ـ (خَلّيك شِدِيد مع الرَّاجِل الّلي حَايْشُوف الشَّقّة أَحْسَن دُوول بِيِتْلَكّكُوا، حَتَّى لَوْ على مُسْمَار نَاقص عَشَان يَاكْلُوا عَلِينا التَّأْمِين).

ـ (الحَمْدُ لله مَاعَنْدِيش حاجة نَاقصَة يَعْنِي مِش حَايِقدَر يِتْلَكَّك.. احْنَا عَايْزِين فُلُوسْنا).

ـ (رَغْم إنّ الغُرْبَة وِحْشَة؛ بسّي الوَاحِد حَسّ بْأُلْفَة مع نَاس البَلَد دِي).

ـ (عَنْدَك حَق.. المَرْحُومَة أُمّي كَانَت بِتْقول الّلي يْعَاشِر القومْ أَرْبِعِين يُوم يِبْقى مِنْهُم، واحْنا عَاشِرْنَاهُم أَرْبَع سِنِين).

ـ (أيْوَا الله النَّاس دُوول برَكَة.. المَفْرُوض نرَكَّز في المَعَالِم المُهِمَّة عَشَان تِلْزَق في الذَّاكِرَة).. وعندما كانا يسيران بمحاذاة صف طويل من أشجار "الصنوبر" الضخمة؛ قال – "العبد لله"– للدكتور "عبدالرحمن":

ـ (بُصّ شَجَر الصُّنُوبَر الأَدِيم ده الّلي عُمْرُه مِئَات السّنِين والّلي بِنْمُرّ عَلِيه يَوْمِيًا ومَابْيِلْفِتْشِي نَظَرْنَا، يَلاَّ نْبُصّلُه بتَمَعُّن عَشَان نِفْضَل فَاكْرِينُه).

ـ (وَلاَّ صَفّ شَجَر الزَّتُون الّلي بَادِئ من أَوَّل الشَّارِع لِغَايِة جُوَّا المَدْرَسَة العُلْيَا).

ـ (والزَّتُون بِتَاعُه لَمَّا بْيِسْتِوِي بِيِتْرِمِي على الأَرْض الزَّتُونَايَة سُودَا وقدِّ كِدَا ومَاحَدِّش بِيِسْأَل عَنُّه).

ـ (شُوف ضَخْم قدّ إيه؟، دَا يِمْكِن مَزْرُوع من قبْل الفَرَنْسَاوِيِّين مَايِحْتَلُّوا الجَزَايِر).

ـ (سِيبَك من الشَّجَر والحَجَر؛ المُهِمّ إِحْنَا البَشَر.. إِوْعِدْنِي يا دُكْتُور عبدالرحمن إنّ الصَّدَاقَة والوِد يِسْتَمِرُّوا بِينَّا على طُوول).

ـ (طَبَعًا طَبَعًا.. إن شَاء الله)...

(37)

صرفوا له وللدكتور "عبدالرحمن" مبلغي "التأمين"؛ رغم أنه من المفروض أن يتمِّمُوا على "الشقتين" قبل الصرف؛ ولكنهم "وثقوا فيهما".. وجاء معهما "الموظف" ليتمم على "الشقتين"؛ وليأخذ "مفتاحيهما".. ولمَّا وصَلُوا إلى "شقة" الدكتور "عبدالرحمن"، قال "العبد لله":

ـ (لَمَّا الأسْتَاذ يِخَلَّص عَنْدَك تَعَالُوا أنَا مِنْتِظِرْكُوا في الشَّقّة).. وكان السبب في صعوده إلى "شقته" مباشرة وعدم دخوله معهما إلى "شقة" الدكتور "عبدالرحمن"؛ هو أنه أراد أن يعمل ل"الموظف" الواجب؛ والذي فكَّر أن يكون "كركديه" وهو مشروب غير معروف عندهم – على ما يعتقد– فيفتكره به؛ ولكنه تذكر – بعدما ارْتَقَى عدة "درجات" من "السلم"– أن "الشقة" قد صارت "على البلاطة"؛ فقرر أن يهديه كيس "الكركديه" كُلُّه...

(38)

اضطرّ أن يظل ب"الشقة" حتى يحين موعد "المغادرة" – بلا رجعة– بعد أن أخذ "الموظف" "مفتاحها".. وكان على أتَمّ استعداد انتظارًا لنداء الدكتور "عبدالرحمن" للنزول إلى "السيارة" – "البيجو السَّبْعَة راكب"– المتَّفَق على مجيئها على الساعة "السابعة مساءً".. سمع طرقات متلاحقة على "الباب" ثم تبعها صوت "غياث":

ـ (يَلاَّ يَا دُكْتُور سيّد السِّيَّارَة وَصَلِت).. فتح "الباب"، وقال له:

ـ (أنَا جَاهِز من بَدْرِي ومِسْتَنِّي الإِشَارَة.. هُوَّا انْتُوا حَاتْسَافْرُوا إِمْتَى؟). قال "غياث":

ـ (طَيَّارِتْنَا مَعَادْهَا بُكْرَة؛ يَعْنِي غَدْوَة زَيّ مَابِيْوُّلُوا بْتُوع مُسْتَغَانِم). قال "العبد لله" بتأثُّر:

ـ (حَاتِوْحَشُونا يا غِيَاث.. انْتُوا نَاس أنْعِم وأكْرِم بِيكُوا.. يَارِيت نِفْضَل على تَوَاصُل على طُوول). قال "غياث" والدموع تَلْمَع في "عينيه":

ـ (انْ شاء الله يا دُكْتُور).. أعطى الحقيبة "الهاند باج" ل"غياث" وجَرّ "الحقيبة الكبيرة"، وقال وهو يجذب "الباب" خَلْفهما:

ـ (الوَدَاع إلى الأَبَد).. وكان ساكنا "الشقة" التى أمام "شقته" – التي كان يسكنها الدكتور "رياض قلادة" والدكتور "سامي خلة"– وهما "أستاذان" في "المدرسة العليا للأساتذة" – جزائري و"زوجته" الفرنسية– قد خرجا لوداع "العبد لله" بعد سماعهما صوت "غياث"، فقد قال "الزوج":

ـ (مَعَ سْلاَمَة يَا أُسْتَاذ).

ـ (الله يْسَلَّمَك). وأقبل عليه مصافحًا، ثم لَوَّحَ ل"امرأته".. ونزل يجُرّ "حقيبته الكبيرة" خلف "غياث" الذي سبقه بالحقيبة "الهاند باج".. وكان الدكتور "عدنان قشلان" و"زوجته" وابنتهما "ديما" واقفون أمام "باب شقتهم" لوداعه حيث أن الابن الكبير "مازن" في "سوريا" يتابع دراسته ب"كلية الهندسة".. وكان الدكتور "عدنان شحادة" واقفًا أيضًا أمام "شقته" المقابلة.. كان "الوداع" مؤثرًا جدًا؛ ولكن ما خفف عنه – بعض الشيء– تعاهدهم على دوام الصداقة بالتواصل الدائم.. وعندما نزل يجرجر "حقيبته الكبيرة" – التي كانت ثقيلة بشكل غير عادي– قال الدكتور "عبدالرحمن" الذي كان "السائق" قد وضع "حقيبته" على "سقف السيارة":

ـ (إيه الشَّنْطَة الكِبِيرَة دِي؟؛ انْتَ حَاطِط فِيهَا مُسْتَغَانِم بِحَالْهَا؟، دَا كِدَا حَايْدَفَّعُوك كِتِير على الوَزْن الزِّيَادَة).

ـ (يَلاَّ.. مَعَلِهْشِي كُلّ سَنَة وانْت طَيِّب، يَاخْدُوا الِّلي يَاخْدُوه).. وبعدما حمل "السائق" – بجهد جهيد– "حقيبته" ووضعها بجانب "حقيبة" الدكتور "عبدالرحمن"، أخذ "حقيبته الهاند باج" من "غياث" استعدادًا لصعود "السيارة".. وتعبيرًا عن "الوداع الحار"؛ أَخَذ "غياث" ب"الحضن" بدلاً من مُجَرَّد السلام ب"اليد". وفي تلك اللحظة, كانت "ديما" تتجه نحْوَ "السيارة" مُهَرْوِلَة وهي تصيح قائلة:

ـ (مَعَ السَّلاَمَة يَا دُكْتُورْ سَيِّد). ولمَّا وَصَلَت إلى حيث كان يقف، قالت وهي تلهث:

ـ (مع السَّلاَمَة يَا دُكْتُورْ سَيِّد.. حَاتِوْحَشْنَا.. أرجوك ابْأَى سَلِّمْلِي على هَالَة ونَهْلَة).

كادت "الدموع" أن تفِرّ من عينيه، فاحتضنها وأخذ يرْبُت على "ظهرها" وهو يقول:

ـ (الله يْسَلِّمِك يا دِيمَا.. حَاضِر حَاسَلِّمْلِك على هَالَة ونَهْلَة.. وِإن شَاءَ الله حَانِبْعَت لكُوا جَوَابَات وانْتُوا كَمَان تِبْعَتُولْنَا).. وتحَرَّك "السائق" للذهاب إلى "الزملاء الأربعة" الباقين، حمولة "البيجو السَّبْعَة راكب"...

(39)

حدث ما توقعه الدكتور "عبدالرحمن"؛ فقد طلبوا مِن "العبد لله" بعد وزن "الحقيبة" – في "مطار الجزائر"– مبلغًا كبيرًا بسبب زيادة "وزنها" عن "الوزن" المُصَرَّح به.. ولما كان قد خرج من "مستغانم" و"جيوبه" خاوية من أيّ "نقود جزائرية" – إلاَّ من عدد بسيط من "الدنانير"– فقد "أُسْقِط في يده" لدرجة أنّه فكر في التخلّص من بعض محتويات "الحقيبة".. ولمَّا رآه الدكتور "عبدالرحمن" يجُرّ "الحقيبة" بعيدًا عن مكان "الوزن"، جاء إليه وقال:

ـ (انْتَ حَاتِعْمِل إِيه؟).

ـ (بَاحَاوِل ارْمِي شْوَيّة حَاجَات من الشَّنْطَة، الرَّاجِل مِش رَاضِي يْمَشِّيهَا بِيْقولِّلي عَنْدَك وَزْن زْيَادَة وَانَا أَصْلاً مِش فَاضِل مَعَايَا إلاَّ شْوَيّة دَنَانِير بَسِيطَة بَعْد أُجْرِة العَرَبِيَّة اِلّلي جَابِتْنَا من مُسْتَغَانِم).

ـ (طَبِ اسْتَنَّا اسْتَنَّا، هُوَّا قال لك عَايِز كَام؟).

ـ (تُلْتُمِيت دِينَار).

ـ (خُدِ التُّلْتُمِيت دِينَار أهُم رُوح ادِّيهُم لُه خَلِّيك تُحُطّ الشَّنْطَة على السِّير، مَعَاد الطَّيَّارَة قرَّب).

ـ (شُكْرًا يَا دُكْتُور.. إن شَاء الله حَابْعَتْلَك حوَالَة بْتَلاَتِين جِنِيه)...

(40)

بعد خروجهم من "الدائرة الجمركية" – في "مطار القاهرة"– فوجئ بزحام "الناس المستقبلين" الشديد، فأخذ يتَلَفَّت يمينًا وشمالاً بحثًا عن "الأولاد".. وبعد قليل، سمع "صوت" ابنه "أحمد" من وسط "الزحام":

ـ (أيْوَا يَا بَابَا.. احْنَا هِنَا يَا بَابَا). ولَمَّا توجَّه ناحية "الصوت"، وجد "أمه" و"إخوته"، كما وجد عمه "عبدالعال" و"خالته" و"أولاد عمه" في استقباله.. وبعدما سلم عليهم – سريعًا– ذهب إلى الدكتور "عبدالرحمن" – الذي كانت "أسرته" في استقباله أيضًا– وقال له:

ـ (نشُوف وِشَّك على خِير يا دكتور عبدالرحمن.. رَبِّنَا يْدِيم المَعْرُوف). قال الدكتور عبدالرحمن":

ـ (إن شاء الله تدُوم الصَّدَاقَة بِينَّا على طُوول.. انْت مِن أعَزِّ النَّاس الِّلي عِرِفْتُهُم في حَيَاتِي).

ـ (دَا أنَا يَا دُكْتُور الِّلي أتْشَرَّف بِصَدَاقْتَك.. وان شاء الله تدُوم صَدَاقِتْنَا للأَبَد).

التغريبـة الإسبانيـة

(1)

بصدور قرار "رئيس الهيئة" – رقم 335 لسنة 1993– بشأن تشكيل "اللجنة العليا لمعالجة الخامات"، وبتكليف "العبد لله" من خلالها بتوَلِّي أعمال "معالجة خامات اليورانيوم بطريقة الأكوام بالموقع".. وصدر بشأنه القرار رقم 63 لسنة 1995، الذي ينص على تكليفه بإدارة عمليات إذابة اليورانيوم ب"طريقة الأكوام" بما في ذلك الإشراف على معمل "ضبط الجودة" بالموقع ".. ولذلك, فقد زار "المنطقة" لتحديد "الموقع" المناسب ل"المصنع التجريبي Pilot Plant" المُزْمع إقامته...

(2)

بعدما انتهى من تجهيز "المعدات" و"المهمات" المطلوبة، تفَرَّغ لإقامة "المصنع التجريبي" حسب "التصميم" المدرج في "المُقْتَرح proposal" الذي أعدّه من قبل والمعتمد من "رئيس الهيئة".. وبالتوازي مع جهود إقامة "المصنع التجريبي"، قام بإنشاء "المعمل الحقلي" و"غرفة الوقاية الإشعاعية" و"دورات المياه". وتم طرح "مناقصة" لتزويد "الكسارة" – المقامة سابقًا– بنظام نقل الخام من "سيور" و"هزَّازَات"...

(3)

وبعدما قطع شوطًا كبيرًا في إقامة "المشروع"؛ تقرر قيامه مع الدكتور "نادر" – "رئيس الهيئة"– ب"مهمة علمية" لزيارة شركة "ENUSA" في "إسبانيا" – عن طريق "الوكالة الدولية للطاقة الذرية"– للإطلاع على أحدث ما وصلت إليه الشركة في مجال استخلاص "اليورانيوم" بتقنية الإذابة بطريقة "الأكوام Heap leaching".. وتعتبر شركة "ENUSA" من أهم الشركات المتخصصة – عالميًا– في هذا المجال...

(4)

بينما كان "العبد لله" عند الدكتور "نادر" للترتيب للزيارة؛ دخل الدكتور "سعيد عبدالوهاب" الذي فاجئهما بقوله:

ـ (لِيه مَاسَافِرْشِي انَا؟).. نظر "العبد لله" إليه ولم يجد ما يقوله؛ ولكن الدكتور "نادر" رَدّ عليه قائلاً:

ـ (يَا رَاااجِلْ دَا انْتَ لَفّيتِ العَالَمْ بِالنِّسْبَة لُه.. وبَعْدِين هُوَّا طَالِعْ عَشَان المَشْرُوع بِتَاعُه، والنَّاس مُنْتَظِرِينُه بالاسْم بَعْدِ الفَاكْسَات اللّي رَاحَة وجَايَّه.. وبَعْدِين هُوَّا حَايْوُّول أُدَّامْهُم برِزِنْتِيشَن عَن اللّي عَمَلُه فِي مَشْرُوعُه؛ حَاتْوُّول إِيه إِنْتَ بَأَه؟!)...

(5)

هبطت الطائرة في "مطار مدريد" على الساعة السادسة مساءً.. وعند خروجهما من المطار – بعد انتهاء الإجراءات– وجدا رجلاً في وسط المستقبلين يرفع لوحة مكتوب عليها اسم الدكتور "نادر" واسم "العبد لله"؛ فعرفا أنه الخبير الأسباني "ميجيل مورالس Miguel Morales" الذي جاء لاستقبالهما، عند ذلك قال الدكتور "نادر":

ـ (مُورَالِسْ بِيْشَاوِرْ لِينَا بِاللُّوحَة اللّي عَلِيهَا أَسَامِينَا هنَاكَ أهُوه).. ذهبا إليه وسَلَّما عليه، ومن ثَمَّ اصطحبهما إلى سيارته – "الهوندا سيفك"– المركونة في الخارج,

وذهب بهما إلى فندق يسمى "مندناو Mindanao" في "وسط المدينة" وحجز لهما "غرفتان". وتركهما على وعد بالعودة على الساعة التاسعة لاصطحابهما لقضاء "السهرة" وتناول "العشاء" – حسب "أجندة" الزيارة المرسلة إليهما من قَبْل– في مكان جعله مفاجئة...

(6)

جاء "مُورَالِس" إليهما في "الفندق" – حسب الموعد المُتَّفَق عليه– بصحبة "زوجته" واصطحبهما لقضاء سهرة – عائلية– في أحد "المسارح" التي تعرض عليها فرقة "Blanca del Ray" رقصة "الفلامِنْكو" الشعبية الشهيرة كأحد المعالم السياحية "عندهم"...

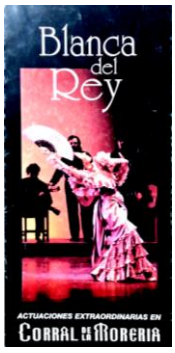

(7)

في الصباح – وكان يوم "أحد"– جاء "مُورالِس" إلى "الفندق"، واصطحبهما – بعدما دفعا حساب "الليلة" التي قضياها فيه– لزيارة "البلازا مايور Plaza mayor" وهو "الميدان الرئيسي" الموجود في كل المدن "الأسبانية" تقريبًا – ك"تقليد" متبع منذ "العصور الوسطى"– توجد به المباني المهمة ك"الكاتدرائية" و"المطاعم" و"المقاهي" و"أماكن التَّسَوُّق"، الخ...

الدكتور "نادر" و"مورالس" في الطريق إلي ال"بلازا مايور"

الدكتور "نادر" و"العبد لله".. و"مورالس" و"العبد لله" في ال"بلازا مايور"

فاتورة فندق "مندناو"

مقاعد "الكاتدرائية" خالية قبل وصول "المُصَلِّين"

(8)

تحَرَّكوا من "مدريد" في حوالي الساعة "العاشرة" صباحًا ليبدؤا "الرحلة" إلى مدينة "سُوِيدَادْ رُدْرِيجُو" التابعة لمقاطعة "سلمنكا Salamanca" في شمال "إسبانيا".. وحسب "الأجندة"؛ سيزوروا في طريقهم مدينة "أبلا Avila"، ومن بعدها مدينة "سلمنكا" ليصلوا أخيرا إلى مدينة "سُوِيدَادْ رُدْرِيجُو" الواقعة في شمال مدينة "سلمنكا".. وفي أطراف "مدريد" عرَّج "مُورَالِس" على "محطة بنزين" ل"يفوّل" السيارة.. وبعد "التَّفْوِيل" اشترى عدة أشرطة "كاسيت" من "الماركت" الموجود في "المحطة".. خرج "مُورالِس" من "محطة البنزين" وسار في طريق فرعي ليوصله إلى الطريق الرئيسي.. كان بجانب الطريق الفرعي "حقل قمْح" كان مكتمل النمو بظهور "السنابل" ولكنه مازال "أخضرا". وما لفت انتباه "العبد لله" رؤيته عدة "بقرات" ضخام ترْعَى في "القمح"، فقال للدكتور "نادر":

_ (الناس دوول أمرهم غريب.. القمح عَفِي وممكن كان يجيب محصول ممتاز وبعدين يأكّلوه للبهايم!!). _ (ماهي محَصَّلة بعضها.. باين عليهم زارعينه للعلف.. أصلهم مايعرفوش البرسيم زيّنا في مصر)...

(9)

دفع "مُورالِس" رسم المرور – "الكارتة"– في بداية "الطريق" الخاص.. وانطلقوا في "جو" مشمس لطيف.. وبعد السير عدة عشرات من "الكيلومترات" – تُعَد على "أصابع اليد" الواحدة– اكْفَهَرَّ "الجو" وغابت "الشمس"، وصار مدى "الرؤية" لا يزيد عن عشرين "مترا"؛ مما اضطر "مُورالِس" إلى السير بسرعة مَنْخفضة.. ولمَّا ازداد "الجو" اكفِهْرَارًا حتى وصل إلى تساقط "الثلوج"، اقترح – عليهما– بالنزول ليستريح من عناء "القيادة"، وليتفرَّجا على "منظر" تساقط "الثلوج" الذي لم يتعوَّدا عليه في بلادهم.. وافق الدكتور "نادر" على الفَوْر، فرَكَنَ "مُورَالِس" بجوار أحد "المقاعد" الخشبية المتواجدة على جانبي "الطريق".. استغرب "العبد لله" لعدم إحساسه

ب"البرودة" – الشديدة– المتوقعة بالنسبة لهذا "الجو" المُكْفَهِرّ و"الثلج" المتساقط؛ فمدّ يده – بعيدا عن "المِظَلَّة" التي تغطي "المقعد"– ليتلقَّى "نِتَف الثلج" المتساقط...

في بداية الطريق من "مدريد" إلى "سُوِيدَاد رُدْرِيجُو"

وعندما اكْفَهَرَّ الجو وانعدمت الرؤية وتساقطت الثلوج

(10)

عادوا إلى "السيارة" بعد ربع ساعة تقريبًا.. وبعدما انطلق "مُورالِس" ب"السيارة"، انخرط الدكتور "نادر" معه في حديث متواصل؛ فتذكَّر "العبد لله" عندما كان الدكتور "عبدالرحمن الغنيمي" – زميله في "التغريبة الجزائرية"، في النصف الثاني من سنوات "الثمانينيات"– يتكلم مع سائق "التاكسي" حتّى لا يغلبه "النُّعَاس" في رحلات "الذهاب" و"العودة" من "مطار هوَّاري بومدين" في "الجزائر العاصمة" إلى "مستغانم".. ومن ضمن حديثه مع الدكتور "نادر"، قال "مُورالِس" "بِتَصَرُّف":

ـ (أسْرَتِي تُقِيم فِي مَدْرِيد، بَيْنَمَا أعْمَل فِي الشَّرِكَة الوَاقِعَة عَلَى حُدُودِ البُرْتُغَال، ولَكِنِّي أذْهَب إلَيْهِم فِي الوِيكْ إنْدْ).. وعندما مرّوا على "لوحة" – كبيرة جدًا– عليها صورة ل"ثور" أسود ضخم، قال "العبد لله" للدكتور"نادر":

ـ (هِيَّا مُصَارَعَة الثِّيرَانْ مسَيْطَرَة عَلِيهُمْ بِالشَّكْلِ دَه؟). ويبدو أن "مُورالِس" قد فهم بعض ما دار بينهما فقال "بتصَرُّف":

ـ (مُصَارَعَة الثِّيرَان رِيَاضَة أَسْبَانِيَّة شَعْبِيَّة، لِدَرَجِة وجُود حَلَبَة لِمُصَارَعَة الثِّيرَان فِي كُلّ مَدِينَة تَقْرِيبًا.. وزِيَادَة عَلَى ذَلِك فَإِنَّ سُوِيدَادْ رُدْرِيجُو مَشْهُورَة بِاحْتِفَال خَاص تُطْلَق فِيه الثِّيرَان فِي الشَّوَارِع، ولَكِن فِي الآوِنَة الأَخِيرَة تَشَكَّلَ رَأْي عَام يُطَالِب بِإِلْغَاء هَذِه الرِّيَاضَة غِيرِ الإِنْسَانِيَّة). وبعد لحظات من الصمت، قال "بتَصَرُّف":

ـ (وبِالمُنَاسَبَة يُوجَد فِي سَلَمَنْكَا شَارِع فِي وسَط البَلَد اسْمُه شَارِع الثَّوْر Toro يُعْتَبَر شَارِع التَّسَوُّق الرَّئِيسِي)...

(11)

انحرف "مُورالِس" إلى طريق جبلي.. وفي أثناء السير مرُّوا على "راعي أغنام" يرعى بحوالي عشرين "رأسا".. كان "الرَّاعي" يدندن بكلمات غير مفهومة – طبعًا– واضعًا عصاه على كتفه مُعَلِّقا بها "صُرّة" غداءه, وعلى رأسه "قبَّعة" عريضة, وكلبه بجواره يهزّ ذيله في صمت؛ فقال "العبد لله" في "نفسه":

ـ (كأنه راعي غنم من بلادنا, لولا زيّه الإفرنجي).. وبعد فترة وجيزة، مرّوا على "يافطة" خشبية مكتوب عليها اسم القرية القادمة "Elmedinah". قرأ ماهو مكتوب عليها بصعوبة بسبب الأتربة التي كادت أن تغطيها.. وفوجئ بقول "مُورالِس" "بتصَرُّف":

ـ (ماذا تعني هذه الكلمة؟). أجابه "العبد لله" بسرعة:

ـ (هذه تعني ذا سيتي أو ذا تاون)...

(12)

عندما توقَّفُوا في "قرية" صغيرة – قبل وصولهم إلى "سلمنكا"– ليتناولوا "غداءهم"، قال "مُورالِس" "بِتَصَرُّف":

ـ (نَحْنُ الآن فِي إِقْلِيم أَفِيلاَ Avila مَفْرُوض حَسَب الأَجِنْدَة، زِيَارَة مَدِينَة أَفِيلاَ العَاصِمَة ولَكِن لاَ يُوجَد لَدَيْنَا وقْت). قال الدكتور "نادر":

ـ (أُوكِي، أُوكِي).. وبعد "هنيهة"، تحدث الدكتور "نادر" مع "مُورالِس" قائلًا "بتصرف":

ـ (رجاءً الابتعاد عن اللحوم عمومًا لئَلاَّ تكون لحم خنزير بدون أن ندري). قال "مُورالِس" "بتصرف":

ـ (سأطلب لكما سمكًا). قال الدكتور "نادر":

ـ (أُوكِي، أُوكِي).. وفي أثناء انشغال "مُورالِس" مع "الجرسون"؛ قال "العبد لله" للدكتور "نادر":

ـ (المَدِينَة الّلي بِيْؤُولْ عَلِيهَا أفِيلاَ اسْمَهَا بِالعَرَبِي أَبُلاَّ.. كَان العَرَب زَمَان بِيْسَمُّوهَا أبُلَّه ويقولون أنها الحَدّ الفَاصِل بَيْن الأنْدَلُس والشَّمَال المَسِيحِي.. واحسرتاه عَلَى أمْجَاد المُسْلِمِين فِي أسْبَانْيَا). قال الدكتور "نادر" بسرعة محاولا إسكات "العبد لله":

ـ (اسْكُتِ اسْكُتْ.. بَلاَشْ نِتْكَلّمْ فِي الأُمُورْ دِي)...

(13)

بوصولهم إلى "سلمنكا" – بعد "العصر"– انْخَرَطوا في "برنامج الزيارة" المُعَد – حسب "الأجندة"– حيث أسْلَمَهما "مُورالِس" إلى "المرشدة السياحية" – كان اسمها "كَارْمِن"– المُتَّفَق معها سلفًا.. كانت "الكاتدرائية" هي أوَّل مَعْلَم – سياحي– أخذتهما إليه.. وبمجرد اجتيازهم مَدْخَل "الكاتدرائية" صُدِمَ "العبد لله" عندما رأى صور على الجدران ل"معركة" عظيمة جرت مع "المسلمين" في "سلمنكا"!!؛ فقال في "نفسه":

ـ (ما هذا التزوير؟!، فهذه الصور تثبت أن المسلمين قد مرُّوا من هنا إلى شمال أسبانيا حتى وصلوا إلى البرتغال؛ عكس مايدَّعون بأنهم لم يتجاوزوا أبُلَّا الواقعة جنوب سلمنكا!).. وفي داخل "الكاتدرائية" رأى عجبًا؛ "توابيت" حجرية ضخمة، قالت "كَارْمِن" إنها ل"قديسين" كبار.. إلي هنا والأمر رُبَّمَا كان عاديًا – حسب معتقداتهم– ولكن وجود آخرين مدفونين في "الجدران"، وآخرين – ربما كانوا أدنى مرتبة– مدفونين أسفل "البلاط" الذي يمشي عليه "الأحياء" – بالأحذية– فهذا "عَجَب العُجَاب"!!.. وكان هناك ثلاثة أو أربعة "أجهزة تسجيل" مُسَجَّل عليها تاريخ "الكاتدرائية" – بعدة "لغات" ليست "العربية" من بينها!!– مُتاحة لمن يرغب في استعمالها نظير وضع قطعة "نقود" معدنية في ثقب أعلى "الجهاز".. وأخذتهم "كارمن"

إلى فناء "الكاتدرائية" الخلفي لتريهم شجرة "صنوبر" ضخمة, قالت أن عمرها أكثر من ألف سنة...

(14)

خرجوا من "الكاتدرائية" وذهَبوا إلى "جامعة سلمنكا"، حيث أفادتهم "كَارْمِن" أنها "جامعة" عريقة أُسِّسَت منذ "ثمانمائة عام" ولا زالت تعمل إلى يومنا هذا.. وعندما أبدى "العبد لله" اندهاشه، قالت "كارمن" "بِتَصَرُّف":

ـ (أَنْتُمْ فِي مِصر تَمْلِكُون أَكْثَر من ثُلُث آثَار العَالم ولكِنَّكُم فَشَلْتُم، سُورِي، فِي اسْتِثْمَار تِلْكَ الثَّرْوَة سِيَاحِيًّا.. أمَّا نَحْنُ فِي أَسْبَانْيَا بِآثَارِنَا التي لا تُقَارَن بِآثَارِكُم، فَقَد عَرِفْنَا كَيْفَ نَسْتَثْمِرها جَيِّدًا والدَّلِيل عَلِى ذَلِك، مَجِيء مَالاَ يَقِل عن أَرْبَعِين مِلْيُون سَائِح سَنَوِيًا)...

(15)

بعد أن أعْيَاهم التَّعب، ذهبوا ليستريحوا – ويشربوا "القهوة"– في إحدى "المقاهي" ب"البلازا".. ولفت انتباه "العبد لله" تدخين "كَارْمِن" ل"السجائر" بشراهة؛ فقد كانت تسحب من "علبة سجائر" الدكتور "نادر"– الموضوعة على "الطاولة"– "السيجارة" بعد الأخرى.. قالت "كَارْمِن" – "بِتَصَرُّف"– عندما جاء "شاب" وهم على أهُبَّة الاستعداد للانصراف من "المقهى":

ـ (رونَالْدُو.. خَطِيبِي).. سَلَّمُوا على "خطيبها" وودَّعُوهما.. وانطلقوا إلى "سُوِيدَادْ رُدْرِيجُو"...

(16)

وصلوا إلى مدينة "سُوِيدَادْ رُدْرِيجُو" – ذات "الأسوار"– قُرْب المغرب "صفار شمس".. أنزلهما "مُورالِس" في فندق – "أربع نجوم"– يسمى "برادور Parador" عبارة عن "قلعة" قديمة بُنِيَت في القرن الرابع عشر، كما هو الحال في سلسلة "الفنادق الحكومية" – "برادوريس Paradores"– في "طول البلاد وعرضها" والتي

كانت "قلاع" – أو"كنائس"– قديمة من "العصور الوسطى".. وبمجرد ما دخل "العبد لله" "غرفته"، غيّر "ملابسه" وأخذ "دُشًا" ساخنًا.. وبعدما صَلّى "المغرب"، ذهب إلى "غرفة" الدكتور "نادر".. وعندما حانت صلاة "العشاء" قال له:

ـ (نِصَلّي العِشَا؟).

ـ (مَاشِي.. انْتَ مِتْوَضّي؟).

ـ (الحَمْدُ لله).

ـ (وانَا مِتْوَضّي.. يَا تَرَى فِينِ اتّجَاهِ القِبْلَة؟).

ـ (أنَا عَامِل حِسَابِي، مَعَايَا بُوصْلِة تَحْدِيد اتّجَاه القِبْلَة كُنْت جَايِبْهَا مِن السُّعُودِيَّة لَمَّا حَجّيت سَنَة تِسْعِين).

ـ (تِتْصَوَّر!، نِسِينَا نْصَلّي المَغْرِب والعِشَا جَمْعًا وقَصْرًا).

ـ (جَلَّ مَلاَّ يَسْهُو.. وبَعْدِيينِ الضُّهْر والعَصْر الّلِي فَاتُونَا نِبْأَى نْصَلّيهُمْ أبْلِ الضُّهْرِ والعَصْر بُكْرَا انْ شَاءَ الله).. وبعدما حَدَّد "العبد لله" اتجاه "القبلة"؛ دعا الدكتور "نادر" ليؤمّه في "الصلاة" فأبَى بشدَّة وأصَرَّ على أن يكون هو "الإمام".. وبعدما فرغا من "ختم الصلاة"، تحدّثا في أمور شَتَّى كانت تدور – في معظمها– حول "المهمة العلمية"...

فندق "برادور" من الخارج؛ من الشبكة العنقودية "الإنترنت" مطعم فندق "برادور" من الشبكة العنقودية "الإنترنت"

(17)

جاء هما "مُورالِس" إلى الفندق صباحًا – يوم "الاثنين 4/24"– لاصطحابهما إلى "المبنى الإداري" لشركة "ENUSA" حتى يكونوا متواجدين على "الساعة التاسعة" – حسب "الأجندة"– وكانا مازالا يتناولان "الإفطار"؛ فانْتَظَرَهما حتى انتهيا منه.. وهم خارجون من الفندق إلى حيث تقف "سيارته"، قال "مُورالِس" "بِتَصَرُّف":

ـ (أنَا اسْتَخْرَجْت لَكُمَا بِطَاقَتَيْنِ مُمَغْنَطَتَيْن لُزُوم الدُّخُول مِن بَوَّابَة الشَّرِكَة).. وركبوا السيارة.. وبعد السير مسافة قليلة، عرّج "مُورالِس" على "محطة بنزين" ليزوّد سيارته بالوقود.. وبعدما غادروا "البنزينة"، مرُّوا على طفلة وأخوها الأصغر – على مايبدو– في سن "التاسعة" و"السابعة" تقريبًا, عليهما ملابس رَثَّة "مقاساتها" كبيرة، وفي أقْدَامِهِمَا "شَبَاشِب" بلاستيكية رخيصة.. ويبدو أن "مُورَالِس" قد أحس أن الطفلين قد لفتا نظرهما، قال متأفِّفًا "بتصرف":

ـ (هؤلاء من أبناء الغَجَر).. هزَّ الدكتور "نادر" رأسه ولم يعقِّب؛ وأما "العبد لله" فقال في "نفسه":

ـ (يا سبحان الله, أليس الغجر من بني آدم.. ألم يقولوا أنهم طردوا الغجر، مع العرب الذين يسمونهم المورسكيين، واليهود منذ خمسة قرون!!.. وحتى لو كانا من الغَجَر؛ أَلَيْسَا مِنَ رَعَايَا دَوْلَتَكْ؟)...

مدخل "شركة ENUSA" من داخل السيارة

مدخل "الشركة" بعد النزول من السيارة

مدخل "الشركة" من التليفزيون "الإسباني"، من الشبكة العنقودية "الإنترنت"

لافتة "الشركة" من التليفزيون "الإسباني"، من الشبكة العنقودية "الإنترنت"

(18)

كانت الساعة التاسعة إلاَّ "عشرة دقائق" عندما دخلوا "القاعة" المُعَدَّة ل"الاجتماع".. وبعد "دقائق"، بدأ اجتماعهما مع "الهيئة العليا لإدارة قطاع اليورانيوم بالشركة The High Staff of the ENUSA Uranium Division"؛ وهم: "جونزاليز Gonzalez" مدير "قطاع اليورانيوم"، "أرتيدا Artieda" مدير مصنع"، "رِيوس Rios" مدير "إنتاج" بالإضافة إلى "مُورالِس Morales".. كانت البداية بأن تقدَّم "العبد لله" بعرض شامل "Presentation" لِما تَمَّ في مشروع الهيئة "إذابة اليورانيوم بطريقة الأكوام في الموقع".. وبعدما انتهى "العبد لله" من العرض، أجاب على عدة أسئلة.. وبعد "استراحة" لعدة "دقائق"، قدَّمُوا "عرضًا" وافيًا لأنشطة شركتهم من كافة الجوانب؛ وبعد ذلك تحدثوا معهما – بإسْهَاب– عن خبرتهم في "تقنية" إذابة "اليورانيوم" من خاماته ب"طريقة الأكوام Heap Leaching"..

وبعد انتهاء "العرض"، تحركوا لزيارة "المعامل".. وبما أن "المعامل" في الجانب البعيد من "المباني الإدارية"، وبما "أنها" كانت "تُمطر" فقد لفت "مُورالِس" أنظارهما إلى أن يأخذ كل منهما "مظلة" من "المظلات" الموضوعة على "رف" خارج "القاعة"...

(19)

لم يجدا أي اختلافات – تُذكر– بين ما يجري عندهم – في شركتهم– وما يجري في الهيئة من أوّل "تحليل اليورانيوم" بطريقة "الفلورومتري"، بجهاز ماركة "جارل آش Jarrel Ash" الموجود عندهم في "الهيئة" منذ "الستينيات"؛ وقد جاءهم الأحدث منه منذ "السبعينيات".. كما كانوا يجرون بحثًا في "الإذابة بالتخلل في أعمدة زجاجية".. وتكلموا معهما عن "أبحاث" – أجروها– عن "إذابة اليورانيوم بواسطة البكتيريا"؛ وهذا كله قد قطعوا فيه – في "الهيئة– شوطًا كبيرًا...

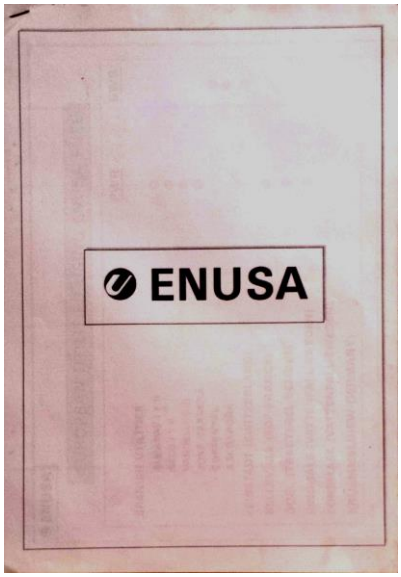

ملف أنشطة الشركة

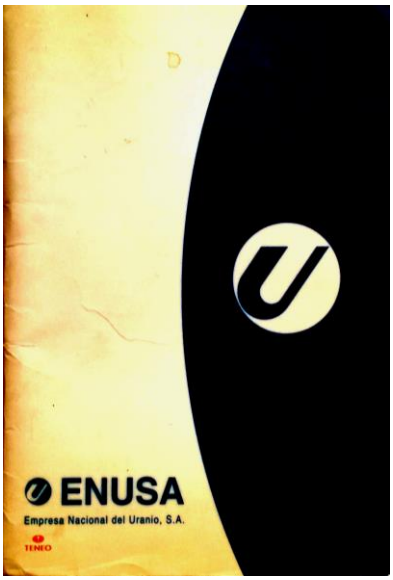

غلاف الملف

(20)

كان تناولهما "الغداء" – في "الفندق"– على الساعة "الواحدة والنصف" – حسب "الأجندة"– مع "مجموعة قطاع اليورانيوم" برئاسة "جونزاليز"...

(21)

بعد تناولهم وجبة الغداء وانصراف "جونزاليز" مع مرؤوسيه، عرض "مُورالِس" عليهما أن يصحبهما إلى "البلازا مايور" فوافقا رغم أنهما كانا في حاجة إلى الرَّاحَة.. كانت "البلازا مايور" – بطابعها "الريفي"– تختلف قليلاً عن "بلازا مدريد" أو "بلازا سلمنكا".. وكانت "كراسي المقاهي" موضوعة في "السَّاحة" بينما ينتشر "الباعة الجائلين" حولها عارضين بضاعتهم على "عربات اليَد"، كبائع البرتقال"، و"بائع الأنتيكات" الذي رأى عنده "الصَّاجَات" – "كاستينادز"– التي تستعملها "راقصات الفلامنكو" في أثناء "الرقص".. وما لفت انتباه "العبد لله" – بحق– تلك "الظاهرة" الغريبة – بالنسبة له على الأقل– عندما رأى بعض "الشبان" يطيلون "شعورهم" – لدرجة انسدالها على "ظهورهم"– بينما "تحلق" صديقاتهم "زيرو"!!...

(22)

وهم عائدون – من "البلازا"– إلى "الفندق"، صعد "مُورالِس" – بِهما– ل"يتفرَّجا" على "سور المدينة" المنيع الذي بُنِيَ في "القرن الثاني عشر" وجُدِّد في "القرن السَّابع عشر" – كما قال لهما– وهناك تعجب "العبد لله" من كبر "سُمْكه".. ولَمَّا رأى "المدافع السوداء" العتيقة المنصوبة في "الأبراج" الصغيرة – على "السور"– تحَسَّرَ على مجد المسلمين الضائع...

"البلازا مايور" في "سُوِيدَادْ رُدْرِيجُو"

الصورة الأولي تبين سماكة السور المحيط بالمدينة القديمة، والصورة الثانية لأحد الأبراج المنصوب بكل منها مدفع، (الصور من الشبكة العنقودية "الإنترنت")

(23)

كان "برنامج" يوم "الثلاثاء" 4/25 يبدأ بزيارة "المنجم" – حسب "أجندة الزيارة"– حيث يتم نقل "الصخر" – الذي تمَّ "تفجيره"– في "سيارات نقل" ضخمة تمر أسفل "عداد إشعاعي"؛ ليميز الحمولة المحتوية على "اليورانيوم" من الخالية منه، حيث تُلْقَى الحمولة الخالية من "اليورانيوم" في "كوم النفاياتWaste Pile"، بينما تذهب الحمولة المحتوية على "اليورانيوم" إلى "كسَّارة" ضخمة.. وحسب "لوحة التشغيل Process Diagram" يتم نقل "الخام" الذي تتراوح أحجامه بين "1 و 10 مم" إلى عمليات إذابة "اليورانيوم" بتقنية "الإذابة بالأكوام"، أما "الخام" ذو الحجم الأقل من "1 مم" فيذاب "اليورانيوم" منه بتقنية "الإذابة الديناميكية Dynamic Leaching"...

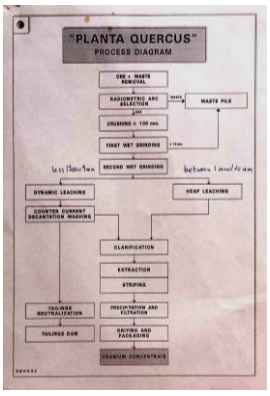

لوحة التشغيل

عربة محملة بالخام تمر أسفل "العداد الإشعاعي"

الإذابة بالأكوام أعلى؛ والإذابة الديناميكية أسفل

منظر عام للمنطقة؛ من التليفزيون "الإسباني"؛ من الشبكة العنقودية "الإنترنت"

منظر لأحد أكوام الإذابة؛ من التليفزيون "الإسباني"؛ من الشبكة العنقودية "الإنترنت"

أحواض الترويق في الإذابة الديناميكية

صورة مكبَّرة لأحد أحواض الترويق

(24)

بعد العودة من زيارة "المنجم" و"المصنع"، ذهبا لتناول "الغداء" في "البلازا".. وبعد عودة "العبد لله" إلى "غرفته" – في "الفندق"– تذكَّر أن "الفيلم" كان قد امتلأ أثناء زيارة "المنجم" و"المصنع"، فأخرجه من "الكاميرا" لتغييره.. وعاد إلى "البلازا" لشراء "فيلمًا" جديدًا.. كان "الرجل العجوز" صاحب محل بيع "آلات التصوير" ولوازمها

لا يعرف "الإنجليزية"؛ وبما أن "العبد لله" لا يعرف "الإسبانية"، فكانت "لغة الإشارة" هي الحل.. وفي أثناء عودته من "البلازا" وفي أحد "الشوارع" الفرعية، رأى "رجلاً" يجلس على "كرسيًا" صغيرًا منهمكًا في "العزف" على "جيتاره" وأمامه "امرأة" واقفة "تُغَنِّي" على "عزفه" – ربما كانا من "الغجر"– وأمامهما وعاء "نحاسي" صغير ليضع فيه "المتفرجون" – القلائل– ما يجودون به، بينما كان الأغلب الأعم من "المَارَّة" لا يلتفتون إليهما...

(25)

عندما ذَهَب إلى "غرفة" الدكتور "نادر" لقضاء "السهرة" معه – كالعادة– وجَده غائبًا، فقال في "نفسه":

ـ (مَاشِي، أجِيلُه بَعْدِيين).. ولَمَّا عاد إليه – بعد "نصف ساعة"– لم يكن موجودًا – أيضًا– فانقبض "قلبه" بشدَّة وأخذ عقله "يوَدّي ويجِيب". ولمَّا عاد إلى "غرفته" – للمرة الثالثة– واضعا يده على "قلبه".. لم يصدق "عينيه" عندما فتح الدكتور "نادر" له "بابه"؛ فخَرَجَت من "فمه" – بعَفَوِيَّة– عدة كلمات تعبيرًا عن "لهفته" عليه:

ـ (كُنْت فِيين يَا دُكْتُور.. شَغَلْتِنِي عَلِيك).. قال الدكتور "نادر" وقد بدا عليه التَّأَثُّر:

ـ (مُتْشَكِّرِين يَا سَيِّد.. كُنْت بَاتْمَشَّى شْوَيَّة.. أنا بَرْضُه انْشَغَلْت عَلِيك لَمَّا جِيتْلَك عَشَان نِنْزِل البِلاَزَا ومَلَئِيتَكْشِي).. ولَمَّا أراد "العبد لله" الرجوع إلى حجرته – بعدما اطمأنّ على الدكتور "نادر"– قال له:

ـ (مِسْتَعْجِل لِيه أأعُدْ شِوَيَّة).

ـ (مَاشِي).. وبعد فترة من الصمت، ابتسم الكتور "نادر" ابتسامة عريضة ثم قال:

ـ (إيه يَا سَيِّد!.. الشِّيب مَلاَ رَاسَك).

ـ (يِمْكِن فِيه شِيء مِن الوِرَاثَة.. دَا الشَّعْر الأبْيَض بَدَا يِظْهَر مِن وَانَا كَان عَنْدِي سِتَّاشَرْ سَنَة).

ـ (يَاااااه!).

ـ (بِالمُنَاسْبَة عَنْدِي مُلاَحْظَة عَن المَوْضُوع دَه).

ـ (إيه هِيَّا).

ـ (لَاحِظْت إن الشَّخْص الأصْلَع بِيْكُون الشَّعْر الّلِي فَاضِل فِي رَاسُه أَسْوَد غَطِيس، وعَلَى العَكْس الشَّخْص الّلِي الشِّيب مَالِي رَاسُه مَابْيِصْلَعّش).

ـ (مِتْأَكِّدْ؟، أنَا مَاخَدْتِش بَالِي مِن مُلاَحْظِتَك دِي).

ـ (مُتَأَكِّد.. بَسِّي كُلّ قَاعْدَة ولهَا شَوَاذ طَبَعًا).

ـ (ما شاء الله).

ـ (وبِمُنَاسَبَة الصَّلَع؛ أنَا قَرَأْت فِي كِتَاب العِقْد الفَرِيد لابن عبد رَبُّه في الجزء الخامس تحت عنوان، طبائع الإنسان وسائر الحيوان أن الأصمعي قال: مَن لَمْ يَخِفَّ شَعْرُه قَبْلَ الثلاثين لَمْ يَصْلَع أبدًا).

ـ (.....)...

(26)

كان برنامج" يوم "الأربعاء" 4/26 – حسب "الأجندة"– أن ينقلوا لهما "خبرتهم" – المكتسبة– في تقنية "الإذابة بالتكويم Heap Leaching".. وعندما تقرر الذهاب لزيارة "المنطقة The Site" – لإطلاعهما على منطقة "أكوام الإذابة"– أشاروا عليهما بأن يضع كل مِنهما على رأسه "خوذة" من "الخوذ" الموضوعة على "رف" – فوق "رف المظلات"– خارج "القاعة"...

"مُورالِس" والدكتور "نادر" يمشيان فوق أحد "أكوام الإذابة"

"العبد لله" و"رِيوس" والدكتور "نادر" أمام
وحدة تحضير "محلول الإذابة"

"رِيوس" و"مُورالِس" والدكتور "نادر" أمام
أحد رشَّاشَات "محلول الإذابة"

(27)

بعد العودة من زيارة "منطقة أكوام الإذابة"؛ دعوهما إلى "غداء عمل" – في "الفندق"– تحت إشراف السيدة "بُورْدُونَابَا Mª L. Bordonaba"...

(28)

بعد تناول "الغداء"؛ ذهبا – على الساعة الثانية– بصحبة "مُورِالس" لزيارة "وحدة تجفيف وتعبئة الكعكة الصفراء" في "براميل".. ومراعاة ل"احتياطات الأمان" – من "التلوث الإشعاعي"– وضعوا "أكياس بلاستيكية" – فوق "الأحذية"– مُعَدّة لذلك في "كابينة" معزولة قبل الدخول إلى "الوحدة".. وبعد انتهاء الزيارة؛ أغلق "مورالس" باب "الوحدة" الفاصل بينها وبين "الكابينة"، ثم خلعوا "الأكياس البلاستيكية" ووضعوها في "سَلَّة" – مُحْكَمَة الغَلْق– مُخصّصة لذلك الغرض...

(29)

كان "برنامج" يوم "الخميس" 4/27 – حسب "الأجندة"– هو الجلوس مع "مورالس" من أجل "تغطية مشروع الهيئة" حيث أنه المُكَلَّف بإعداد "التقرير" الذي سترسله "ENUSA" إلى "الوكالة الدولية للطاقة الذرية IAEA"...

(30)

بعد "الغداء"، كان الذهاب – حسب "الأجندة"– إلى زيارة "دَيْر الدومنيكان" الأثري الذي يبعد عن "سويداد رُدْرِيجُو" ب"ثمانين كيلومترًا" تقريبًا.. كان "الدَّيْر" مَبْنِيًا على قمة جبل ارتفاعه – كما قال "مُورالِس"– حوالي "ألف وخمسمائة متر" عن "سطح البحر".. وبعدما تركوا "المدينة" بعدة "كيلومترات"؛ كانوا يسيرون بجانب "غابات" كثيفة يغلب عليها اللون "الأصفر"، فبدا منظرها كئيبًا مقبضًا.. كان "الطريق" الصَّاعد إلى "الدير" ضيقًا مُلتويًا على "حافَّة الجبل". كان "العبد لله" يضرب "أخماسًا في أسداس" عن كيفية تَصَرُّف "مُورالِس" لو قابَلَتْه "سيارة" هابطة من أعْلَى، "تاهيك" عن "الذُّعر" الذي كان يداهِمُه – وهو الذي لا يعاني أصلاً من "فوبيا الأماكِن المرتفعة"– عندما ينظر إلى "الوادي" السَّحِيق عن "يمينهم".. بدت "التَّجَمُّعَات" المتناثرة من "البيوت الريفية" البسيطة – في "الوادي" السحيق– وكأنها خالية من "السكان"، وكان الاستثناء الوحيد من هذا "السكون" الرهيب – ك"صمت القبور"– "امرأة عجوز" كانت واقفة أمام "باب بيتها" أسفل "شجرة" وارفة الظِّل ومن حولها "دجاجاتها" تنكش "الأرض" باطمئنان، فقال في "نفسه":

ـ (الإنْسَان هُو الإنْسَان فِي أيّ مَكَان وزمان)...

(31)

عندما وصلوا إلى "قمة الجبل"، بدا لهم "الدَّيْر" – على بُعْد "مئات الأمتار"– مبنىً ضخمًا "نوافذه" مرتفعة متراصَّة كأنها "نوافذ سجن" شديد الحراسة.. وعندما ترجَّلوا أسفل "الدَّير"، داهَمَتْهم "البرودة" الشديدة التي ارْتَعَدَتْ – "رغمًا عَنه"– من شدتها "فرائِصه".. كانت "الشمس" – عندما وصَلوا– على وشك "الغروب".. وكانت بُقع "الثلوج" المتناثرة كأنها ألواح "زجاج"، فكان انعكاس أشعة "الشمس" – الصفراء– على أسطحها يخطف الأبصار.. اكتفى "مُورالِس" بشرح تاريخ "الدَّيْر" وهم واقفون

خارجه, فربما كانوا في وقت لا يُسْمَح فيه بالدخول.. وبعد أن شبع كلامًا، قال "بِتَصَرُّف":

ـ (كَان الرُّهْبَان يَتَعَبَّدُونَ فِي هَذَا القَبْو قَبْلَ بِنَاء الدَّيْر).. تركهما "العبد لله" ونزل درجات "السلم" لمشاهدة "القَبْو" في الأسفل و"تصويره" من الدَّاخِل.. وبعدما أدَّت به درجات "السلم" إلى "كُوَّة" – منخفضة– تؤدي إلى "ظلام" دامس؛ تراجَع – على الفور– وعاد أدراجه.. وبمجرد ما طلع على "وجه الأرض"، رأى "مُورَالِس" والدكتور "نادر" يتوَجَّهَان إلى "السيارة" إيذانًا بالعودة إلى "سُوِيدَادْ رُدْرِيجُو"...

"القَبْو" الذي كان يتعبد فيه "الرهبان" قبل بناء "الدَّيْر"

(32)

عادوا إلى "سويداد رُدْرِيجُو" على "الساعة الثامنة" مساءً – تقريبًا– وهم في غاية "الإرهاق".. وبمجرد نزولهم على باب "الفندق"، ودَّعهما "مُورالِس" وأخذ كل مِنهما "مفتاح غرفته" من "موظف الاستعلامات".. وعندما وصلا إلى باب "غرفة" الدكتور "نادر"، قال ل"العبد لله":

ـ (تِصْبَح عَلَى خِير يَا سَيِّد.. نَام عَلَى طُوول عَشَان تِرَيَّح مِن تَعَبِ المِشْوَار دَه، عَشَان عَلْئِةِ السَّفَر بُكْرَه).

ـ (وِانْتَ مِنْ أَهْلُه يَا دُكْتُور).. وبعدما دخل "غرفته"، غَيَّر "ملابسه"، وأخذ "دُشًا" ساخنًا.. و"توضأ" وصلَّى "المغرب" و"العشاء" جمْعًا وقصْرًا.. وكان "عشائه" علبة

"بسكويت" وزجاجة "مياه غازيـة"، أخَذهُمَا – "علـى الحسـاب"– مـن "الثلاجـة" الصغيرة الموضوعة في "الحجرة" لهذا السبب...

(33)

صـباح يـوم "الجمعـة" 4/28 ذهبـا إلـى "المطعـم" لتنـاول "الإفطـار" الأخيـر.. وحرص "العبد لله" على اختيار "طاولة" بجوار "النافذة" ليتمتّع – للمرة الأخيرة– بالنظر إلى "البانوراما" الممتدة على "مدد الشُّوف"، وخاصـة "القنطرة الرومانيـة" – الأثريـة– المقامــة علــى "نهـر أجْوِيـدَا" الـذي يختـرق مدينــة "سُـوِيداد رُدْرِيجُـو" فــي اتجـاه "البرتغال"...

القنطرة الرومانية – الأثرية– على نهر "أجويدا"؛
من الشبكة العنقودية "الإنترنت"

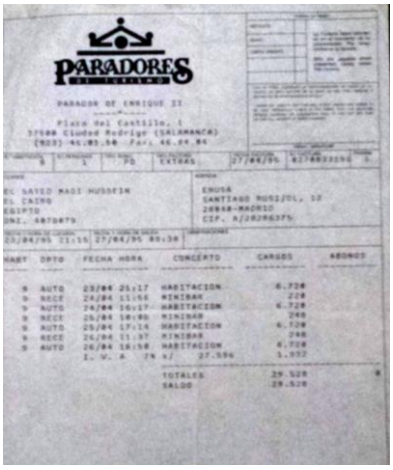

فاتورة فندق "برادور"

(34)

بعد الانتهاء من تناول "الإفطار"، عادا إلى "غرفتيهما" لترتيب "الحقائب" استعدادًا للعودة إلى "مدريد" ومنها يعودا يوم "السبت" 4/29 بمشيئة الله إلى "مصرنا" الحبيبة.. وبعدما جَهَّز "حقائبه" – "تَمَام التَّمَام"– خرج ليتَمَشَّى في "البلازا مايور" لآخر مرة...

(35)

بعدعودته من "البلازا" وكان متوجّهًا نحو "موظف الاستعلامات" ليأخذ منه "مفتاح الغرفة"؛ لمَح الدكتور "نادر" و"مُورالِس" جالسان في "قاعة الاستقبال" يحتسيان "القهوة".. وعندما همَّ بالتحرك نحو "الغرفة"، سمع الدكتور "نادر" يسأله قائلًا:

ـ (اتْأَخَّرْت لِيه يَا دُكْتُور سَيِّدْ؟).

ـ (مَعَلِهْشِي يَا دُكْتُور.. كُنْت بَاوَدَّع الحِتَّة).

ـ (طَيِّب.. هَات شُنَطَك وتَعَالَ حَاسِب عَشَان حَانْسَافِر دِلْوَأْتِي حَالاً).

ـ (حَاضِر يَا دُكْتُور ثَوَانِي).. ولَمَّا جاء إليهما– بعد عدة "دقائق"– ترك "حقِيبَتَيه" – الكبيرة والصغيرة– عندهما وذهب ليدفع حساب "الأيام" التي قضاها في "الفندق" وحساب ما أخذه من "الثلاجة" الصغيرة...

(36)

تحَرَّكوا من "سُوِيداد رُدْرِيجُو" – في طريقهم إلى "سلمنكا"– على الساعة "الثانية عشرة إلَّا رُبْعًا" تقريبًا.. كانت الساعة قد تجاوزت "الواحدة" بعد "الظهر" عندما توَقَّف "مُورالِس" عند "مطعم ريفي" صغير على الطريق – تديره "امرأة" عجوز وأبنائها– لتناول "الغداء".. بمجرد دخولهم "المطعم" صَكَّ "أسماعهم" ضجيج "الزبائن" المرتفع.. وبعد اختيار "مُورالِس" طاولة في "ركن" بعيد، قال "العبد لله" في "نفسه":

ـ (وجودنا هنا يعتبر نشازا).. ذكَّره منظر "الزبائن" – رُبَّمَا كانوا "عمَّالاً" أو "فلاَّحِين"– ب"ملابسهم" الرَّثة و"قبعاتهم" المُتَّسِخة وب"أيدي" كثير منهم "أقداح الجِعة" ب"مطاعم" – أو "حانات"– "أفلام الغرب الأمريكي Western" ب"زبائنها" الأجلاف الذين يرتدون ملابس رثَّة وعلي رؤوسهم "قبعات" مُتَّسِخة ويربطون في أعناقهم "مناديل" لا يُعْرَف لونها الأصلي من شدة "الوساخة"، وبأيديهم "أقداح الجِعة" و"يتعاركون" على أتْفَه سبب...

(37)

عندما وصلوا إلى "تخوم" مدينة "سلمنكا"، توقّف "مُورالِس" فجأة عند "رجلين" بدا أنهما كانا ينتظرانه.. أشار "مُورالِس" إليهما بالصعود مع "العبد لله" – في "المقعد الخلفي"– وبما أنهما كانا من ذوي "الأوزان الثقيلة"؛ فقد انحشر "ثلاثتهم" حشرًا.. وبعدما تحَرَّك "مُورالِس" ب"السيارة" عدة "أمتار"، قال للدكتور "نادر" "بِتَصَرُّف":

ـ (سَأَحْضر مَعَ الزَّمِيلاَن إِحْدَى جَلَسَات مُؤْتَمَر مُنْعَقِد حَالِيًا فِي سَلَمَنكَا)؛ عند ذلك قال الدكتور "نادر" لهما:

ـ (هَالُّلو). وقال "العبد لله" أيضًا:

ـ (هَالُّلو).. وبعد السير في عدة "شوارع"، توقَّف "مُورالِس" وأنزل "زميليه"، ثم قال "بِتَصَرُّف":

ـ (سَيَذْهَب الزَّمِيلاَن إِلى المُؤْتَمَر فَهُو عَلَى بُعْد خَطَوَات وسَأَذْهَب لأَحْجِز لَكُمَا فِي فُنْدُق قَرِيب لتَسْتَرِيحَا فِيه، وسَآتِي لَكُمَا بَعْدَ سَاعَتَيْن لاَ أَكْثَر)...

(38)

حجز "مُورالِس" لهما "غرفتين" متجاورتين.. وتركهما وذهب لحضور "جلسة المؤتمر".. وبمجرد دخول "العبد لله" غرفته؛ ذهب – فورًا– إلى "الحمَّام" وأخذ "دُشًا" ساخِنًا.. و"توضَّأ" وصَلَّى "الظهر" و"العصر" جمْعًا وقصْرًا.. وعندما تمَدَّد على "السرير" – ليريح "جسده" المُرهق– راح في نوم عميق ولم يصحو إلاَّ على "طَرْق" الدكتور "نادر".. وهما ينتظران "مُورالِس" – في "الرسبشن"– قال "العبد لله" للدكتور "نادر":

ـ (دِي أَوَّل مَرَّة مَا أَصَلِّيش فِيهَا الجُمْعَة)...

(39)

وصلوا إلى "مدريد" بعد "المغرب".. وأَنْزَلَهُما "مُورالِس" في "موتيلاً" صغيرًا قريبًا من "المطار" – يديره رجل وزوجته– وتركهما بعد أن ودَّعَهما "ودَاعًا حارًا".. وبعدما

توضَّأ وصَلَّى "المغرب" و"العشاء" – جمْعًا وقصْرًا– ذهَب إلى "غرفة" الدكتور "نادر" الذي قال بمجرد دخوله:

ـ (يَلاَّ نِنْزِل نِدَوَّر عَلَى مَطْعَم تِيك أوِيي نِجِيب حَاجَة نِتْعَشَّى بِيهَا).. ولمَّا مشيا كثيرًا بدون هَدْي، قال "العبد لله":

ـ (الحِتَّة دِي بَاين مَا فِيهَاش مَطَاعِم وَلاَّ إيه؟). قال الدكتور "نادر":

ـ (نِمْشِي كَمَان شِوَيَّة يِمْكِن نِعْتَرْ عَلَى يَافْطَة.. هُمَّا النَّاس دُوول مَابْيَكْلُوش وَلاَّ إيه؟).

ـ (هُوَّا فِيه حَدّ بْيِسْتَغْنَى عَن الأكْل؟.. بَسِّي يِمْكِن بِيْفَضَّلُوا الأَكْل البِيتِي).. كانت "الشوارع" – الضيقة– خالية من "المارة" فاستولت على "العبد لله" هواجس احتمال خروج "الحَرَامِيَّة" عليهما.. وفجأة قال الدكتور "نادر":

ـ (فُرِجَت يَاعَرَب.. اليَافْطَة بِتْلَعْلَع هنَاكَ آهِيه)...

(40)

صباح يوم "السبت" 4/29 نزلا ل"التَّسَوُّق"، فاشترى بعض "الهدايا" ل"الأولاد"، وزاد "محمود" – "آخر العنقود"– ب"أُرْج" كهربائي ماركة "سانيو".. وكان علَيه بعد عودتهما – من "التَّسَوُّق"– إلى "الموتيل" – قُرْبَ "الظهر"– أن يعيد "حَزْم أمتعته" بعد شراء "الهدايا".. وأخذ "دُشًا" – ساخنًا– ثم توضأ وصلى "الظهر" و"العصر" جمْعًا وقصْرًا...

(41)

كان تحرُّكهما من "الموتيل" – إلى "المطار"– على الساعة "الواحدة والنصف" في "عربة" صاحب "الموتيل" – "الفان"– حتى يكون عندهما سِعَة من "الوقت" قبل الساعة "الثالثة" موعد قيام "رحلة العودة"– "رقم 888"– إلى "مصرنا" الحبيبة.

كم لديك من السطور الجميلة التى أخذت منك الكثير من المجهود والاعتناء لكى تكون أفضل ما يمكن لتعبر بها عن شعور داخلى لم تستطع أن تشاركه مع أحد غيرك.

مهما كانت سطورك

قصص... روايات... أشعار... مقالات

باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية

تواصل معنا

لتشارك سطورك مع العالم

٠١١٢٢٣٨٠٤٤٣